جامعة عمار ثليجي - الأغواط - الجزائر



دِراسات

مجلّة دولية مُحكّمة



ISSN 1112-4652

العدد 75
فيفري 2019



مجلة "دراسات"

مجلّة دولية علمية مُحكّمة متعدِّدة التخصّصات

تصدر عن جامعة عمار ثليجي بالأغواط

الهيئة الاستشارية

قواعد النشر

1- تنشر المجلّة البحوث العلمية للأساتذة الباحثين في مختلف التخصّصات.

2- تقدّم البحوث على قرص مكتوب بنظام word أو عن طريق البريد الإلكتروني:

bourguiba_d@yahoo.fr

3- يرفق البحث بملخّص في حدود 70 كلمة من نفس لغة البحث، وملخّص ثانٍ باللغة الإنجليزية، وملخص بالعربية إن لم يكن البحث بالعربية، مع الكلمات المفتاحية، وكذا ملخّص للسيرة الذاتية لكلّ باحث يظهر اسمه مع عنوان البحث(نموذج معتمد لدى المجلة).

4- أن لا يكون البحث منشورًا من قبل، أو مقدّمًا للنشر في جهة أخرى، ويقدّم كلّ باحث يظهر اسمه في عنوان البحث تعهّدًا مكتوبًا بذلك (نموذج معتمد لدى المجلة).

5- أن لا يكون البحث فصلاً من رسالة جامعية.

6- أن لا تقلّ صفحات البحث عن 15 صفحة (أي في حدود 4000 كلمة)، وأن لا تزيد عن 25 صفحة.

7- **البحوث التي تخلّ بأيّ ضابط من الضوابط أعلاه لا تؤخذ بعين الاعتبار.**

8- تخضع البحوث والمقالات لرأي محكّمين من مختلف الجامعات.

9- ترتيب البحوث لا يخضع لأهمّية البحث ولا لمكانة الباحث.

10- البحوث التي تقدّم للمجلّة لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، **ولا تلتزم المجلّة بإبداء أسباب عدم النشر.**

- قواعد التوثيق: **تتبع إحدى الطريقتين:** 1-عندما يشار إلى المراجع في المتن، يذكر الاسم الأخير للمؤلّف وسنة النشر بين قوسين، مثل (القوصي،1985)، وعند الاقتباس يوضع النصّ المقتبس بين قوسين صغيرين " " وتذكر أرقام الصفحات المقتبس منها مثل: (القوصي، 1985: 43)

2- عندما يشار إلى المراجع في الهامش، يشار إليها بأرقام متسلسلة، -استعمال التهميش الآلي- وتكون في أسفل الصفحة نفسها، وتذكر المعلومات حسب المتعارف عليه منهجيًا.

3- في كلتا الطريقتين، تجمع المراجع في نهاية البحث وترتّب ترتيبًا ألفبائيًا حسب الاسم الأخير للمؤلف، وتكون كالآتي:

- اسم المؤلّف (سنة النشر) عنوان المؤلَّف، (رقم الطبعة)، اسم البلد، اسم الناشر.

-ملاحظة

جميع الآراء الواردة في المجلة تعبّر عن وجهة نظر أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو الجامعة.

فهرس المحتويات

مجلة دراسات العدد : 75 - فيفري 2019

العلاقة مع الآخر: العهد المدني نموذجا

د. محمد بن راشد الغاربي، أ. د. المبروك الشيباني المنصوري، أ.د. داود بورقيبة
جامعة السلطان قابوس- عُمان/ جامعة الأغواط-الجزائر

الملخّص:

يركّز هذا البحث على دراسة موضوع العلاقات الإنسانيّة بين المسلمين وغيرهم من خلال استقراء العهد المدني. ويؤصّل لذلك بتحليل مميّزات العلاقة بين المسلمين ممّا كان النبيّ عليه السلام قد أرساه من قيم في العهد النبوي. ويسعى البحث إلى الإجابة عن جملة من الإشكاليّات منها: ما حقيقة علاقة المسلم بغير المسلم في العهد النبوي؟ وما مضمونها الشرعي والفكريّ والحضاري؟ وما القيم الإنسانيّة التي دعا إليها النبي عليه السلام في علاقة المسلم بالمسلم أوّلا ثم في علاقة المسلم بالآخر ثانيا. وكيف السبيل إلى الاستلهام من التجربة النبويّة في سبيل تجاوز محن الأمّة والتأسيس لعلاقات شرعية-إنسانية متميّزة تتجاوز البعد الطائفي والمذهبي والعرقي والملي؟

الكلمات المفتاحية: العهد المدني، المسلم، الآخر، الحوار، التسامح.

Abstract :
This research focuses on the study of human relations between Muslims and others through the extrapolation of the Medinan Era. First, it tackles the characteristics of the relationship between Muslims themselves and sheds light on the Prophetic teachings in this regard. Then the paper seeks explore relationship between Muslims and non-Muslims in the Medinan Era and its legal, intellectual and cultural content. At the end, the paper analyses the human values embedded in the Prophetic teachings regarding the relationship between Muslims and non-Muslims aiming at being inspired by the Prophetic experience to overcome the multi-dimensional tribulations overwhelming the current relationship of Muslims with the Others.

Keywords: Medinan Era, Muslim, Other, Dialogue, Tolerance

تمهيد

تعيش أمّتنا الإسلاميّة فترة عصيبة، وتشهد أحداثا جساما، فقد فُوّقت نحو دينها سهام النّقد، ونُسِبت إلى مُثِلها وقِيمها وأخلاقياتها الافتراءات، وبات الآخرون يصمونها بالإرهاب والعنف والتّطرف، وساعد على نشر تلك الدّعاوى والأباطيل تصرفاتٌ شخصيّةٌ خاطئةٌ لبعض من ينتمون إلى الإسلام، ويُنسبون إليه، ويتزمّلون في ثيابه، فكانت أفعالهم الخاطئة وتصرُّفاتهم الشّائنة وسيلة لترويج تلك الافتراءات، وسببا في نشر تلك الأباطيل، وتدعيما لِمَا يسعى إليه أعداء الإسلام من إقناع عموم الإنسانيّة بأنّ الإسلام دين إرهاب وتطرف وتزمُّت.

وأساءت فهومُ بعضِ المسلمين فَهْمَ نصوص التّشريع فحملوها على غير محملها، وأحلُّوها في غير محلِّها، واتّخذوا منها تُكأةً لمآرب شخصيّة، وصيّروها أحبولة لغايات غير إنسانيّة، ولربّما أخذوا بالمنسوخ وتركوا النّاسخ، وعملوا بالعامِّ وأهملوا مخصِّصه، وعوّلوا على المطلق ولم يرجعوا إلى مقيِّده؛ وما عرفوا كيفيّة الجمع بين النُّصوص ولا التّرجيح بين ما ظاهره التّعارض؛ فغرّروا بذلك بعض العوامِّ خاصَّة نَاشِئة المسلمين وشَبِيبَتهم، فأحالوا طاقتهم معاول تهدم مقدّرات أمّتهم، وتشوُّه تاريخها المجيد، وصارت أفعالهم تجرُّ على أُمِمِهم الويلات، وتسوق إلى شعوبهم النَّكبات.

فكان لزاما على علماء الأمّة المخلصين، وفقهائها الرّاسخين في العلم أن يبيِّنوا الصُّورة الحقّة للإسلام، وأن يصقلوا صورته مِمّا لحق بها من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فيكشفوا للنّاس المشكل، ويوضِّحوا لهم المجمل، ويبيِّنوا الملتبس على أذهان النّاس بالأدلّة الشّرعيّة الصّحيحة، وفق منهجٍ علميّ رصينٍ، محكوم بعلمي الرّواية والدّراية، ويُبرزوا سماحة الإسلام ووسطيّته، وعدله وإنسانيّته، وصيانته للحقوق، وأنّه رحمة للإنسانيّة قاطبة، وسعادة للبشريّة جمعاء، وأنّه يؤكِّد على الحوار مع الآخرين، ويترك لهم حريّة القبول أو الرّفض شريطة أن يكون الرّفض نابعا عن قناعة لا عن قسر وخوف، وليس أدلّ على ذلك كلِّه من أقوال نبي الإسلام محمّد عليه الصّلاة والسّلام، و لا أقوى حجة من سيرته العطرة التي تفيض بالمواقف الإنسانيّة، وتعبق بالشّمائل الفاضلة.

ومن هنا باتت دراسة موضوع العلاقات الإنسانيّة في منظور النّصِّ النّبويِّ ذات أهميّة بالغة، وضرورة ملحّة؛ ذلك أنّنا نعيش في ظروف تستوجب مثل هذه الدراسات، وتُحتِّم علينا القيام بإظهار الصُّورة الصحيحة لما جاء به ديننا الإسلامي في علاقتنا مع الآخر، من خلال مصادره الأصليّة كتاب الله وسنّة نبيِّه محمّد عليه الصّلاة والسّلام؛ إذ إنّ من أهمِّ الموضوعات المطروحة الآن على السّاحة الفكريّة، ويثار حولها كثير من الاستفسارات والأسئلة موضوع علاقة المسلمين بالآخر، لا سيّما في ظلّ الحملات الإعلاميّة الغربيَّة، فما حقيقة علاقة المسلم بالآخر من أصحاب المِلَلِ والنِّحل؟ وما مضمونها؟ أهو الحوار الحضاريُّ، والتّبادل الثقافيّ والفكريّ أم هو الصِّراع الفكري والحضاري والمادي؟ وستتم الإجابة عن هذه الإشكاليات في محورين: المحور الأول: علاقة أفراد الأمّة بعضهم ببعض، المحور الثاني: علاقة المسلمين بغيرهم من خلال استقراء العهد المدنيّ.

إن هذه الأسئلة وأمثالها تحتاج إلى بيانٍ شافٍ يوضِّح موقف التّشريع الإسلامي من علاقة المسلمين بغيرهم، وتستلزم جوابا واضحا يظهر تلك العلاقة على حقيقتها، بعيدا عن العواطف الشّخصيّة، وردود الفعل النّفسيّة، ولا يكون ذلك إلا بالرجوع إلى كتاب الله الكريم، وسنّة نبيِّه الأمين، حتى نستلهم منهما الحقيقة النّاصعة، والبيان المشرق؛ وبذلك نستأصل ما يثار من شُبهٍ حول ديننا الإسلاميّ من كونه دينا دمويا يُلزم النّاس اتِّباعه واعتناقه بالقسر والإكراه. ويبدو أنّ ما يروّج له من حتميَّةِ الصِّراع بين الإسلام والحضارة الغربيَّة كما هو في نظرية صمويل هنتنجتون أستاذ الدّراسات الدّولية في جامعة هارفارد، إنّما

يراد به إثارة الفتن، وخدمة غايات غير إنسانيّة، ويقصد منه التّنفير من دين الله الحق حتى يبتعد النّاس عنه حينما يتصوّرونه على خلاف حقيقته.

إنّ الإسلام رسالة رحمة للإنسانيّة، ومشعل هداية للعالمين أجمعين على اختلاف أجناسهم وعصورهم وبلدانهم، فهي ليست مقصورة على جنس دون آخر، ولا منحصرة في قطر دون سواه، وهي ليست رسالة عنصريّة أو حزبيّة أو قوميّة، فمنذ بزوغ شمس هذه الرّسالة الخاتمة في مكّة المكرّمة، والآيات الكريمات تتنزل على قلب نبيّ الله محمّد عليه الصّلاة والسّلام مبيّنة أنّ رسالته للإنسانيّة جمعاء، وأنّها رحمةٌ للعالمين قاطبة، يقول الحقُّ تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء: 107] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام: 90] ويقول سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [سورة الفرقان: 1] ويقول: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة القلم: 52] ويقول: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة يوسف: 104] وقد تكرّرت هذه الآية الكريمة بهذا النّظم الشّريف في ثلاثة مواضع من كتاب الله، في سورة يوسف وفي سورة ص وفي سورة التّكوير[1] ويقول سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [سورة إبراهيم: 1] ويقول: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [سورة الأعراف: 158].

إنّها رسالة تجمع بين مطالب الرُّوح والجسد، هدفها إقامة العدل في الأرض وإسعاد الإنسان عليها، بعد إخلاص الدِّين لله وتوحيده وعبادته؛ ولذا وجّه الإسلام نداءه إلى أتباعه للعمل لخير النّاس جميعا؛ فأوجب عليهم الدّعوة إليه؛ ليسعد النّاس بهذا الخير، وليتمتّعوا بهذه النّعمة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة آل عمران: 104] وألزمهم الصّبر في سبيل دعوة النّاس إلى هذا الخير، وحضّهم على تحمّل الأذى من النّاس؛ لئلا ينفروا من اتّباع هذا الهدى، ووجّههم إلى اتّخاذ الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى سبيلاً ومنهجاً، وأمرهم بالعدل مع كل النَّاس سواء كانوا من الأودّاء أم كانوا من الأعداء، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [سورة المائدة:8] وقال عزّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [سورة النساء: 135] وأمرهم كذلك بالإحسان إلى جميع الخلق، فقال

[1] سورة يوسف: 12/ 104، وسورة ص: 38/ 87، وسورة التكوير: 81/ 27.

سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[سورة النحل: 90]

ويسلزم البحث-قبل تفصيل الحديث في علاقة المسلم بالآخر المختلف عقيدة وفكرا وثقافة- تبيان علاقة المسلم بأخيه المسلم المختلف عنه عِرْقا أو حزبا أو طائفة أو مذهبا أو فكرا؛ لأنّ ما يحدث في عالمنا الإسلاميّ من تناحر بين أبناء ديننا، وما يقع بينهم من سفكٍ للدِّماء، وإزهاقٍ للأرواح وإتلافٍ للأموال، وإهلاكٍ للحرث والنّسل، وما نتج عن ذلك من شرٍّ مستطير، وبلاء عريض، صار يهدِّد العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه[1]، لهو أمرٌ يحتاج إلى تأمّل وتفكير وبحث عن حلول عملية.

فلزم من هذا أن نسعى جاهدين إلى زرع الألفة بين مكوّنات أمّتنا الإسلاميّة، ونبذل كلّ غال ونفيس في سبيل الوحدة بين مذاهبها المتعدِّدة، وأنْ نجعل مفهوم التّأليف ركيزة ومنطلقا لهذا السّعي؛ لأنّه مفهوم قرآنيٌّ ذو أثر إيجابي كبير، وهو أقوى من سائر المفاهيم كالتّقريب ونحوه؛ ولأنّه يراعي جميع الخصوصيّات، بل إنّه يفعّلها ليجعل منها جزءا من وسائل التّأليف بين القلوب وتجاوز أسباب التّنافر وإعطاء تلك الخصوصيّات الفاعليّة في إطار الكيان الواحد، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ في مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار.

ولذا كان السَّعْيُ إلى ترسيخ الْوحْدة بين أبْناءِ هذه الأمَّة، وتقْوية عُرَى الْمودَّةِ بين أَفْرادها، وتَمْتِينِ آصِرَةِ الْمَحَبَّةِ، ومُحاولة لَمِّ شملهم، واتِّحادِ كلمتهم من أَسْنَى الْقُرُبَاتِ، وأَنْفسِ الطَّاعات.

المبحث الأول: علاقة أفراد الأمَّة ببعضهم بعضا

فَرَضَ الله سبحانه وتعالى على هذه الأمَّة أنْ تَكُونَ أُمَّةً واحدةً، وقَرَنَ مَا فَرَضَه على أبْنَاءِ الأمَّةِ الإسْلاميَّةِ مِن أَمْرِ الْوَحْدَةِ بعِبادَتِه وتَقْوَاهُ، فَقَالَ سُبْحَانَه وَتَعَالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء: 92] وَقَالَ أَيْضَا:﴿ وَأَنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ [سورة المؤمنون: 52] ولا يَتَحَقَّقُ هَذَا الْوَصْفُ لِهَذِه الأمَّةِ إلا بِتَآخِي أَفْرَادِهَا وَتَنَاصُرِهِمْ، وتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ؛ بِحَيْثُ يَرْحَمُ قَوِيُّهَا ضَعِيْفَهَا، وَيُوَقِّرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، ويُوَاسِي غَنِيُّهَا فَقِيرَهَا، وَيَعْطِفُ حَاكِمُهَا على مَحْكُومِهَا؛ ويَرْفُقُ عَالِمُهَا بِجَاهِلِهَا.

وقد سعى رسول الله ﷺ إلى بناء هذه الوحدة بين المسلمين سعيا حثيثا، وأولاها عناية كبيرة، واهتمّ بغرس الألفة بين قلوب أصحابه اهتماما بالغا، وناهيك أنّ من أوائل ما فعله النّبيُّ الكريم ﷺ بعد هجرته من مكّة إلى المدينة أنْ آخى بين المهاجرين والأنصار، وجعل المسلمين أمّة واحدة، من أي جنس كانوا ومن أي بلد قدموا، وكتب في ذلك وثيقة بين المسلمين أنفسهم من ناحية وبينهم وبين سكّان المدينة من غيرهم من جهة ثانية، ونَصُّ ما جاء في موضوع الوحدة بين المسلمين: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ

[1] انظر وصف هذه الحالة في: الهلاني، أبو مسلم، ديوان أبي مسلم، ص262 – ص263.

مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ، أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ دُونَ النَّاسِ"[1].

ولتحقيق هذا المقصد الشّرعي العظيم، والهدف السّامي الكريم، شرع الرُّسول المصطفى كلّ الوسائل التي تُفضي إلى الألفة بين المسلمين، وتؤدّي إلى اتّحاد كلمتهم، سواء أكان ذلك من جانب الإيجاب؛ أم جانب السّلب، فمن جانب الإيجاب أمر ﷺ بكلِّ ما من شأنه أن يؤلّف بين قلوب المسلمين، ويوثّق عرى المودّة بينهم، ويورثهم صفاء النُّفوس تجاه بعضهم، كما أنّه أوجب عليهم التّعاون والتّعاضد والتّكافل، ومن أنعم نظره في أحكام الشّريعة يرى أنّ الوحدة بين المسلمين، وتحقيق الألفة بينهم أمر مراعى في جميع أحكام الشّريعة الغراء، وناهيكم شاهدا ودليلا على أهميّة تحقيق التّآلف بين المسلمين، ومكانته هذه النقاط:

1- أنّ النّبيُّ ﷺ ناط الإيمان الذي يَدخل به العبد الجنّة بالتّحابب بين المسلم وسائر إخوانه المسلمين، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ"**[2] ونفى ﷺ الإيمان عمّن لا يحبُّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه، فقال ﷺ في حديث أَنَسٍ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[3].

وهكذا ترون أنّ الرُّسول ﷺ جعل التّحابّ بين المسلمين ذا أثر في ذات الإيمان الذي يستوجب به العبد الجنّة، ويستحقُّ به النّجاة من عذاب الله وسخطه، وبذلك يحرص المسلم على تحقيق هذه المحبّة بينه وبين سائر إخوانه المسلمين، ويسعى إلى أن يظهر ذلك في سلوكه من خلال تعامله معهم.

كما جعل النّبي المصطفى عليه الصّلاة والسّلام الحبّ في الله - وهو الحبّ المتجرّد من المآرب الدُّنيويّة، والخالص من شوائب المصالح الذّاتية - أوثق عرى الإيمان، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ"**[4].

ومقتضى هذا الحبّ القلبيّ أن يأمن كلُّ فرد من أفراد هذه الأمّة أخاه، وتطمئن نفسه إليه، ويأنس به، ويركن إليه، بل ويستعينه على نوائب الدّهر؛ وحدثان الزّمان، فالحب هو البلسم الشّافي، والتّرياق

---

[1] أورده ابن هشام في السّيرة النّبويّة، ج3، ص31، وابن كثير في البداية والنّهاية، ج3، ص224 – ص226 عن ابن إسحاق دون ذكر سند. وأخرجه أبو عبيد في كتاب الأموال، ص260 – ص264 -مرسلاً- فقال: حدثني يحيى بن عبد الله بن بكير وعبد الله بن صالح قالا: حدثنا الليث بن سعد قال: حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب أنه قال: بلغني أن رسول الله كتب بهذا كتاباً..." بنحو حديث ابن إسحاق. وأخرجه -بنحوه- البيهقي في السنن الكبرى، ج8، ص106، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ قَالَ أَخَذْتُ مِنْ آلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ هَذَا الْكِتَابَ كَانَ مَقْرُونًا بِكِتَابِ الصَّدَقَةِ الَّذِي كَتَبَ عُمَرُ لِلْعُمَّالِ: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ، أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ دُونَ النَّاسِ، الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رَبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ بَيْنَهُمْ وَهُمْ يَفْدُونَ عَانِيَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو عَوْفٍ عَلَى رَبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الأُولَى وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ". ثُمَّ ذَكَرَ عَلَى هَذَا النَّسَقِ بَنِي الْحَارِثِ ثُمَّ بَنِي سَاعِدَةَ ثُمَّ بَنِي جُشَمَ ثُمَّ بَنِي النَّجَّارِ ثُمَّ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ثُمَّ بَنِي النَّبِيتِ ثُمَّ بَنِي الأَوْسِ ثُمَّ قَالَ: "وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لاَ يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا مِنْهُمْ أَنْ يُعْطُوهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلٍ". وقد صحّح هذه الوثيقة بعض العلماء المعاصرين. يُنْظَرُ: السّيرة النّبويّة الصّحيحة، لأكرم ضياء العمري، ج2، ص272- ص275.

[2] أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، رقم: (54) ج1، ص74، وأبو داود، سنن أبي داود، رقم: (5193) ج4، ص350.

[3] أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، رقم: (13) ج1، ص14، ومسلم، صحيح مسلم، رقم: (45) ج1، ص67.

[4] أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، رقم: (5694) ج5، ص2246.

النّافع في علاقات بني الإنسان؛ إذ لا يصدر من المحب ما يسوء به من يحبُّه، ولا يأتي منه ما يضرُّ محبوبه، بل تراه يسعى لإيصال الخير له، ويحرص على إسداء المعروف والإحسان إليه، ويتوخّى مراضي محبوبه في كلِّ تصرُّفاته وأفعاله.

ولمّا كانت المحبّة في أصل ذاتها أمراً قهرياً لا اختيار فيه للإنسان شرع الرُّسول ﷺ الأسباب المؤدِّية إلى تحقيق هذه المحبّة اختيارا، ومن جملة ذلك:

أ- إفشاء السّلام، فبعد أن قال: "وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا" أرشد إلى ما يحقّق هذه المحبّة في القلب، فقال: "أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ" قال النّووي: "السّلام أوّل أسباب التّآلف، ومفتاح استجلاب المودّة، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميّز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النّفس، ولزوم التّواضع، وإعظام حرمات المسلمين"[1].

ب- شرع الرُّسول ﷺ التّهادي بين المسلمين، وبيّن الحكمة من مشروعيّتها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "تَهَادُوْا تَحَابُّوا"[2] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أيضا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "تَهَادَوْا؛ فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ[3] الصَّدْرِ"[4] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: "تَهَادَوْا؛ فَإِنَّ اَلْهَدِيَّةَ تَسُلُّ اَلسَّخِيمَةَ[5]"[6]. قال ابن عبد البر: "كان رسول الله ﷺ يقبل الهديّة وندب أمّته إليها وفيه الأسوة الحسنة به ﷺ ومن فضل الهديّة مع اتّباع السُّنّة أنّها تورث المودّة، وتذهب العداوة"[7].

2- جعل الرُّسول ﷺ الأمّة الإسلاميّة كالجسد الواحد، وجعل أفرادها أعضاء لهذا الجسد، فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[8]. وفي لفظ عند مسلم: "الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنِ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ وَإِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ"[9].

3- أخبر الرسول ﷺ أنّ كلّ فرد من أفراد هذه الأمّة يكوّن لبنة من لبنات بنائها، وأنّ كلّ واحد منهم يشدُّ الآخر ويقوّيه، فَعَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"

---

[1] شرح النّووي على صحيح مسلم للنّووي، ج2، ص36.

[2] أخرجه البخاري، الأدب المفرد، رقم: (594) ج1، ص208، وأبو يعلى، مسند أبي يعلى، رقم: (6148) ج11، ص9. وحسّن إسناده ابن حجر في بلوغ المرام، ص231.

[3] وَحَرُ الصَّدْرِ هو: غلّه وغشّه وما يستقرّ فيه من العداوة، ومثله وَغَرُه . تفسير غريب ما في الصحيحين للحافظ الحميدي، ج1، ص134.

[4] أخرجه التِّرمذي، سنن التِّرمذي، رقم: (2130) ج4، ص441. وأخرجه أحمد، مسند أحمد بن حنبل، رقم: (9239) ج2، ص405، بلفظ: "وغر الصّدر"

[5] السّخيمة هي الغِلُّ. يُنْظَرُ: التّمهيد لابن عبد البر، ج21، ص18.

[6] أخرجه الطّبراني، المعجم الأوسط، رقم: (1526) ج2، ص146. وقال ابن حجر في بلوغ المرام، ص232، بعد ذكره لهذا الحديث وعزوه إلى البزار:"رَوَاهُ اَلْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ".

[7] السّخيمة هي الغِلُّ. يُنْظَرُ: التّمهيد لابن عبد البر، ج21، ص18.

[8] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، رقم: (5665) ج5، ص2238.

[9] أخرجه مسلم، صحيح مسلم، رقم: (2586) ج4، ص2000.

وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ[1]. وهذا أمْرٌ منه ﷺ بصيغة الخبر بأن تكون الأمّة أمّة قوية متماسكة كالبنيان الذي يعتمد بعضه على بعض.

4- اعتبر الرّسول ﷺ المؤمن مرآة لأخيه المؤمن؛ لأنّه يعينه على سلوك الطّريق الصّحيح في دنياه وأخراه بنصحه إياه، وتوجيهه له نحو الخير؛ فَقَالَ ﷺ: "الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ"[2].

واعتبار المؤمن مرآة للمؤمن؛ لأنّ المرآة هي التي تكشف للإنسان ما لا يحبُّه في هيئته فيزيله عنه، وما يرغب فيه فيتركه؛ والمقصود من حياطته أنّه ينصح له في حضوره، ويذبُّ عن عِرضه في غيابه، فإذا كان وراءه لا يلحقه ضرر منه، وإن صدر من غيره ما يقدح في عرض أخيه المسلم قام بنصح من صدرت منه تلك الغيبة أو النّميمة، وأمّا كونه "يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ" فمعناه أن: "أي يَجْمَع عليه مَعيشَته ويَضُمُّها إليه"[3].

وعلاوة على ما تقدّم فإنّ التّشريع الإسلامي لجأ إلى كثير من الوسائل التي تعطف قلوب المسلمين على بعضهم، وتزيد من قوة الألفة بينهم، ومن ذلك:

1- استعمل رسول الله ﷺ في تعبيراته ما يورث الألفة بين المسلمين، ويستثير عواطف التّسامح فيهم، ويجمع قلوبهم، ويستدرُّ صفاء نفوسهم، وإن شئت فانظر مثلا إلى قول النبي المصطفى عليه الصّلاة والسّلام: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" ولو شاء لقال: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِلْمُؤْمِنِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" لكنّه قال "لِأَخِيهِ" استعطافاً أن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه. ومن ذلك قوله ﷺ: "إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا" فانظر قوله: "بِحَقِّ أَخِيهِ" حيث عبّر بلفظة: "أَخِيهِ" ولم يقل خَصْمِه. وقال ﷺ: "وَلَا تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ مَا فِي إِنَائِهَا" فقال: "أُخْتِهَا" ولم يقل ضرتها، ومثل ذلك كثير، وهذا أسلوب قرآني كريم فالله عزّ وجلّ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾ [سورة البقرة: 178] ويقول سبحانه: ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ ﴾ [سورة الحجرات: 12].

2- جعل التّشريع الإسلامي الفرد يذوب في الجماعة، وينزّل المسلم منزلة أخيه، ومن ذلك:

أ- أنّ الله تعالى عندما نهى أن يقتل المسلم أخاه المسلم قال: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ والمقصود بقتل النّفس هنا هو النّهي عن أن يقتل بعض المسلمين بعضا؛ قال الطّبري: "يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ ﴾ ولا يقتل بعضكم بعضا وأنتم أهل مِلّة واحدة، ودعوة واحدة،

[1] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، رقم: (467) ج1، ص182، ومسلم، صحيح مسلم، رقم: (2585) ج4، ص1999.
[2] أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، رقم: (4918) ج4، ص280. وحسّن إسناده ابن حجر في بلوغ المرام، ص379.
[3] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ج4، ص190.

ودِين واحد، فجعل جلّ ثناؤه أهل الإسلام كلّهم بعضهم من بعض، وجعل القاتل منهم قتيلا في قتله إياه منهم، بمنزلة قتله نفسه إذ كان القاتل والمقتول أهل يد واحدة على من خالف ملّتهما، وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التّأويل"[1]. وقال ابن عطيّة: "أجمع المُتأوِّلون أنّ المقصد بهذه الآية - يعني قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ - النّهي عن أن يقتل بعض النّاس بعضها، ثم لفظها يتناول أن يقتل الرّجل نفسه بقصد منه للقتل أو بأن يحملها على غرر ربّما مات منه، فهذا كله يتناوله النهي"[2]. وقال الرّازي بعد ذكره قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمٗا﴾: "اتّفقوا على أنّ هذا نهيٌ عن أن يقتل بعضهم بعضا، وإنّما قال: (أَنفُسَكُمْ) لقوله عليه السّلام: "المؤمنون كنفس واحدة" ...، واختلفوا في أن هذا الخطاب هل هو نهي لهم عن قتلهم أنفسهم فأنكره بعضهم"[3].

ب- أن الله تبارك وتعالى عندما نهى أن يعيب المسلم أخاه ويذكر مساوئه قال: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[سورة الحجرات: 11] ومن غير المتصوّر أن يعيب الإنسان نفسه، ولكنّه عبّر بذلك للإيحاء بعظم الرّابطة بين المسلم وأخيه المسلم، ولبيان قوة الاتحاد والتّلاحم بينهم وكأنهما فرد واحد. قال الطّبري: "قوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يغتب بعضكم بعضا أيها المؤمنون ولا يطعن بعضكم على بعض، وقال: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ فجعل اللّامز أخاه لامزا نفسه؛ لأنّ المؤمنين كرجل واحد، فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمره وطلب صلاحه ومحبته الخير"[4].

وأمّا ما كان من جانب السّلب؛ فإنّ الرّسول ﷺ نهى عن كلِّ ما يؤدّي إلى تكدير صفاء النُّفوس، وما يورث النُّفرة بين القلوب، وحذّر من التّعصُّب المقيت الذي يفضي إلى تحزُّب وحميّة، وحرّم من المسلم على أخيه المسلم عرضه ودمه وماله، ومِمّا ورد في ذلك:

1- أنّه نهى ﷺ عن بعض الأفعال التي تورث البغضاء بين النّاس، وتزرع في نفوسهم الإحَن والشّحناء مثل النّميمة والتي هي: "نقل حال الشّخص لغيره على جهة الإفساد بغير رضاه، سواء كان بعلمه أم بغير علمه"[5] حيث توعّد النبي ﷺ النّمام بأعظم الوعيد، وهو حرمانه من دخول الجنّة فقال: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ"[6].

2- حذّر ﷺ من كلِّ ما يفرِّق كلمة المسلمين، ومن كلِّ ما يؤدّي إلى التّعصب والتّحزب، كالتّفاخر بالأنساب، والتّعاظم بالآباء والأجداد، فعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى

---

[1] تفسير الطبري، ج5، ص35.
[2] المحرر الوجيز لابن عطيّة، ج2، ص42.
[3] التفسير الكبير للرازي، ج10، ص58 – ص59.
[4] تفسير الطبري، ج26، ص131.
[5] فتح الباري لابن حجر، ج10، ص473.
[6] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، رقم: (5709) ج5، ص2250، ومسلم، صحيح مسلم، رقم: (105) ج1، ص101.

عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ"[1]. وعَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ[2] يَدْعُو عَصَبِيَّةً، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ"[3]. وعَنْ عُتَيٍّ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ رَأَيْتُ رَجُلًا تَعَزَّى عِنْدَ أُبَيٍّ بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ افْتَخَرَ بِأَبِيهِ فَأَعَضَّهُ بِأَبِيهِ وَلَمْ يُكْنِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَمَا إِنِّي قَدْ أَرَى الَّذِي فِي أَنْفُسِكُمْ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ إِلَّا ذَلِكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ وَلَا تَكْنُوا"[4].

3- نهى عليه الصّلاة والسّلام عن التّجسس والتحسس والتّباغض، فقال عليه الصّلاة والسّلام: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا[5] وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا ..."[6].

4- نهى رسول الله ﷺ عن أن يشير المسلم نحو أخيه المسلم بالسّلاح، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ"[7]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ أَشَارَ عَلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ لَعَنَتْهُ الْمَلَائِكَةُ"[8].

وإذا كان هذا وعيد من أشار نحو أخيه بالسّلاح فكيف بمن يستعمل السّلاح للفتك بأخيه.

-من الوسائل الكفيلة لبناء وحدة حقيقيّة بين المسلمين

لا ريب في أنّ الذي أصلح أوّل هذه الأمّة هو تمسُّكها بتعاليم كتاب ربّها وسنّة نبيّها، وتنفيذ أوامرهما واجتناب نواهيهما، واتّباع مراشدهما، والوحدة بين المسلمين مقصدٌ شرعيٌّ توصل إليه وسائل، وغايةٌ تبلغ إليها جملة من التّشريعات. ويمكن القول إن هناك جملة من الأمور تسهم في نشر روح الأخوّة بين المسلمين، وترسّخ مبدأ الوحدة بينهم، وإن مِمّا ينبغي اتّباعه في سبيل بناء وحدة حقيقيّة بينهم الآتي:

أولا: أن يكون ولاء المسلم المطلق لعموم الإسلام، وأن لا نتمحور حول ذاته، سواء كانت تلك الذّات شخصيّة أم مذهبيّة، أم إقليميّة أم طائفيّة، بل يجب عليه الاهتمام بالكيان الكليّ للأمّة الإسلاميّة. وهذا ما تربّى عليه صحابة رسول الله الكرام، فهذا مصعب بن عمير يقول يوم بدر لآسر أخيه أبي عزيز وكان من الأنصار: شُدّ يديك به؛ فإنّ أمّه ذات متاع، فقال أبو عزيز: يا أخي هذه وصيّتك بي؟ فقال مصعب: إنّه أخي

---

[1] أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، رقم: (5121) ج4، ص332.

[2] قوله: "عِمِّيَّةٍ" هي بضم العين وكسرها لغتان مشهورتان والميم مكسورة مشددة والياء مشددة أيضا، وهي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه. يُنْظَرُ: شرح النووي على صحيح مسلم للنووي، ج12، ص238.

[3] أخرجه مسلم، صحيح مسلم، رقم: (1850) ج3، ص1478.

[4] أخرجه أحمد، مسند أحمد بن حنبل، رقم: (21272) ج5، ص136، وابن حبان، صحيح ابن حبان، رقم: (3153) ج7، ص424.

[5] التّحسُّس بالحاء الاستماع لحديث القوم وبالجيم البحث عن العورات، وقيل بالجيم التفتيش عن بواطن الأمور. يُنْظَرُ: شرح النّووي على صحيح مسلم للنّووي، ج16، ص119.

[6] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، رقم: (4849) ج5، ص1976، ومسلم، صحيح مسلم، رقم: (2563) ج4، ص1985.

[7] أخرجه، البخاري، صحيح البخاري، رقم: (6661) ج6، ص2592، مسلم، صحيح مسلم، رقم: (2617) ج4، ص2020.

[8] أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، رقم: (2162) ج4، ص463.

دونك[1]. وممّا يروى عمر بن الخطاب أنّه قال: "إنّا قومٌ أكرمنا الله بالإسلام، فمن يلتمس العزَّ بغير الإسلام يذلُّه الله"[2].

ثانيا: غرس تقوى الله في قلوب النّاس، وزرع مخافته في نفوسهم؛ فإنّ تقوى الله مصدر كلِّ خير، ومنبع كلّ فضيلة، وأساس كلِّ سلوك حسن، وفعل كريم: من الرّحمة بالنّاس والشّفقة عليهم، والاهتمام بمصالحهم، والبرّ بهم، ومواساة المحتاجين منهم، وهي التي تدفع الإنسان لينهض بما عليه من حقوق تجاه إخوانه المسلمين، ويقوم بما ينبغي أن يقوم به لسائر بني الإنسان، وبذلك يمثّل المسلم الصُّورة الصّحيحة للإسلام، ويترجم مبادئ الإسلام من السّماحة واليسر والعطف على النّاس وحبِّ الخير لهم.

ثالثا: الاهتمام بنشر التّعليم الشّرعي في مؤسّساتنا العلميّة، وغرس قيم الإسلام ومبادئه الصّحيحة ومُثُله العليا، في قلوب أبناء المسلمين، وذلك كالذي قرّره الإسلام من مبادئ في حقوق الإنسان كالحريّة والعدل والمساواة، وأنّ هذه حقٌّ لبني الإنسان من حيث هو إنسان بغضّ النّظر عن دينه ولونه وجنسه وبلده، وحبّذا لو أنّ جامعاتنا تجعل مساقا إجباريا في حقوق الإنسان، أو مساقا في الثّقافة الإسلاميّة، يتعرّف المسلم من خلاله على ما ذكرناه آنفا، وبذلك نسدُّ الباب في وجوه من يروِّجون للتّشدّيد، وغرس روح العنف والتّطرُّف في قلوب النّاشئة، كلُّ ذلك مشفوع بالأدلّة الشّرعيّة من النّقل الصّحيح، والنّظر السّديد؛ فإنّ العلم وسيلة للتّطبيق والعمل، وبه يعرف الإنسان ما عليه من حقوق لأهل دِينه وملّته، وما ينبغي له أن يفعله من صنائع الخير، وصنوف البر في سبيل خير الإنسانيّة جمعاء.

رابعا: غرس فقه الاختلاف، وتوسعة دائرة القاعدة الشّهيرة: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، والعناية بالفقه المقارن، والنّظر إلى المذاهب الإسلاميّة نظرة متّزنة، إنَّ ما ننشدها مِن الوحدة بين المسلمين، ونسعى إلى ترسيخه بين أبناءِ المذاهبِ الإسلاميَّةِ، ليس في تمييع فقه المذاهب الإسلاميَّة، ولا في هجرها والتَّنكُر لها، ولا في الدَّعوة إلى التَّخلّي عن إتّباعها، وإنَّما تُبنى الوحدةُ الإسلاميَّةُ الْحَقَّةُ على الشُّعورِ النَّفسيِّ، والتَّصوُّر الفكريِّ في الولاء لعموم الإسلام، وعلى النَّظر المعتدل الْمُتّزن، والرُّؤية الوسطيَّة إلى المذاهب الإسلاميَّة بأنَّها فهْمٌ لنصوص التَّشريع الإسلامي، وأنَّ المذاهب الإسلاميَّة، والمدارس الفقهيَّة تقف جنبا إلى جنب لتشكِّل منظومة متكاملة مِن الفقه الإسلامي في أبهى صورِه، وأزهى أشكالِه، نحتاج إلى كلِّ ما في هذه المدارس مِن مبادئ وأصول تشريعيَّة، ومِن آراء فقهيَّة، ومِن رُؤَى سياسيَّة واقتصاديَّة، لنرفد بها واقعنا المعاصر لِحلِّ مشكلاته، وفَكِّ معضلاته؛ لأنَّها جميعا تنبثق مِن نَفْسِ المصدر، وتنهلُ مِن ذاتِ الْمَعينِ الَّذي لا يتكدَّر ولا ينضب، وتستضيء بعين المشكاة الَّتي تسير على هداها جميع المذاهب، ألَا وهو كتاب الله وسنَّة نبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام، وما اختلافُ آراءِ الفقهاء، وتعدُّد أقوالهم في المسألة الواحدة إلا وسيلة لنا للأخذ بما نراه أصلح لأمّتنا وواقعنا، دون تهاونٍ أو تفريطٍ، ودون شَططٍ أو غُلوٍّ.

---

[1] يُنْظَرُ: السِّيرة النّبويّة لابن هشام، ج3، ص195.

[2] شرح السُّنّة للبغوي، ج13، ص124.

خامسا: أن نستعمل أفضل أساليب الخطاب، وأجمل تراكيب الكلام، وأحسن الألفاظ وأحبها إلى المخاطب، في مناقشاتنا وحواراتنا، وعلينا أن نبتعد عن كلِّ ما يهيّج العواطف، ويزرع الضّغائن والإحن في قلوبنا، ولننظر كيف كان يعبّر رسول الله ﷺ عن توجيهاته، وكيف يخاطب أمّته بأوامره ونواهيه؛ فإنّه القدوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

سادسا: على كلٍّ منّا أن يراعي ظروف الآخر، ويلتمس له العذر ويوسّع له، ويراعي ظروفه الزّمانيّة المكانيّة ما لم تتعارض مع كلّيات الشّرع، ونصوصه الثّابتة؛ فإنّ رسول الله ﷺ لم يُلغ ما كان مستقرا من أعراف وتقاليد لا تتعارض مع تشريعات الإسلام؛ بل أبقى على بعض الأعراف القديمة التي كانت مستقرّة عند القبائل العربيّة في جاهليّتها، ولم يلغ جميع الوظائف القبليّة والاجتماعيّة؛ فقد جاء في وثيقة المدينة ما نصُّه: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ، أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ دُونَ النَّاسِ، الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رَبْعَتِهِمْ[1] يَتَعَاقَلُونَ[2] بَيْنَهُمْ وَهُمْ يَفْدُونَ عَانِيَهُمْ[3] بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو عَوْفٍ عَلَى رَبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الأُولَى وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ"[4].

فهذه من الوسائل التي تعتبر من أسُسِ التّآلف بين المسلمين، ومن السُّبل التي تعين على تعاطفهم وتقوية علاقتهم ببعضهم، مع ما يضاف إليها من وسائل أخرى يضيق المقام عن ذكرها، مما يُحتاج إليه حسب مقتضى الحال.

-المبحث الثاني: علاقة المسلمين بغيرهم

تُعتبر مسألة علاقة المسلمين بغيرهم من أهمِّ المسائل المطروحة على السّاحة الفكريّة التي يجب أن تزال عنها الشُّبهات، وتصحّح فيها الأفهام، وتبيّن للنّاس بيانا لا خفاء فيه، ولا لبس يعتريه؛ حتى نُبْرِزَ جوهر الإسلام الْمُشْرِق، ونُظْهِرَ حقيقة علاقة أبنائه بغير معتنقيه؛ لئلا ينسب إلى الإسلام ما هو منه براء، وحتى لا يقع بعض أبنائه في أخطاء أو انحرافات يرفضها الإسلام، ولا يمكن إعطاء صورة حقيقيّة عن علاقة المسلمين بغيرهم إلا بالرُّجوع إلى مصادر الإسلام الأصليّة كتاب الله وسنّة نبيّه عليه الصّلاة والسّلام؛ وسيكون تركيزنا في هذا البحث على المصدر الثّاني من مصادر التّشريع؛ حتى نجمع أكثر ما نستطيع من نصوص السُّنّة المتعلّقة بهذه المسألة المهمّة؛ مِمّا تظهر فيه علاقة المسلمين بغيرهم، وتتبيّن فيه المواقف الإنسانيّة في علاقات المسلمين بسواهم من خلال نصوص وسيرة النّبي ﷺ:

-مظاهر من علاقة المسلمين بغيرهم من خلال النّصِّ النّبويِّ:

تظهر الجوانب الإنسانيّة في النّصِّ النّبويِّ الشّريف تجاه الآخر المختلف عقيدة وفكرا في جملة من الأحكام التي شرعها النّبيُّ ﷺ لتعامل المسلمين مع غيرهم، وتتجلّى في المراشد التي أمر بها النّبيُّ ﷺ في التّعايش

---

[1] رَبْعَتِهِمْ: حالتهم وشأنهم. والمعنى: الحال التي جاء الإسلام وهم عليها.

[2] يَتَعَاقَلُونَ: من العقل وهو الدِّية، والمعاقل الدِّيات واحدتها معقلة.

[3] الْعَانِي: الأسير.

[4] تقدّم تخريجها، ص6.

مع الآخر من نحو حُسْن العشرة، ولطف المعاملة، ورعاية الجوار، وحفظ الذِّمام، ولين القول، وعدم الفحش فيه، كما تبرز النّظرة الإنسانيّة في مواقفه ﷺ وأفعاله نحو الآخرين، تلك المواقف الرّائعة التّي تُبرز سماحة الإسلام ويسره في علاقة أتباعه مع غيرهم؛ وتبيّن سعة مشاعرهم الإنسانيّة من نحو البرّ والرّحمة والإحسان إلى الآخرين، وهى أمور لا تستقيم بدونها حياة البشر، ولا ينهض المجتمع السّليم إلا بها، ولا تبنى العلاقة السّويّة إلا عليها، وهي خصال لا يغني فيها قانون ولا قضاء، وهذه الرُّوح تكاد لا تجدها إلا في المجتمع الإسلاميّ، وناهيك أنْ تعلم أنّ النّبيّ ﷺ علّل بعثته بتتميم مكارم الأخلاق حيث قال ﷺ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"[1]. قال ابن عبد البر: "ويدخل في هذا المعنى الصّلاح والخير كلُّه والدِّين والفضل والمروءة والإحسان والعدل فبذلك بعث ليتممه ﷺ"[2].

وإن من أعظم ما قرّره النّبي عليه الصّلاة والسّلام في علاقة المسلمين مع غيرهم والتي تبرز الجوانب الإنسانيّة في هذه العلاقة الأمور التّالية:

1- مبدأ المساواة بين النّاس جميعا وأنْ لا تفاضل بينهم إلا بتقوى الله

يقرّر النّبيُّ ﷺ أنّ النّاس متساوون جميعا في الكرامة الإنسانيّة؛ لأنّ أصل منشئهم واحد، وعنصرهم واحد، وإنّما يتفاضلون بينهم بالتزامهم بمنهج خالقهم سبحانه وتعالى، وبما اكتسبوه من أعمال صالحة، وما اتّصفوا به أخلاق فاضلة، وقد وقف رسول الله ﷺ ليعلن هذا المبدأ للعالَمين في أعظم تجمُّع للمسلمين، وفي مكان مِن أقدس الأماكن؛ فَعَنْ أَبِي نَضْرَةَ قال: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ ..."؟[3]. وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، قَالَ اللَّهُ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [سورة الحجرات: 13]"[4].

---

[1] الحديث أخرجه: ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، رقم: (31773) ج6، ص324، وأحمد، مسند أحمد بن حنبل، رقم: (8939) ج2، ص381، والحاكم، المستدرك، رقم: (4221)ج2، ص670. وأخرجه مالك في الموطّأ برقم: (1609) ج2، ص904، بلاغا عنه ﷺ قَالَ: "بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ" قال ابن عبد البر في التّمهيد، ج24، ص333: "وهذا الحديث يتّصل من طرق صحاح عن أبي هريرة وغيره".

[2] التّمهيد لابن عبد البر، ج24، ص334.

[3] أخرجه أحمد، مسند أحمد بن حنبل، رقم: (23536) ج5، ص411. قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج3، ص266: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح".

[4] أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، رقم: (3270) ج5، ص389، وابن حبان، صحيح ابن حبان، رقم: (3828) ج9، ص137.

وهذا ما دفع بالفيلسوف الإنجليزي توماس كارليل إلى القول: "وفي الإسلام خلة أراها من أشرف الخلال وأجلّها، وهي التّسوية بين النّاس، وهذا يدلُّ على أصدق النّظر وأصوب الرّأي؛ فنفس المؤمن رابطة بجميع دول الأرض، والنّاس في الإسلام سواء"[(1)]

2- السِّلم أصل العلاقة بين النّاس

يتفرّع عن تقرير مبدأ المساواة، وأنّه لا طائفيّة ولا عنصريّة في الإسلام، ولا مفاضلة بالألوان والأجناس والأوطان وإنّما بتقوى الله والعمل الصّالح، قيام العلاقة بين النّاس على السّلام والوئام، لأنّ معنى المساواة يفقد مدلوله إذا لم يلغ كل أسباب الاستغلال والامتهان للكرامة الإنسانيّة، وقد أصّل الحقُّ تبارك وتعالى علاقة المسلمين مع غيرهم في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[سورة الممتحنة: 8] قال الرّازيُّ: "قال أهل التّأويل: هذه الآية تدلُّ على جواز البِرِّ بين المشركين والمسلمين، وإن كانت الموالاة منقطعة، وقوله تعالى: (وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ) قال ابن عباس: يريد بالصِّلة وغيرها (إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ) يريد أهل البِرِّ والتّواصل"[(2)].

3- مبدأ الحريّة الدِّينيّة

يقرّر الإسلام مبدأ الحرّية الدِّينيّة، ويرفض مبدأ الإكراه على اعتناقه؛ ولذا كان من أوائل ما فعله رسول الله ﷺ أنْ قرّر الحريّة الدِّينيّة لسكّان المدينة، قال ابن إسحاق: "وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرّهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم"[(3)] وهو يشير بهذا إلى ما حرّره رسول الله ﷺ في وثيقة المدينة حيث جاء فيها ما هو صريح في إقرار التّعدُّية وعدم الإكراه على الإسلام، وذلك في قوله: "وَإِنّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ إلّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ؛ فَإِنّهُ لَا يُوتِغُ[(4)] إلّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ"[(5)]. وهكذا يأتي النّصُّ صريحا على أنّ الإسلام لا يُكره أحدا على اعتناق عقيدته، ولا يجبر أحدا على الأخذ بشريعته، وهذا ما أكّده قوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴾ [سورة البقرة: 256]والذي يظهر أنَّ قوله سبحانه: (لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ) جملة خبريّة، وليس حكما إنشائيا، ومن المقرَّر في علم الأصول أنّ الأخبار لا يدخل عليها النَّسخ[(6)]؛ فإكراه النّاس على اعتناق مبدأ معيّن أمرٌ يرفضه الإسلام، ومنهجه في الدّعوة إليه قائمة على الحجّة

---

(1) قالوا عن الإسلام، ص156.

(2) التفسير الكبير للرازي، ج29، ص263.

(3) يُنْظَرُ: السيرة النبوية لابن هشام، ج3، ص31.

(4) يوتغ: يهلك.

(5) يُنْظَرُ عن تخريج وثيقة المدينة، ص6.

(6) يُنْظَرُ: الضِّياء للعوتبي، ج2، ص215 ، الفصول في الأصول للجصّاص، ج2، ص205، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج5، ص245، ج2، ص65، الذَّخِيرَة للقرافي، ج1، ص111، المستصفى، للغزالي، ج1، ص254.

والبيان، وأسلوبها قائم على الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [سورة النحل: 125] وقد حدّد الله تبارك وتعالى مهمّة رسوله عليه الصّلاة والسّلام وحصرها في البلاغ والتّذكير فقال عزّ وجلّ: ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ (21) لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ (22) إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴾ [سورة الغاشية: 21– 23] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴾ [سورة الرّعد: 40] والآيات بهذا المعنى كثيرة جداً[1]. ووجّه الحق تبارك وتعالى خطابه إلى رسوله الكريم ﷺ فقال: ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة يونس: 99] وهذا استفهام إنكاريٌّ قُصِد منه النّهي؛ أي: لا تُكْرِه النّاس على ذلك.

4- تقرير مبدأ العدل

العدل في الإسلام فريضة تجب على الإنسان لأخيه الإنسان، وهو قيمة مطلقة يجب الالتزام بها في كلّ الظّروف والأحوال ومع جميع بني الإنسان بغضّ النّظر عن أجناسهم ودينهم، سواء أكانوا من الأصدقاء أم كانوا من الأعداء، وسواء في ذلك الأفراد والجماعات والشّعوب والدّول، وسواء أكان ذلك زمن السِّلم أم زمن الحرب؛ فالعدل ورعاية الحقوق والإنصاف مظلّةُ سعادةٍ أوجبها الإسلام على المسلمين مع جميع الخلق أجمعين؛ ليسعد الإنسان بحياة آمنة لا يرى فيها ظلماً ولا هضماً، ومن هنا كان الأمر بالعدل والإنصاف عامّا، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [سورة النساء: 58] ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [سورة النحل: 90] وقد حذّر الحقُّ تعالى المسلمين من أن يحملهم بغضهم لقوم على أن لا يقوموا بالعدل والقسط بينهم، وأن لا ينصفوهم إذا حكموا فيجوروا عليهم من أجل ما بينهم من العداوة فقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾ [سورة المائدة: 8]. وقد أمر الله عزّ وجلّ نبيّه بالعدل والإنصاف بعد أمره بالدّعوة والاستقامة وعدم اتِّباعه أهواء النّاس حيث قال: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [سورة الشورى: 15] يقول أبو الأعلى المودودي معقِّباً على هذه الآية: (يعني أنّني مأمور بالإنصاف دون عداوة، فليس من شأني أن أتعصب لأحد أو ضد أحد، وعلاقتي بالنّاس كلّهم سواء وهي علاقة العدل والإنصاف، فأنا نصير من كان الحق في جانبه، وخصيم من كان الحق ضده، وليس في ديني أي امتيازات لأي فرد كائناً من كان، وليس لأقاربي حقوق، وللغرباء حقوق أخرى، ولا للأكابر عندي مميزات لا يحصل عليها

[1] يُنْظَرْ: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج5، ص281.

الأصاغر، والشّرفاء والوضعاء عندي سواء، فالحقُّ حقٌّ للجميع، والذّنب والجرم ذنب للجميع، والحرام حرام على الكلِّ، والحلال حلال للكلِّ، والفرض فرض على الكلِّ حتى أنا نفسي لست مستثنى من سلطة القانون الإلهي)[1]. وهذا ما ألزم به رسول الله ﷺ المؤمنين حيث أوجب عليه الوقوف صفاً واحداً ضدّ البغاة الظّالمين الآثمين ولو كانوا من ألصق قراباتهم حيث جاء في وثيقة المدينة التي أبرمها بينهم: (وَأَنّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَةَ[2] ظُلْمٍ أَوْ إثْمٍ أَوْ عُدْوَانٍ ، أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا، وَلَوْ كَانَ وَلَدَ أَحَدِهِمْ)[3].

وكون العدل حقّا لعموم بني الإنسان بلا محاباة فيه، ولا أثرة، هو ما تربّى عليه الصّحابة الكرام وتشرّبوا روحه وعملوا بمقتضاه؛ ولذا كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أحد عمّاله يقول: "وأمّا العدل فلا رخصةَ فيه من قريب ولا بعيد، ولا في شدّة ولا رخاء، والعدل وإن رُئى ليِّناً، فهو أقوى، وأطفأ للجور، وأقمع للباطل من الجور وإن رُئِي شديدا"[4]. وقد نصّ الفقهاء تقريرا لمبدأ العدل بين النّاس على مختلف مللهم وأديانهم أنّه لا تقبل دعوى أحد على أحد إلا ببيِّنة ولو كان المدعي في منزلة أبي بكر في الفضل والمدّعى عليه يهودي[5]

5- إيجاب البِرّ بالأبوين المشركين ولو جاهدا ولدهما على ترك الإسلام

ألزم التّشريع الإسلاميُّ الولدَ ببِرّ أبويه المشركين ولو جاهداه على ترك الإسلام والخروج منه، وألزمه النَّفقة عليهما وأوجب مصاحبتهما بالمعروف، فليس الشِّرك بمسقط لحقوقهما، يقول الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿14﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[سورة لقمان: 14 – 15]. وجاءت أمُّ أسماء بنت أبي بكر وكانت مشركة إلى ابنتها أسماء طالبة لنوالها وراغبة في برّها، فسألت أسماء رسول الله ﷺ عن حكم صلتها لأمّها المشركة والصّدقة عليها فأمرها عليه الصّلاة والسّلام بصلتها؛ فَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً[6] فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ آصِلُهَا؟! قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا: (لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ) [7]. وَعَنْ عُرْوَةَ عَنْ أَسْمَاءَ قَالَ قَدِمَتْ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَمُدَّتِهِمْ إِذْ عَاهَدُوا النَّبِيَّ ﷺ مَعَ ابْنِهَا فَاسْتَفْتَيْتُ

---

[1] الحكومة الإسلامية لأبي الأعلى المودودي، ص202.

[2] دَسِيعَةَ ظُلْمٍ، أي طلب دفعا على سبيل الظُّلم فأضافه إليه، وهي إضافة بمعنى من ويجوز أن يراد بالدّسيعة العطيّة أي ابتغى منهم أن يدفعوا إليه عطيّة على وجه ظلمهم أي كونهم مظلومين وأضافها إلى ظلمه لأنه سبب دفعهم لها. يُنْظَرُ: النّهاية في غريب الأثر، ج2، ص117، ولسان العرب لابن منظور، ج8، ص85.

[3] تقدم تخريج وثيقة المدينة، ص6.

[4] تاريخ الأمم والرسل والملوك للطّبري، ج2، ص436.

[5] انظر نظم السّالمي لهذا المعنى في جوهر النّظام في الأديان والأحكام، ج3، ص97.

[6] قولها: "رَاغِبَة" أي أنّها طالبة لبرها، ومتعرِّضة لنوالها. يُنْظَرُ: أعلام الحديث للخطابي، ج2، ص1287.

[7] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، رقم: (5633) ج5، ص2230.

النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: "نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ"[1]. قال الخطابي: "فيه – أي حديث أسماء - أنّ الرّحم الكافرة توصل ببِرّ المال ونحوه، كالرّحم المسلمة"[2]. وقال العيني في معرض ذكره لفوائد هذا الحديث: "ويستفاد منه أنّ الصِّلة للمشرك جائزة للقرابة والحرمة والذِّمام، وأمرها عليه السّلام بصلتها لأجل الرّحم"[3].ويستنبط من هذا النّصِّ النّبويِّ وجوب النفقة للأب الكافر والأمّ الكافرة على الولد ولو كان مسلما[4].

6- إجازة الإهداء من المسلم لغير المسلمين وقبول الهديّة منهم

ورد في السُّنّة النّبويّة على صاحبها أفضل الصّلاة وأزكى السّلام إجازة أن يُهدي المسلم لغير المسلم لا سيّما إذا كان ذا رحم منه؛ وقد عقد البخاريُّ في صحيحه بابا بعنوان: الْهَدِيَّة لِلْمُشْرِكِينَ، وَقَوْل اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ أورد فيه بعد افتتاحه له بتلك الآية الكريمة حديثين هما:

الحديث الأول: حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَأَى عُمَرُ حُلَّةً عَلَى رَجُلٍ تُبَاعُ فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ابْتَعْ هَذِهِ الْحُلَّةَ؛ تَلْبَسْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَإِذَا جَاءَكَ الْوَفْدُ. فَقَالَ: "إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذَا مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ" فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا بِحُلَلٍ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ مِنْهَا بِحُلَّةٍ، فَقَالَ عُمَرُ: كَيْفَ أَلْبَسُهَا وَقَدْ قُلْتَ فِيهَا مَا قُلْتَ؟! قَالَ: "إِنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا، تَبِيعُهَا أَوْ تَكْسُوهَا" فَأَرْسَلَ بِهَا عُمَرُ إِلَى أَخٍ لَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ[5].

والحديث ظاهر الدّلالة على جواز الإهداء إلى غير المسلمين، قال النّووي في شرحه لهذا الحديث: "وفي هذا كلّه دليل لجواز صلة الأقارب الكفّار والإحسان إليهم، وجواز الهديّة إلى الكفّار"[6] وقال العيني: "فيه – أي هذا الحديث - صلة الأقارب الكفّار والإحسان إليهم، وجواز الهدية إلى الكافر"[7].

والحديث الثّاني: حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: "نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ"[8]. ووجه إيراد البخاريّ لقول الله تبارك وتعالى: (لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) في هذا الباب واستفتاحه الباب بها أنَّ الهدية للمشرك من باب البرّ المباح تقديمه لهم بنصِّ الآية الكريمة، وفيه إشارة إلى أنّ هذه الآية نزلت في أمّ أسماء بنت أبي

---

[1] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، رقم: (5634) ج5، ص2230، ومسلم، صحيح مسلم، رقم: (1003) ج2، ص696.

[2] الخطابي، أعلام الحديث، ج2، ص1287. ويُنْظَرُ: فتح الباري لابن حجر، ج5، ص234.

[3] شرح أبي داود للعيني، ج6، ص422.

[4] فتح الباري لابن حجر، ج5، ص234.

[5] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، رقم: (2476) ج2، ص924، ومسلم، صحيح مسلم، رقم: (2068) ج3، ص1638.

[6] شرح النّووي على صحيح مسلم للنووي، ج14، ص39.

[7] عمدة القاري للعيني، ج6، ص179.

[8] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، رقم: (2477) ج2، ص924، ومسلم، صحيح مسلم، رقم: (1003) ج2، ص696.

بكر، وهو ما رواه البخاري في باب: صِلَةِ الْوَالِدِ الْمُشْرِكِ من صحيحه عن ابن عيينة[1] ورواه الطّبري عن ابن الزُّبير[2] وفيه ما يدلُّ على بقاء هذا الحكم الشّرعيِّ خلافا لما ذهب إليه بعض من القول بنسخ جواز الإهداء من المسلم إلى المشرك إلا للأبوين خاصّة[3]؛ مستدلِّين على ذلك بأنّ قوله سبحانه: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ منسوخ[4] بنحو قوله: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [سورة التوبة: 5]؛ وبأنّ في الهديّة تأنيسا للمهدى إليه، وإلطافا له، وتثبيتا لمودته، وقد نهى الله عن التّودُّد للمشركين[5] بقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [سورة المجادلة: 22] وقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [سورة الممتحنة: 1].

والجواب عن الاعتراض الأوّل أنّ هذه الآية محكمة وليست بمنسوخة على الصّحيح[6] وكيف يقال بنسخها والنّسخ لا يصار إليه إلا عند استحكام التعارض بحيث لا يمكن الجمع بين النّصين ولا الترجيح بينهما كما هو مقرّر في علم الأصول[7] وليس ثَمّ تعارض؛ قال الطّبري: "ولا معنى لقول من قال ذلك منسوخ؛ لأنَّ بِرّ المؤمن من أهل الحرب مِمّن بينه وبينه قرابة نسب أو مِمّن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرّم ولا منهيّ عنه، إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام أو تقوية لهم بكراع أو سلاح، قد بيّن صحّة ما قلنا في ذلك، الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزّبير في قصّة أسماء وأمّها"[8].

والجواب عن الاعتراض الثّاني ما قاله ابن حجر: "والصِّلة والإحسان لا يستلزم التّحابب والتّوادد المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ الآية؛ فإنّها عامّة في حقِّ من قاتل ومن لم يقاتل والله أعلم"[9].

---

(1) يُنْظَرُ: صحيح البخاري للبخاري، ج5، ص2230.
(2) يُنْظَرُ: تفسير الطّبري، ج28، ص65.
(3) يُنْظَرُ: شرح صحيح البخاري لابن بطال، ج7، ص136، عمدة القاري للعيني، ج13، ص173.
(4) يُنْظَرُ: تفسير الطّبري، ج28، ص66، أحكام القرآن للجصّاص، ج5، ص327، المحرر الوجيز، ابن عطيّة، ج2، ص91.
(5) يُنْظَرُ: شرح صحيح البخاري لابن بطال، ج7، ص136، عمدة القاري للعيني، ج13، ص173.
(6) يُنْظَرُ: تفسير الطبري، ج28، ص64، والجامع لأحكام للقرطبي، ج18، ص59.
(7) يُنْظَرُ: البحر المحيط للزّركشي، ج3، ص153، المجموع للنّووي، ج3، ص128، المغني لابن قدامة، ج9، ص75.
(8) يُنْظَرُ: الطبري، تفسير الطبري، ج28، ص64.
(9) فتح الباري لابن حجر، ج5، ص233. ويُنْظَرُ: أحكام القرآن للشّافعي، ج2، ص193.

وكما دلّت النُّصوص النّبويّة على إباحة إهداء المسلم للآخر فإنّها أجازت كذلك قبول الهديّة منه شرط أن تكون الهديّة مباحة ومِمّا له قيمة في الشّرع، قد وردت جملة من الأحاديث النّبويّة دالّة على هذا الحكم، ومن ذلك:

1- حديث الزُّبَيْرِ قَالَ: قَدِمَتْ قُتَيْلَةُ ابْنَةُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عَبْدِ أَسْعَدَ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَسَلٍ عَلَى ابْنَتِهَا أَسْمَاءَ ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ بِهَدَايَا ضِبَابٍ[1] وَأَقِطٍ[2] وَسَمْنٍ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَأَبَتْ أَسْمَاءُ أَنْ تَقْبَلَ هَدِيَّتَهَا وَتُدْخِلَهَا بَيْتَهَا، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَقْبَلَ هَدِيَّتَهَا وَأَنْ تُدْخِلَهَا بَيْتَهَا[3].

2- حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ؟ فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نَحْوُهُ، فَعُجِنَ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌّ طَوِيلٌ بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً؟ أَوْ قَالَ أَمْ هِبَةً؟ قَالَ: لَا بَلْ بَيْعٌ فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً ..."[4].

وقد قبل النّبيُّ ﷺ هديّةَ جملةٍ من غير المسلمين[5] منهم مَلِكُ أَيْلَةَ وأُكَيْدِرَ دُومَةَ[6] والمقوقس[7] وعَظِيمُ فَدَكَ[8] وأهدت يَهُودِيَّةٌ النَّبِيَّ ﷺ شَاةً مَسْمُومَةً فَأَكَلَ مِنْهَا[9]. قال ابن عبد البر: "وكان ﷺ يقبل الهديّة ويأكلها ويثيب عليها ولا يقبل الصّدقة، وقبوله الهديّة من المسلمين والكفّار أشهر وأعرف عند العلماء من أن يحتاج إلى شاهد على ذلك"[10]. وعقد البخاري في صحيحه بابا جعل عنوانه: "بَاب: قَبُولِ الْهَدِيَّةِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ"[11] أورد تحته جملة من نُصوص السُّنَّة القوليّة منها والفعليّة الدّالّة على جواز قبول الهديّة من غير المسلمين منها بعض ما تقدّم.

---

[1] الضِّبَابُ جمع ضَبٍّ وهو معروف، وقال ابن حجر في التّعريف به: "دويبّة تشبه الجرذون لكنّه أكبر من الجرذون، ويكْنى أبا حسل بمهملتين مكسورة ثُمّ ساكنة ويقال للأنثى ضَبّة". فتح الباري لابن حجر، ج9، ص663.

[2] الأَقِط: بفتح الهمزة وكسر القاف وقد تسكن بعدها طاء مهملة هو جبن اللّبن المستخرج زُبْده. يُنْظَرُ: فتح الباري لابن حجر، ج9، ص544.

[3] أخرجه أحمد، مسند أحمد بن حنبل، رقم: (16156) ج4، ص4، والحاكم، المستدرك، رقم: (3804) ج2، ص527. قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج4، ص152: "رواه أحمد والطّبراني في الكبير وجوّده".

[4] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، رقم: (2103) ج2، ص772، ومسلم، صحيح مسلم، رقم: (2056) ج3، ص1626.

[5] يُنْظَرُ: التمهيد لابن عبد البر، ج2، ص13.

[6] يُنْظَرُ: صحيح البخاري، ج2، ص922.

[7] أخرجه: الحاكم، المستدرك على الصحيحين، رقم: (6819) ج4، ص41. قال الهيثمي في مجمع الزوائد،مجمع الزوائد، ج4، ص152: "رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال البزّار رجال الصحيح". ويُنْظَرُ: التمهيد لابن عبد البر، ج2، ص12.

[8] يُنْظَرُ: سنن أبي داود، رقم: (3055)ج3، ص171، و صحيح ابن حبان، رقم: (6351) ج14، ص261.

[9] يُنْظَرُ: صحيح البخاري، ج2، ص923، وصحيح مسلم، ج4، ص1721.

[10] الاستذكار لابن عبد البر، ج5، ص88.

[11] صحيح البخاري، ج2، ص922.

وما ورد من قول النّبيّ ﷺ: "إِنِّي نُهِيتُ عَنْ زَبْدِ[1] الْمُشْرِكِينَ"[2] وعدم قبوله ﷺ الهديّة من مشرك، فالجواب عنه من وجوه:

الوجه الأول: أنّ ذلك منسوخ[3]؛ وذلك أنّ حديث: "إِنِّي نُهِيتُ عَنْ زَبْدِ الْمُشْرِكِينَ" متقدّم؛ إذ قبل ﷺ هديّة أكيدر وكان ذلك قبل موته ﷺ بيسير، وهذا اختيار ابن حزم[4].

الوجه الثاني: أنّ النّهي للكراهة التي لا تنافي الجواز؛ جمعا بين الأدلّة[5].

وإليه ميل التّرمذي؛ فإنّه بعد أن عقد بابا فيما ما جاء في قبول هدايا المشركين، أتبعه بباب في كراهية هدايا المشركين، أورد تحته هذا الحديث وقال: "وقد روي عن النّبيّ ﷺ أنّه كان يقبل من المشركين هداياهم وذكر في هذا الحديث الكراهية"[6].

الوجه الثالث: أنّ نهيه عن قبول الهديّة وردّه لها لكونها صدرت من مشرك وثني وقبوله للهدايا كان من أهل الكتاب خاصة[7]. وهذا الوجه اختاره ابن الجوزي[8].

غير أنّ في هذا الوجه نظرا؛ لأنّه ﷺ قبل هدية كسرى[9] وهو من غير أهل الكتاب، وقبل هديّة رفاعة بن زيد قبل إسلامه[10]؛ قال ابن عبد البر: "وظاهره – يعني حديث: "إِنِّي نُهِيتُ عَنْ زَبْدِ الْمُشْرِكِينَ" - خلاف ما في هذا الحديث من قوله فيه: "فَأَهْدَى رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ غُلَامًا أَسْوَدَ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ"؛ لأنّ رفاعة كان يومئذ على كفره، ولم يذكر في شيء من طرق هذا الخبر أن رسول الله ﷺ رَدّ الغلام عليه"[11] لكنّ الظّاهر من سياق قصة إهداء رفاعة الغلام أن رفاعة جاء ليعلن إسلامه على يدي رسول الله ﷺ[12] غير أنّ في حديث الزّبير وعبد الرحمن المتقدّمين غُنيَة عن هذا فإنّهما ظاهر الدّلالة على جواز قبول الهدية من غير المسلمين لو لم يكونوا من أهل الكتاب.

---

(1) زَبْدِ الْمُشْرِكِينَ، بفتح الزّاي وسكون الموحّدة بعدها دال مهملة هو الرِّفْد. يُنْظَرُ: سنن الترمذي، ج4، ص140، وفتح الباري لابن حجر، ج5، ص231.

(2) أخرجه: أحمد، مسند أحمد بن حنبل، رقم: (17517) ج4، ص162، وأبو داود، سنن أبي داود، رقم: (3057) ج3، ص173، والترمذي، سنن الترمذي، رقم: (1577) ج4، ص140. وقال: هذا حديث حسن صحيح".

(3) يُنْظَرُ: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي، ج2، ص1285، التمهيد لابن عبد البر، ج2، ص12، كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي، ج1، ص132، المحلى لابن حزم، ج9، ص159.

(4) يُنْظَرُ: المحلى لابن حزم، ج9، ص159.

(5) يُنْظَرُ: سنن الترمذي، ج4، ص140، التمهيد لابن عبد البر، ج2، ص12- ص13، شرح النّووي على صحيح مسلم للنّووي، ج12، ص114.

(6) يُنْظَرُ: سنن الترمذي، ج4، ص140.

(7) يُنْظَرُ: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطّابي، ج2، ص1285، التمهيد لابن عبد البر، ج2، ص12، كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي، ج1، ص132.

(8) يُنْظَرُ: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي، ج1، ص132.

(9) يُنْظَرُ: سنن الترمذي، ج4، ص140.

(10) يُنْظَرُ: الاستذكار لابن عبد البر، ج5، ص89.

(11) يُنْظَرُ: الاستذكار لابن عبد البر ج5، ص89.

(12) يُنْظَرُ: السيرة النبوية لابن هشام، ج5، ص296.

وقيل غير ذلك[1].

7- عيادة مرضاهم

غرس الإسلام في أتباعه مشاعر الرّحمة، وزرع فيهم العطف على عموم الإنسانيّة، فقلب المسلم ينبض بالشّفقة على الخلق، ويتدفّق بالحنان والرّحمة؛ فهذا رسول الله ﷺ يبلغه مرض يهوديٍ فيذهب بنفسه إلى عيادته، فعن أَنَسٍ ﷺ أَنَّ غُلَامًا لِيَهُودَ كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَالَ أَسْلِمْ فَأَسْلَمَ"[2]. بل جاء في بعض طرق الحديث أنّه ندب أصحابه إلى ذلك فعن ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَنَا: "قُومُوا بِنَا نَعُودُ جَارَنَا الْيَهُودِيَّ" قَالَ: فَأَتَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ عليه السلام: "كَيْفَ أَنْتَ يَا فُلَانُ"[3].

وقد ترجم البخاري لحديث أنس المتقدّم بباب: عِيَادَةِ الْمُشْرِكِ ونقل فيه عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ لَمَّا حُضِرَ أَبُو طَالِبٍ جَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ[4]. قال العيني: "وفيه – أي هذا الحديث - جواز عيادة أهل الذِّمّة ولا سيما إذا كان الذِّمِّيُّ جارا له؛ لأنّ فيه إظهار محاسن الإسلام، وزيادة التّآلف بهم ليرغبوا في الإسلام"[5]. وقال ابن حجر في معرض ذكره الأحكام المستفادة من الحديث: "وفي الحديث جواز استخدام المشرك وعيادته إذا مرض"[6].

وقيد ابن بطّال مشروعيّة عيادته إذا رجا أنْ يجيب إلى الدُّخول في الإسلام، فإذا لم يطمع في ذلك فلا[7] وتعقّبه ابن حجر بأنّ ذلك يختلف باختلاف المقاصد، فقد تقع بعيادته مصلحة أخرى، ونقل عن الماورديُّ أنّه قال: "عيادة الذِّمِّيِّ جائزة، والقربة موقوفة على نوع حرمة تقترن بها من جوار أو قرابة"[8].

والظّاهر جواز عيادة المرضى من أهل الملل الأخرى من غير اشتراط دعوتهم إلى الإسلام؛ لأنّ عيادتهم من نوع البَرِّ المأذون به لهم؛ ولعموم فعله من عيادته لليهوديِّ وعيادته رأس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول والنِّفاق أشدُّ كفرا، وهذا من مظاهر سماحة الإسلام، وحسن محاسنه وإنسانيّته.

8- جواز تعزيتهم

تتجسد النّزعة الإنسانية في أبهى صورها، وأزهى أشكالها فيما أباحه الإسلام لأتباعه من تعزية ومواساة غيرهم من أهل النِّحَل الأخرى في موت أقاربهم وذويهم، ويقول في تعزيتهم ما يجوز قوله من مثل: أخلف لكم الله خيرا منه، وأحسن عزاءكم، ولا يدعوا له بالأجر، ولا لميّته بالرّحمة ؛ لأنّهما ليسا من أهل ذلك، وهذا ما

---

[1] يُنْظَرُ: التمهيد لابن عبد البر، ج2، ص12، الاستذكار، ج5، ص89، كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي، ج1، ص132، المحلى لابن حزم، ج9، ص159.

[2] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، رقم: (5333) ج5، ص2142.

[3] أخرجه ابن السُّنِّي، عمل اليوم واللّيلة، رقم: (554) ص504. ويُنْظَرُ: نصب الرّاية لأحاديث الهداية للزّيلعي، ج4، ص272.

[4] صحيح البخاري، ج5، ص2142.

[5] عمدة القاري للعيني، ج8، ص175.

[6] فتح الباري لابن حجر، ج3، ص221.

[7] شرح صحيح البخاري لابن بطال، ج9، ص380.

[8] فتح الباري لابن حجر، ج10، ص119.

يدلُّ عليه عموم قوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[سورة الممتحنة: 8] ويدلُّ عليه عيادته ﷺ لليهوديّ[1]. قال ابن رشد: "وقد روي عن مالك رحمه الله أنّ للرجل أن يعزّي جاره الكافر بموت أبيه الكافر، لذِمَام الجوار ..."[2]. وقال المزني: قال الشّافعيُّ: "وَيَقُولُ فِي تَعْزِيَةِ النَّصْرَانِيِّ لِقَرَابَتِهِ: "أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَا نَقَصَ عَدَدَكَ"[3]. وقال الشّيرازيُّ: "وفي تعزية الكافر بالكافر أخلف الله عليك ولا نقص عددك"[4] وقال النّووي: "ويجوز للمسلم أن يعزّي الذّمّيَّ بقريبه الذّمي فيقول: أخلف الله عليك ولا نقص عددك"[5].

وكلُّ ذلك من أجل الترغيب في دين الله، ودعوتهم إلى الله تعالى بحسن الخلق، وإشهار محامد الإسلام، وإظهار سماحته، وإبانة بعده عمّا يرمى به من التّزمت والغلو.

9- إعطاء المسلم لغير المسلمين من صدقة ماله

من منظور النّزعة الإنسانيّة في الإسلام فإنّه أباح للمسلم أن يتصدّق بشيء من ماله على غير المسلم إذا كان غير حربي ويوصى له، ويكافئ من أسدى إليه معروفا منهم؛ ففي الحديث عن النّبيِّ ﷺ قال: "تَصَدَّقُوا عَلَى أَهْلِ الْأَدْيَانِ"[6]؛ وهو من البرِّ المباح إسداؤه لهم بنصِّ قول الله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [سورة الممتحنة: 8] ؛ قال الرّازيُّ: "قال أهل التّأويل: هذه الآية تدلُّ على جواز البرّ بين المشركين والمسلمين، وإن كانت الموالاة منقطعة، وقوله تعالى: (وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ) قال ابن عباس: يريد بالصِّلة وغيرها (إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ) يريد أهل البرِّ والتّواصل"[7]. وقال السّرخسي: "لَا بَأْسَ بِأَنْ يَصِلَ الْمُسْلِمُ الْمُشْرِكَ قَرِيبًا كَانَ أَوْ بَعِيدًا، مُحَارِبًا كَانَ أَوْ ذِمِّيًّا"[8].

---

[1] يُنْظَرُ: تبيين الحقائق لفخر الدِّين الزّيلعي، ج6، ص30، المغني لابن قدامة، ج2، ص212.

[2] البيان والتّحصيل لابن رشد، ج2، ص212.

[3] مختصر المزني للمزني، ص39.

[4] التّنبيه للشيرازي، ص53.

[5] روضة الطالبين للنّووي، ج2، ص145.

[6] أخرجه ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، رقم: (10398) ج2، ص401. هذا الحديث أخرجه ابن أبي شيبة مرسلا، وله عنده شاهد آخر عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ، قَالَ: كَرِهَ النَّاسُ أَنْ يَتَصَدَّقُوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (لَيْسَ عَلَيْك هُدَاهُمْ) (سورة البقرة: 2/ 272) قَالَ: فَتَصَدَّقَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ. وَهو مُرسَل أيضا. ونقل الزّيلعي في نصب الرّاية لأحاديث الهداية، ج2، ص398، وابن حجر في الدّراية في تخريج أحاديث الهداية ،ج1، ص266، عن أبي أَحْمَدَ بْنُ زَنْجُوَيْهِ النَّسَائِيّ فِي كِتَابِ الْأَمْوَالِ أنه أخرج عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَصَدَّقَ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ الْيَهُودِ بِصَدَقَةٍ، فَهِيَ تَجْرِي عَلَيْهِمْ". قال ابن حجري ف الدّراية في تخريج أحاديث الهداية، ج1، ص266، بعد ذكره هذه الأحاديث الثلاثة: "وَهَذِهِ مَرَاسِيل يشدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا". يُنْظَرُ: نصب الرّاية لأحاديث الهداية للزيلعي، ج2، ص398، والدّراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر، ج1، ص266.

[7] التفسير الكبير للرازي، ج29، ص263.

[8] يُنْظَرُ: شرح السِّير الكبير للسّرخسي، ج1، ص69.

وقد وصف الله عزّ وجلّ الأبرار من عباده بقوله: ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴾ [سورة الإنسان: 8]، ولم يكن الأسير حين نزلت الآية إلا من المشركين[1].

وعلى هذه النّزعة الإنسانيّة النّبيلة تربى الصّحابة الكرام رضوان الله عليهم فحرصوا على إيصال برّهم إلى كلِّ النّاس سواء أكانوا من المسلمين أو من غيرهم، فهذا عبد الله بن عمرو تذبح له في بيته شاة، فيشارك فيها جاره اليهوديَّ، ويأبى أن ينفرد بها لنفسه وأن يستأثر بها دون جاره، ويلحُّ في السُّؤال هل أهدي منها شيء لجاره اليهوديِّ أم لا، فعَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ فِي أَهْلِهِ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟ أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ"[2].

10- الرِّفق في الخطاب، وعدم الفحش في الكلام معهم

ربّى النّبيُّ عليه الصّلاة والسّلام المسلمين على الرِّفق في الأمر كلِّه، فوجّههم إلى حسن القول، وطيّب الحديث، ونهاهم عن الفحش في الكلام، فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: عَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَهْلًا يَا عَائِشَةُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ" فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: "أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَقَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ"[3]. وفي لفظ آخر عند مسلم عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أُنَاسٌ مِنْ الْيَهُودِ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: "وَعَلَيْكُمْ" قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمْ السَّامُ وَالذَّامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا عَائِشَةُ لَا تَكُونِي فَاحِشَةً" فَقَالَتْ: مَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا؟! فَقَالَ: "أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ الَّذِي قَالُوا قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ"[4]. وفي لفظ آخر: قَالَ: فَفَطِنَتْ بِهِمْ عَائِشَةُ فَسَبَّتْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَهْ يَا عَائِشَةُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ"[5].

وفي هذه النُّصوص النّبويّة تعليم منه ﷺ لأمّته كيفيّة معاملتهم لغيرهم في ردِّ سلامهم، وأنّه يشرع في ذلك الرِّفق واللِّين وعدم الإفحاش في القول معهم؛ فتأمّل هذا الخلق الكريم، وهذه المعاملة الإنسانيّة الرّاقية، يأتي النّبيَّ أعداؤه يدعون عليه بالموت فيجيبهم بقوله: "وَعَلَيْكُمْ" ولا يزيد على ذلك شيئا، فتمتعض لذلك زوجه الصِّدّيقة عائشة فترد عليهم فيأمرها ﷺ بالرِّفق واللِّين؛ معلِّلا ذلك بأنَّ "اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ"

11- برّ المسلم بغير المسلمين

---

[1] يُنْظَرُ: أحكام القرآن للشّافعي، ج2، ص194.

[2] أخرجه الحميدي، مسند الحميدي، رقم: (593) ج2، ص270، والتّرمذي، سنن الترمذي، رقم: (1943) ج4، ص333.

[3] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، رقم: (6528) ج6، ص2539، ومسلم، صحيح مسلم، رقم: (2165) ج4، ص1706.

[4] أخرجه مسلم، صحيح مسلم، رقم: (2165) ج4، ص1706.

[5] أخرجه مسلم، صحيح مسلم، رقم: (2165) ج4، ص1707.

المراد بالبرّ حسن المعاملة والإكرام، وهو مبدأ عام يندرج تحته صنوف من الأخلاق الفاضلة، والخصال الحميدة، وأنواع عديدة من الصّلات، والأصل لهذا المبدأ قول الله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [سورة الممتحنة: 8 – 9] . قال الشّافعي في بيان معنى هذه الآية الكريمة: "يقال والله أعلم إنّ بعض المسلمين تأثّم من صلة المشركين أحسب ذلك لمّا نزل فرض جهادهم وقطع الولاية بينهم وبينهم ونزل: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [سورة المجادلة: 22] فلمّا خافوا أن تكون المودّة الصّلة بالمال أنزل: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [سورة الممتحنة: 8 – 9] قال الشّافعي رحمه الله وكانت الصّلة بالمال والبرّ والإقساط ولين الكلام والمراسلة بحكم الله غير ما نهوا عنه من الولاية لمن نهوا عن ولايته مع المظاهرة على المسلمين؛ وذلك أنّه أباح برَّ من لم يظاهر عليهم من المشركين والإقساط إليهم ولم يحرّم ذلك إلى من أظهر عليهم بل ذكر الذين ظاهروا عليهم فنهاهم عن ولايتهم وكان الولاية غير البرّ والإقساط"[1].

وقد تمثّلت عمق النّظرة الإنسانيّة النّبيلة عند النّبيّ ﷺ في كثير من مواقفه مع من آذوه في الله، وحاولوا منعه من إيصال أمانة دعوته للنّاس، واضطهدوه ونكّلوا بأتباعه وأذاقوهم أعظم صنوف التعذيب، ومع ذلك فما كانت مواقفه معهم إلا مواقف الإنسان البَرّ الكريم، والمتسامح العطوف ومن ذلك:

1- أنّه لمّا أسلم ثمامة بن أثال الحنفي في السّنة السّادسة للهجرة أقسم أن لا يدخل إلى أهل مكّة حبة من اليمامة، فمنع صدور الميرة إليهم من أرض قومه باليمامة، وكانت مصدر أقواتهم حتى سُمّيت ريف مكّة، فاشتد بالنّاس الأمر، وأضرّ بهم الجوع، حتى ورد في بعض الرّوايات أنّ أهل مكّة أكلوا الْعِلْهِزَ[2] فكتب أهل مكّة إلى رسول الله ﷺ يسألونه يستعطفونه ويسألونه الإذن بدخول الميرة إليهم من اليمامة، وقيل أرسلوا بذلك أبا سفيان فما كان منه ﷺ إلا أن مَنّ عليهم بذلك سمح لهم بدخول الطّعام من اليمامة، وأرسل إلى ثمامة بأن يميرهم، ويرسل إليهم ما يحتاجون إليه من طعام ففعل[3].

2- ما حكاه السّرخسيُّ أنّ النّبيّ ﷺ بعث إلى أهل مكة مالاً لمّا قحطوا ليوزّع على فقرائهم[4].

---

[1] يُنْظَرُ: أحكام القرآن للشّافعي، ج2، ص192 - ص194.

[2] الْعِلْهِزُ: بكسر العين والهاء هو شيء يَتَّخِذه العرب في سِنِيّ المجَاعَة، حيث يَخْلِطون الدَّمَ بأوْبَارِ الإبِل ثم يَشْوُونه بالنَّار ويأكلونه. يُنْظَرُ: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ج3، ص293.

[3] يُنْظَرُ: أحكام القرآن للشّافعي، ج2، ص194، دلائل النُّبوّة للبيهقي، ج4، ص80.

[4] يُنْظَرُ: شرح السِّير الكبير للسّرخسي، ج1، ص69. لم أجد له أصلا وقد ذكره بعض الفقهاء دون عزوه إلى شيء من المصادر الحديثية.

فأيُّ موقف أسمى من هذه المواقف، وأيُّ نبل أعظم من هذا النُّبل، وأيُّ شفقة من هذه الشّفقة، وقارن بين هذه المواقف وبين مواقف من يدعي كفالة الحرّيات، والعدالة.

الخاتمة والاستنتاجات:

بعد النّظر في نصوص الكتاب العزيز ونصوص السُّنّة الشّريفة على صاحبها أفضل الصّلاة وأزكى السّلام، تبيّن لنا بوضوح كيف تكون علاقة المسلم بالآخر، سواء أكان ذلك الآخر مختلفا عنه في أصل العقيدة والفكر، أم كان متّفقا معه في أصل العقيدة - وهي الرّابط الأعظم، والعروة الوثقى بين المسلمين - لكنّه مختلف معه في بعض الرُّؤى والأفكار؛ وقد بدا لنا بوضوح ضرورة التّآلف والوئام بين المسلمين، وتجلّت لنا أهميّة الوحدة بينهم؛ لأنّ ذلك من صميم الدِّين؛ وذلك أنّ دخول الجنّة منوط بالإيمان، والإيمان منوط بتحابب المسلمين؛ وقد ذكرتُ جملة من السُّبل التي أحسبها ذات أثر فاعل في تحقيق الألفة وتقوية الأواصر بين المسلمين، ولَمّ شملهم وجمع كلمتهم.

إنّ الاختلاف في الآراء والمذاهب - وإن كان واقعا - فإنّه لا يصحُّ بحال أن نجعله عائقا عن تحقيق التّآلف؛ وإنّه لا يسوّغ لنا بحال الاختلاف والفرقة؛ إذ إنَّ ذلك أمر فطريٌّ وطبيعيٌّ، وإنّ علينا أن نجعل من ذلك مظهرا إيجابيا بحيث نستفيد من كلِّ ما خلّفه لنا علماؤنا وأسلافنا من فقه وفكر في حلول مشكلاتنا المعاصرة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والتربويّة - مع عدم إلغاء ظروف كلٍّ مِنَّا الزّمانيّة والمكانيّة - ونسعى من خلاله إلى تأسيس فقه لا يستوعب قضايانا الواقعة في مجال الاقتصاد والاجتماع فحسب، بل توجد فضاءات واسعة من التّفكير الإيجابي في إيجاد صور واستحداث معاملات تسهم في بناء اقتصاد يعود بالرّفاه على بني الإنسان، ويحفظ له حقوقه بعيدا عن الأنانيّة، واستغلال حاجته، ويفتح أمامنا مجالات رحبة في سبيل ذلك، حتّى تعود الأمّة الإسلاميّة أمّةً فاعلة في بناء الحضارة الإنسانيّة.

ولتجاوز التّحزب لطائفيّة أو قوميّة؛ فإنّ الولاء يجب أن يكون لعموم الإسلام؛ إذ لا يؤمن أحدنا حتى يكون هواه تبعا لما جاء به نبيُّنا عليه الصّلاة والسّلام، كما ثبت في الحديث الصّحيح عنه، وكما قال عليه الصّلاة والسّلام: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" فعلينا أن نغرس ذلك في أبنائنا وناشئتنا فلا نفوت مصلحة للمسلمين، ولا نقف حجرة عثرة في سبيل ما ينفعهم بسبب طائفية أو قوميّة؛ فإنّ كل ذلك أمر يرفضه الإسلام؛ لما تقدّم من نصوص دالّة عليه.

وأمّا علاقتنا مع الآخر المختلف عقيدة فقد بيّنت أنّها علاقةٌ أساسها الذي تُبنى عليه، وأصلها الذي تستند إليه هو قول الله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿8﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [سورة الممتحنة: 8 – 9] وقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴾[سورة البقرة: 256] وقد قرّرت نصوص التّشريع الإسلامي مبدأ الحريّة الدِّينيّة، ومبدأ المساواة في أصل الخلقة والنّشأة، وأنّ النّاس جميعا بنو رجل واحد فلا يتفاضلون إلا بتقوى الله والعمل بما فيه رضاه،

وبيّنت أنّ الأصل في علاقةِ المسلمين بغيرهم هو السّلام، وأوضحت الدراسة جملة من الأحكام الشّرعيّة في تعامل المسلم مع غيره مِمّن يباينونه فكرا ومعتقدا، وتصوُّرا ومنهجا، وأنَّ تلك المباينة ليست بمانعة من التّعاون الإنساني بينهم وبين المسلمين، وذكرت طائفة من الأحكام الفقهيّة التي توضِّح بجلاء عمق النّظرة الإنسانية في أحكام الإسلام في معاملة المسلمين لغيرهم، كإيجابه البِرّ بالأبوين المشركين، وإجازة إهداء المسلم لغير المسلمين وقبول الهديّة منهم، وعيادة مرضاهم وتعزيتهم، وإعطاء المسلم لغير المسلمين من صدقة ماله، ومشروعية الرِّفق في الخطاب لهم.

وبناء على هذا فإنّ نشر التّعليم الشّرعي في مؤسّساتنا العلميّة، وغرس قيم الإسلام ومبادئه الصّحيحة ومُثُله العليا، حاجة ملحّة، بل ضرورة ماسّة، وليس أنجع في هذا الشّأن، ولا أنفع في هذا الأمر من تخصيص مساق في مختلف المراحل الجامعيّة لجميع التخصصات يتعرّف الطالب من خلاله على محاسن الشّريعة، وسماحة الإسلام في تعامله مع غير معتنقيه؛ وبهذا نسدُّ الباب في وجوه من يروُّجون للتّشدّيد، وغرس روح العنف والتّطرُّف في قلوب النّاشئة.

قائمة المصادر والمراجع

1. أحكام القرآن للشافعي: محمد بن إدريس، أبو عبد الله(ت: 204هـ/ 820م) تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية/ بيروت (1400هـ/...م).
2. الأدب المفرد للبخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي(ت: 256هـ/ 870م) تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي،دار البشائر الإسلامية، بيروت/ الطبعة الثالثة (1409هـ/ 1989م).
3. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني(ت: 1393هـ/) دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت/ لبنان (1415هـ/ 1995م).
4. أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطّابي: حمد بن محمد البستي(ت: 388هـ/ 998م) تحقيق ودراسة: محمد بن سعيد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أمِّ القرى، الطبعة: الأولى(1409هـ/ 1988م).
5. البداية والنهاية لابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، أبو الفداء (ت: 774هـ/ 1373م) مكتبة المعارف/ بيروت.
6. البصائر والذخائر لأبي حيان التّوحيد: أبو حيان علي بن محمد. تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت/ لبنان/ الطبعة: الرابعة (1419هـ/ 999م)
7. بلوغ المرام من أدلَّة الأحكام، ابن حجر: أحمد بن علي، العسقلاني، شهاب الدِّين(ت: 852هـ/ 1449م) تقديم وتصحيح: إبراهيم عسر، دار الجيل/ بيروت (1402هـ/ 1982م)
8. تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري: محمد بن جرير الطبري أبو جعفر(ت: 310هـ/ 923م) دار الكتب العلمية/ بيروت/ الطبعة: الأولى (1407هـ/ ...)
9. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق لفخر الدِّين الزيلعي: عثمان بن علي(ت: 743هـ/ 1343م) دار الكتب الإسلامي/ القاهرة/ (1313هـ/ ...)

10. تفسير الطبري: محمد بن جرير، أبو جعفر(ت: 310هـ/ 923م) دار الفكر، بيروت/ (1405هـ/ .

11. تفسير غريب ما في الصَّحيحين البخاري ومسلم، الحافظ الحميدي: محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي(ت: 488هـ/ 1095م) تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السُنَّة، القاهرة/ مصر/ الطبعة: الأولى (1415هـ/ 1995م).

12. التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب للرازي: محمد بن عمر التّيمي، فخر الدِّين(ت: 606هـ/ 1209م) دار الكتب العلمية، بيروت/ الطبعة: الأولى(1421هـ/ 2000م).

13. التَّمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر: يوسف بن عبد الله(ت: 463هـ/ 1071م) تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي, محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية/ المغرب (1387هـ/ ...م).

14. التَّنبيه للشِّيرازي: إبراهيم بن علي، أبو إسحاق(476هـ/ 1083م) تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، عالم الكتب، بيروت/ الطبعة: الأولى (1403هـ/ ...م).

15. جوهر النِّظام في علمي الأديان والأحكام للسّالمي: عبد الله بن حميد، نور الدين(ت: 1332هـ/ 1914م) تحقيق: أبو إسحاق اطفيش وإبراهيم بن سعيد العبري، الطبعة: الثالثة عشر(1410هـ/ 1989).

16. ديوان أبي مسلم الْبَهْلاني: ناصر بن سالم، أبو مسلم(ت: 1339هـ/ 1920م) ديوان أبي مسلم الْبَهْلاني، وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان(1407هـ/ 1987م).

17. روضة الطَّالبين وعمدة المفتين للنّووي: يحي بن شرف الحوراني(ت: 676هـ/ 1277م) المكتب الإسلامي/ بيروت/ ط: 2 (1405هـ/ ...م).

18. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث، السِّجِسْتاني الأزدي(ت: 275هـ/ 889م) تحقيق: محمد محيي الدِّين عبد الحميد، دار الفكر.

19. سنن التِّرمذي: محمد بن عيسى السُّلمي، أبو عيسى(ت: 279هـ/ 892م) تح: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

20. السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل/ بيروت/ الطبعة: الأولى(1411هـ/ ...).

21. السِّيرة النّبويّة الصّحيحة، لأكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرِّياض/ الطبعة: الثالثة(1418هـ/ 1998م).

22. شرح السُنَّة للبغوي: الحسين بن مسعود البغوي(ت: 510هـ/ 1117م) تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق/ بيروت/ الطبعة: الثانية (1403هـ/ 1983م).

23. شرح صحيح البخاري لابن بطّال: علي بن خلف(ت: 449هـ/ 1057م) تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرُّشْد/ الرِّياض/ الطبعة: الأولى(1420هـ/ 200م)

24. شرح صحيح مسلم للنَّووي: يحي بن شرف بن مرّي بن حسن الحوراني(ت: 676هـ/ 1277م) دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ ط: 2 (1392هـ/ ...م).

25. شرح كتاب السير الكبير للسرخسي: محمد بن أحمد بن سهل(ت: 483هـ/ 1090م) دار الكتب العلمية/ بيروت/ منشورات محمد علي بيضون، الطبعة: الأولى (1417هـ/ 1997م).

26. صحيح البخاري للبخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، الجعفي(ت: 256هـ/ 870م) تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير, اليمامة/ بيروت/ الطبعة: 3 (1407/ 1987).

27. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، القشيري(ت: 261هـ/ 875م) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

28. صحيح ابن حبّان: لمحمد بن حبّان أبو حاتم البستي(ت: 354هـ/ 965م) بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسّسة الرِّسالة، بيروت/ الطبعة: الثانية(1414هـ/ 1993م).

29. عمل اليوم والليلة لابن السُّنِّي: أحمد بن محمد بن إسحاق الدِّينوري (ت: 364هـ/ 974م) تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة للثّقافة الإسلاميّة، ومؤسسة علوم القرآن، جدة/ بيروت.

30. كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام(ت: 224هـ/ 838م) تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر/ بيروت (1408هـ/ 1988م).

31. كتاب الضِّياء للعوتبي: مسلم بن إبراهيم الأزدي، أبو المنذر(ت: القرن: 5هـ/ 11م)، وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، الطبعة: الأولى (1411هـ/ 1991م).

32. كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، أبو الفرج (ت: 597هـ/ 1201م) تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن/ الرِّياض (1418هـ/ 1997م).

33. مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد للهيثمي: على بن أبي بكر، نور الدِّين(ت: 807هـ/ 1405م) دار الريان للتراث, ودار الكتاب العربي/ القاهرة/ بيروت/ (1407هـ/ ...م).

34. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطيّة: عبد الحق بن غالب(ت: 481هـ/ 1148م)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية/ لبنان/ الطبعة: الأولى (1413هـ/ 1993م).

35. المحلَّى لابن حزم: علي بن أحمد ، أبو محمد(ت: 456هـ/ 1064م) تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة/ بيروت.

36. مختصر المزني للمزني: إسماعيل بن يحي، أبو إبراهيم(ت: 264هـ/ 878م) دار المعرفة، بيروت/ الطبعة: الثانية (1393هـ/ ...).

37. مسند أحمد بن حنبل، الشَّيباني(ت: 241هـ/ 855م) مؤسَّسة قرطبة/ مصر.

38. مسند الحميدي، عبد الله بن الزبير، أبو بكر الأسدي(ت: 219هـ/ 834م) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية, مكتبة المتنبي، بيروت/ القاهرة.

39. مسند أبي يعلى: أحمد بن علي الموصلي التميمي (ت: 307هـ/ 1919م) تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتُّراث، دمشق/ الطبعة: الأولى (1404هـ/ 1984م).

40. مصنف ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، أبو بكر(ت: 235هـ/ 849م) تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرُّشْد/ الرِّياض/ ط: 1 (1409هـ/ ...م).

41. المعجم الأوسط للطبراني: سليمان بن أحمد(ت: 360هـ/ 971م) تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد, وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين/ القاهرة (1415هـ/ ...م).

42. الموطّأ، للإمام مالك بن أنس الأصبحي(ت: 179هـ/ 795) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي/ مصر.

43. المغني لابن قدامة: عبد الله بن محمد بن قدامة، موفّق الدِّين(ت: 620هـ/ 1223م) دار الفكر، بيروت/ الطبعة: الأولى(1405هـ/ ...م).

44. نصب الرَّاية لأحاديث الهداية للزيلعي: عبد الله بن يوسف، جمال الدِّين(ت: 762هـ/ 1360م) تحقيق: محمد يوسف البنوري، دار الحديث/ مصر(1357هـ/ ...م).

45. النّهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: المبارك بن محمد الجزري، أبو السعادات(ت: 606هـ/ 1209م) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت (1399هـ/ 1979م).

المنهج الإرشادي الديني المستنبط من القرآن الكريم

د. عبد عطاالله عبد حمايل
جامعة القدس المفتوحة
رام الله - فلسطين

ملخص البحث

جاء هذا البحث بعنوان: "المنهج الإرشادي الديني المستنبط من القرآن الكريم". وهدف إلى استنباط معايير المنهج الإرشادي الديني من القرآن الكريم، والاستدلال عليها من خلال المعاني التي تمّ فهمها من النصّ القرآني الوارد في (40) سورة من سور القرآن الكريم، وأجاب البحث عن السؤال الرئيس الآتي:

ما المنهج الإرشادي الديني المستنبط من القرآن الكريم.؟ وانبثق عن السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية :

1. ما الأدلة المستنبطة من القرآن الكريم، الدالة على منهجيته الإرشادية؟
2. ما أسباب الاضطرابات النفسية المستنبطة من المنهج القرآني؟
3. ما الأهداف العامة الكامنة وراء المنهج الإرشادي المستنبط من القرآن الكريم؟
4. ما الأساليب الإرشادية التي يستدل عليها من المنهج الإرشادي القرآني؟

وتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد التحليل والتفسير، وأسلوب تحليل المضمون، ومنهج الاستدلال الأستنباطي للإجابة عن أسئلة الدراسة، وتوصّل البحث إلى استباط مجموعة كبيرة من النصوص القرآنية التي تحدّد المنهج الارشادي في القرآن الكريم. وانتهى البحث بالعديد من النتائج، والتوصيات، المنبثقة عن نتائجه.

الكلمات المفتاحية: المنهج الإرشادي- الاضطرابات النفسية- الإرشاد الديني

Abstract

This research is entitled “The Religious Guiding Approach Induced from the Holy Quran”. It aimed at inducing and pointing out the criteria of the religious guiding approach from the holy Quran through the meanings grasped from the Qoranic texts in forty of the holy Quran suras. The research has answered the following main question:

What is the religious guiding approach in the holy Quran? The following minor questions have emerged from the main question:

1- What are the pieces of evidence induced fro the holy Quran which indicate its guiding approach?

2- What are the reasons for the psychological confusions induced from the holy Quran?

3- What are the general aims underlying the guiding approach induced from the holy Quran?
4- What are the guiding methods which can be indicated from the Qoranic approach?
The descriptive analytical approach along with the content analysis technique and the inductive method were employed for answering the questions of the study. The research came up with inducing a number of Qoranic texts which identify the guiding approach in the holy Quran. Finally, the research ended up with several conclusions and recommendations.

الفصل الأول:خلفية الدراسة ومشكلتها.

- المقدمة:

لقد أصبح إنسان العصر في حاجة ماسة إلى التوجيه والإرشاد، أيّا كان موقعه وعمره، بحكم التغيّرات الاجتماعية والاقتصادية والمهنية والتقنية المتسارعة، ويأتي اهتمام التوجيه والإرشاد الديني منصبّاً على حاجات الفرد، النفسية والاجتماعية والسلوكية، كما يعدّ التوجيه والإرشاد عنصراً مهماً في العملية التربوية والتعليمة.

والإرشاد عملية وقائية وإنمائية وعلاجية، تتطلب تخصصاً وإعداداً وكفاءة ومهارة، كون هذه العملية فرعاً من فروع علم النفس التطبيقي، وأن خدمات التوجيه العامة وخدمات الإرشاد خاصة ما تأتي عادة في مفهوم واحد هو: التوجيه والإرشاد (أبو شهبه، 2007).

ومن هنا يمكن القول بأن الإرشاد، عملية منظمة ومخططة، تهدف إلى مساعدة الفرد لكي يفهم ذاته، ويعرف قدراته، ويطور مهاراته، ويحل مشكلاته، ويحقق أهدافه، في إطار القيم المجتمعية، والأهداف العامة للمجتمع، وبالتالي تحقيق التوافق النفسي والتربوي والمهني والاجتماعي للفرد (عبد العزيز، وعطيوي، 2004).

وتأتي تعاليم الدين الإسلامي كمعايير أساسية في تنظيم سلوك الأفراد والجماعات، والتمسك بها كمصدر أمن نفسي وطمأنينة، على اعتبار أن المعتقدات الدينية لكل من المرشد والمسترشد مهمة وأساسية في عملية الإرشاد، فالإرشاد يحتاج إلى المرشد الذي يخشى الله ويراقبه في عمله، ويحتاج إلى المرشد الملم ببعض المفاهيم الدينية الأساسية مثل: طبيعة الإنسان كما حددها الله سبحانه وتعالى، وأسباب الاضطراب النفسي في رأي الدين، كالذنوب، وضعف الوازع الديني، وأعراض الاضطراب النفسي، كالانحراف، والشعور بالإثم، والخوف، والقلق، والاكتئاب، والوسواس، وكيفية التخلص من الوزر، والتوبة الصادقة (ياركندي، 2003).

وعلى المرشد أن يلم ببعض سبل الوقاية من الاضطراب النفسي في الإسلام، كالإيمان والسلوك الديني الأخلاقي، وكذلك خطوات الإرشاد الديني، مثل: الاعتراف بالذنب، والتوبة، والاستبصار بالذات، والتعلم،

والدعاء، والاستغفار، وذكر الله، والصبر، والتوكل على الله، والاستشهاد بالأدلة من القرآن والسنة النبوية الشريفة، التي تساهم في تغير الاتجاهات وضبط السلوك (مرسي، 2000).

والمفهوم الصحيح هو ما جاء به الدين الإسلامي، حيث ميز الله سبحانه وتعالى الإنسان بالعقل والتفكير، وبصره وعلمه وكرمه على سائر المخلوقات، فهو مفطور على الخير، ولديه شهوات، وهو محاسب على استخدام ذلك العقل، وفهم هذه الطبيعة، يساعد المرشد التربوي على نجاح عملية الإرشاد وفهم المسترشد (الخواجا، 2002).

لذا يؤدي الدين جملة من الوظائف التي لا غنى عنها لكل من الفرد والجماعة، لكونه عاملاً مهماً في حياة الإنسان النفسية، وعنصراً أساسياً في نمو شخصيته، وأعظم دعائم السلوك، حيث يوفر قاعدة وجدانية تضمن الأمن والاطمئنان النفسي، والاتزان الانفعالي، وتفاؤل وحب للحياة، وعدم النظرة إليها نظرة تشاؤمية، وتأكيد الهوية، لما يوفره الإحساس الديني من إحساس بالسعادة والرضا والقناعة والإيمان بالقضاء والقدر، ويخفف من وطأة الكوارث والأزمات التي تعترض طريق الفرد، فيشعر الفرد بالاطمئنان وعدم الخوف أو التشاؤم من المستقبل، من خلال إطار علاقة الإنسان بخالقه، التي تعد موجهاً لسلوكه في شتى مناحي الحياة، وفي كل مرحلة عمرية من حياته (العيسوي, 2002).

ويعد الدين تجسيداً لأعلى الطموحات الإنسانية، باعتباره حصن الأخلاق، الذي يعد المصدر الأساسي لأمن الأفراد، لتحقيق السلام الداخلي لهم (الهرماسي, 1990).

ويشير (مرسي, 2000) إلى أن الإرشاد النفسي الديني الإسلامي يستمد مسلماته ومبادئه من الشريعة الإسلامية، والتي تستند على الأسس الآتية:

1. النصيحة عماد الدين وقوامه، فالدين النصيحة كما قال صلى الله عليه وسلم.
2. الإرشاد من أفضل الأعمال عند الله لأن فيه نفع للناس.
3. الإرشاد خدمة يقصد بها وجه الله وطلب مرضاته.
4. يقوم الإرشاد على تنمية إرادة الفرد في طلب ما ينفعه وترك ما يضره.
5. كل شخص حر في اتخاذ قراراته بنفسه واختيار ما يناسبه من الأنشطة التي أحلها الله له.
6. الالتزام في الإرشاد بالمحافظة على خصائص النظام والتمسك بالأخلاق الإسلامية.

فالإرشاد النفسي الديني يقوم على أساس اللجوء إلى الله عند الشدة، و هذه طبيعة نفسية بشرية، وأن في ارتباط الإنسان بفاطره وموجده القوي العليم الخبير يقوده إلى الأمن النفسي، فإذا أفضى بمخاوفه و قلقه إلى الله، ولجأ إليه هدأت نفسه وشعرت بالسكينة، وبذلك يشفى من الجزع و الفزع و الخوف و الحزن. (شاذلي, 1999).

ولقد تزايد الاهتمام و الوعي في السنوات الأخيرة بالإرشاد الديني، أو العلاج الروحي، باستخدام أساليب دينية، بهدف مساعدة المسترشد على حل مشكلاته وتحقيق أهدافه، التي تكون في الغالب ذات طابع ديني أو

عقلي أو عاطفي أو جسدي أو روحي، و تقوم بالأساس على معتقدات و تعاليم ديانة معينة لتحقيق أهداف المسترشد من خلال الدين كأساس (محمد، ومرسي،1997).

ويعرف الإرشاد الديني بأنه: مجموعة من الخدمات التخصصية التي يقدمها اختصاصيون في علم النفس الإرشادي، لأشخاص يعانون من سوء توافق نفسي، أو شخصي، أو اجتماعي، ويهدف إلى مساعدتهم على تجنب الوقوع في مشكلات أو محن نفسية أو اجتماعية أو أسرية، وتقليل آثارها إذا وقعت، وتزويدهم بالمعارف الدينية والعلمية والمهارات الفنية، لتحسين توافقهم النفسي مع هذه الظروف، استرشاداً بالعبادات والقيم الدينية، مثل: التقوى، والتوكل، والصبر، والإيمان، والدعاء من ناحية، ومن ناحية أخرى، استغلال فنيات وأساليب ونظريات الإرشاد النفسي بأنواعها، كوسائل معينة لمساعدة المسترشد على تحقيق النمو الذاتي وتحمل المسئولية الاجتماعية وتحقيق أهدافه المشروعة من الناحية الدينية، في نطاق قدراته وإمكاناته (السهل, 2001).

كما عرّف (زهران, 1999) الإرشاد والعلاج النفسي الديني بأنه: أسلوب توجيه وإرشاد وتربية وتعليم، وعرّفه (مرسي و محمد، 1997) بأنه: عمليات تعلم وتعليم نفسي اجتماعي، تتم في مواجهة بين شخص متخصص (مرشد)، وشخص أخر يقع عليه التوجيه والإرشاد (المسترشد)، ويستخدم فيه فنيات وتقنيات وأساليب فنية ومهنية، ويهدف إلى مساعدة المسترشد على حل مشكلاته ومواجهتها بأساليب توافقية مباشرة، وإعانته على فهم نفسه، ومعرفة قدراته وميوله، وتشجيعه على الرضا بما قسم الله له، وتدريبه على اتخاذ قراراته بهدي من شرع الله حتى ينشأ عنده طلب الحلال بإرادته، وترك الحرام بإرادته, ويضع لنفسه أهدافاً واقعية مشروعة، ويزيد من قدرته على عمل ما ينفعه وينفع الآخرين، ويجد تحقيق ذاته في فعل ما يرضي الله، فينعم بالسعادة في الدنيا والآخرة.

أما (إبراهيم, 1980)، فيرى أن الإرشاد والعلاج النفسي الديني، عملية توجيه وإرشاد وعلاج وتربية وتعليم تتضمن تصحيح وتغيير تعلم سابق خاطئ، وهو إرشاد تدعيمي يقوم على استخدام القيم والمفاهيم الدينية والخلقية، ويتناول فيه المرشد مع المسترشد موضوع الاعتراف والتوبة والاستبصار، وتعلم مهارات وقيم جديدة، تعمل على وقاية وعلاج الفرد من الاضطرابات السلوكية والنفسية.

ويرى (خضر, 2000)، الإرشاد النفسي الديني، بأنه محاولة مساعدة الفرد لاستخدام المعطيات الدينية، للوصول إلى حالة من التوافق، تسمح له بالقدرة على ضبط انفعالاته إلى الحد الذي يساعده على النجاح في الحياة.

أما (ياركندي, 2003)، فترى أن الإرشاد النفسي الديني هو استخدام مبادئ وأحكام الدين في توجيه سلوك الأفراد، بحيث يتفق مع هذه المبادئ والأحكام. لكن (الأحمد, 1999)، يرى الإرشاد النفسي الديني، بأنه مجموعة من الأساليب والمعارف والخدمات يقدمها أخصائيون في الإرشاد، معتمدين على القرآن والسنة، بهدف تحقيق الصحة النفسية.

بينما يرى (الحبيب, 2005)، الإرشاد النفسي الديني، بأنه طريقة من الطرق الإرشادية التي تستخدم فنيات الدين وقيمه ومفاهيمه، في إصلاح عيوب النفس وإرجاعها إلى فطرتها السليمة التي فطرها الله عليها. وفي تعريف آخر يرى (المهدي، 2005)، أن الإرشاد النفسي الديني هو إرشاد روحي بمعناه الغيبي غير المحسوس، بالإضافة إلى الاهتمام الملحوظ بالعلاج النفسي، الذي أخضع للدراسة على صعيد العلم و التجربة أحياناً، وبهذا يجمع بين الأخذ بالأسباب واللجوء إلى خالقها.

كل هذه التعريفات عرضت للإرشاد والعلاج النفسي الديني، كعملية لها أهدافها وفنياتها ومبادئها ومراحلها، لأن الإرشاد النفسي الديني يشتمل على كل الرسالات السماوية، وقدم الدين الإسلامي تصوراً كاملاً عن النفس الإنسانية في صحتها ومرضها، كما أنه الرسالة الخاتمة، التي جاءت لتناسب كل زمان ومكان وللإنسانية عامة.

ويتضح من العرض السابق لمفهوم الإرشاد النفسي الديني من منظور إسلامي، أنه ركز على أشكال الإرشاد النفسي الذي يستمد أساسياته وفنياته من الإسلام، وأنه ذو فعالية في تخفيف الاضطرابات النفسية، الأمر الذي يسهم في تحقيق الاتزان الروحي والاستقرار النفسي في نهاية المطاف.

ويرى الباحثان أيضاً، أن العلاج النفسي الديني هو أحد أنواع العلاج النفسي المحددة المبادئ، والمفاهيم، والأسس، والخطوات، والفنيات، التي تهتم بتوجيه المسترشد إلى الاهتمام بعلاج الاضطراب الذي يعانى منه، وفق المفاهيم الدينية الصحيحة، والأفكار السليمة التي تساعده على التوافق النفسي، والاجتماعي، والروحي.

وقد ظهرت منذ بداية الستينيات وحتى الآن، المقدمات التي قام بها علماء النفس، والتي تنادي بأهمية الإفادة من التعاليم والقيم الدينية الإسلامية في الإرشاد النفسي و الصحة النفسية، وترى أن الإيمان الحقيقي بالله قوة هائلة تمد الإنسان المتدين بطاقة روحية تعينه على تحمل مشاق الحياة وتجنبه القلق الناتج عن الاهتمام بالحياة المادية (الخطيب, 2002).

وتمثلت تلك الاتجاهات في كتابات عديدةً منها : عبد الوهاب حمودة (1962)، القرآن وعلم النفس، ومحمد ماهر عمر (1983)، ملامح علم النفس الإسلامي، وحسن محمد الشرقاوي (1984)، نحو علم نفس إسلامي، وسيد عبد الحميد مرسي (1985)، سلسة دراسات نفسية إسلامية "الشخصية السوية"، ومحمد عثمان نجاتي (1987)، القرآن وعلم النفس، ومحمد عبد الفتاح مهدي (1990)، نحو علم نفس إسلامي "العلاج النفسي في ضوء الإسلام"، وسيكولوجية الدين والتدين، ورشاد علي عبد العزيز موسى (1993)، علم النفس الديني، أساليب العلاج النفسي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، ومحمد يوسف خليل (1994)، تلاوة القرآن الكريم وأثرها على اطمئنان النفس، ومحمد عوده، وكمال مرسي (1994)، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، وعبد العلي الجسماني (1996)، علم النفس القرآني والتهذيب الوجداني، ومصطفى محمود (1998)، علم نفس قرآني جديد، وعبد الرحمن محمد العيسوي (2001)، سيكولوجية الإسلام والإنسان المعاصر، و محمد محروس الشناوي (2001)، بحوث في التوجيه الإسلامي للإرشاد والعلاج

النفسي، ومحمد رمضان محمد (2006)، الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في علم النفس والتحليل النفسي (الحديبي، 2010).

كما أشارت العديد من الدراسات كدراسة(بيرجن،1987)، ودراسة (واتنج، 1989)، ودراسة أخرى قام بها (موسى, 1992)، إلى وجود علاقة ارتباطيه موجبة بين التوجهات الدينية وتقدير الذات، و وجود علاقة ارتباطية سلبية مع كل من القلق، والاكتئاب، وأن الأفراد الأكثر تديناً أقل قلقاً واكتئاباً وأكثر تأكيداً لذواتهم (الحديبي، 2010).

ويحتل التدين مكانة بارزة بين حاجات الأفراد، بكونه دافعاً فطرياً للفرد لعبادة الله، وطلب العون والحاجة منه، وقد اعتبره (البورت)، في دراسة له بأنه حاجة نفسية موروثة، فمعظم الناس عبر تاريخ البشرية يمارسون شكلاً ما من أشكال التدين، يمثل لهم محدداً لهويتهم (الحديبي،2010).

وكذلك أشار (الريماوي، 1986)، إلى أن الحاجة للتدين استعداد فطري عند الإنسان، وهي حاجة ملحة نامية، يتعلم الفرد كيف يشبعها من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية في البيت والمدرسة، وأن التدين الحقيقي الجوهري أفضل من التدين الظاهري في إشباع الحاجة إلى التدين، وينادي علماء علم النفس والطب النفسي والصحة النفسية بضرورة تنمية الحاجة إلى الدين وإشباعها للوقاية من الاضطرابات النفسية.

وتجدر الإشارة إلى أن الإرشاد النفسي التكاملي قد أهمل الروح التي تسبب الوحدة والتكامل للإنسان، وتربط العلاقة بين الفرد وربه. (الخراشي, 1999).

مشكلة البحث:

مع ظهور الاتجاهات الحديثة، والنظريات المتعددة، التي أكدت على أهمية وضرورة التوجيه والإرشاد في حياة الأفراد والجماعات، وكذلك ظهور العديد من الكتب والمؤلفات، التي أبرزت دور الإرشاد والتوجيه في تعديل سلوك الأفراد، ومساعدتهم على التكيف، ومحاولة القضاء على الاضطرابات النفسية التي يعيشونها، لإيجاد التوافق والانسجام بين الإنسان ونفسه في حياته العامة والخاصة، إلا أن هذه الاتجاهات والنظريات والمحاولات والمؤلفات لم تأخذ بالأهمية المتعلقة بالإرشاد الديني كما يجب، ولم تأخذ بالمنهج القرآني، الذي يعد المنهج الأكمل، باعتباره يحتوي على نظرية إرشادية حقيقية وواقعية قابلة للتطبيق والممارسة، وقادرة على تخليص الفرد والجماعة، من كل المشاكل والتحديات والصعوبات النفسية، والحياتية، والتوافقية، التي تسهل عليهم الحياة والتكيف والانسجام مع الواقع الذي يعيشونه، بعيدا عن القلق والاضطراب والانحراف والضنك.

وانطلاقا مما سبق ذكره، جاء هذا البحث ليجيب عن السؤال الرئيس الآتي:

- ما المنهج الإرشادي الديني المستنبط من القرآن الكريم ؟, وانبثق عن السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

1. ما الأدلة المستنبطة من القرآن الكريم، الدالة على منهجيته الإرشادية؟

2. ما أسباب الاضطرابات النفسية المستنبطة من المنهج القرآني؟
3. ما الأهداف العامة الكامنة وراء المنهج الإرشادي المستنبط من القرآن الكريم؟
4. ما الأساليب الإرشادية التي يستدل عليها من المنهج الإرشادي القرآني؟

أهداف البحث:

1. استنباط المنهج الإرشادي الديني الذي جاء به القرآن الكريم.
2. التعرف على الأدلة المستنبطة من القرآن الكريم، الدالة على منهجيته الإرشادية.
3. استنباط أسباب الاضطرابات النفسية من المنهج القرآني.
4. الاستدلال على الأهداف العمة الكامنة وراء المنهج الإرشادي المستنبط من القرآن الكريم .
5. الاستدلال على الأساليب الإرشادية التي وردت في المنهج الإرشادي القرآني.

- أهمية البحث:

تكمن أهمية الدراسة فيما يأتي:

1. يستمد البحث أهميته من أهمية القرآن الكريم، ودوره في تقديم منهج واضح وجلي فيما يتعلق بعملية الإرشاد التربوي الفردي والجمعي.

يكتسب هذا البحث أهميته من أهمية المنهج الإرشادي الديني، في حياة الأفراد والمجتمعات الإسلامية.﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الجاثية6]

2. وجود حاجة ملحة لتطبيق المنهج الإرشادي الديني، المنطلق من القرآن الكريم لمساعدة النشء المسلم، على مواجهة تحديات العصر ومستجداته الضاغطة.
3. العودة إلى القرآن الكريم لاستخلاص الأساليب الإرشادية القرآنية المحركة للسلوك الإنساني من نصوصه، علها تسهم في بناء الشخصية المتوازنة للفرد المسلم ، وتعينه على التكيف مع طبيعة الحياة الواقعية التي يعيشها.
4. الأمل في أن يقدم للمعلمين وأساتذة الجامعات والمتعلمين وكل من يهمه الأمر، صورة واضحة عن المنهج الإرشادي الديني المستنبط من القرآن الكريم لتمثلها وتعلمها وممارستها وتطبيقها في حياتهم الخاصة والعامة.
5. الأمل في أن يوفر هذا البحث الأرضية الخصبة، التي يمكنها المساعدة في تعديل سلوك الأفراد والجماعات، والنشء والمتعلمين، من خلال بناء منظومة إرشادية إسلامية داخل الفرد والمجتمع.
6. الأمل في أن يقدم لمتخذي القرار في المؤسسات التعليمية والمجتمعية، معلومات مفيدة يمكن استخدامها في بناء البرامج، والمناهج، التي من شأنها تعزيز السلوك الإيجابي لدى المتعلمين، والنشء الجديد، والأفراد والمجتمعات كافة.

منهج البحث.

لقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي ، الذي يعتمد التحليل والتفسير، وأسلوب تحليل المضمون ، ومن ثم الإجابة على أسئلة البحث ، بالاعتماد على منهج الاستدلال الاستنباطي.

حدود البحث:

تحددت حدود البحث بالآيات الواردة في السور الآتية: (الفاتحة، سورة البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأعراف، الأنفال، التوبة، يونس، هود، يوسف، الرعد، إبراهيم، النحل، الإسراء، الكهف، الأنبياء، النمل، القصص، العنكبوت، لقمان، الأحزاب، يس، ص، الزمر، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف،، محمد، الحجرات، الذاريات، الحديد، المجادلة، ، الصف، التحريم، الملك نوح، الجن، الليل، بمجموع (40) سورة.

التعريفات الإجرائية:

1. مفهوم المنهج الإرشادي الديني: هو الطرق والأساليب والأدوات الإرشادية، التي تستخدم كأداة للتغلب على المشاكل والعقبات والتحديات، التي تعيق وصول الفرد والجماعة إلى حالة التوافق النفسي، و تحقيق الحاجات النفسية، والوجدانية، والعقلية، والفسيولوجية لدى الأفراد بصفة عامة، والشباب بصفة خاصة, عن طريق الإفادة من المحتوى الإرشادي للقرآن الكريم، لمساعدتهم على تصحيح الأفكار والتصورات الخاطئة لديهم، ولتزيد المسترشد استبصاراً بنفسه، وأعماله، وسلوكه، وكيفية تكيفه مع حاضره ومستقبله، إضافة إلى معرفته لدينه ولربه، و ممارسته للقيم الروحية والأخلاقية، في حياته الخاصة والعامة.

2. **مفهوم الإرشاد النفسي الديني** : مساعدة الفرد على استخدام المعطيات الدينية للوصول إلى حالة من التوافق، تسمح له بتجاوز معاناته، وتساعده على النجاح في الحياة.

- الدراسات السابقة:

1. **دراسة الاسمري (1989) بعنوان:** (دور التوجيه والإرشاد النفسي في الوقاية من الانحراف في المرحلة الثانوية بمنطقة الرياض)، هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على المشكلات التي تنتشر في المرحلة الثانوية في منطقة الرياض ،حيث تم التعرف على دور التوجيه والإرشاد في الوقاية من هذه الانحرافات ، ومن أبرز النتائج ضعف دور الإرشاد النفسي والتوجيه المدرسي من الوقاية من الانحراف بالمرحلة الثانوية ، وإنه من أبرز العوامل التي تؤدي إلى ظهور المشكلات الطلابية هي الانعزالية، وعدم اختيار الأصدقاء المناسبين.

2. **دراسة جبريل (1995) بعنوان:** (برنامج مقترح في الدراسات الدينية الإسلامية)، هدفت الدراسة إلى التعرف إلى برنامج مقترح في الدراسات الإسلامية لطلاب التعليم الابتدائي بكليات التربية وأثره في تنمية ثقافتهم الدينية الإسلامية، وقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي لجمع البيانات وتحليلها، واستخدم المنهج التجريبي وقاس أثره في تنمية الثقافة الإسلامية لدى الطلاب، وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

وجود فروق ذات دلالة إحصائية في بعد "الإسلام والمجتمع" لصالح المجموعة التجريبية. كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية في بعد الإسلام والاقتصاد.

3. **دراسة الظاهري (2002):** بعنوان :(دور التربية الإسلامية في مواجهة الإرهاب) وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أبرزها أن التقصير الحاصل في تدريس المقررات الدينية في بعض البلاد الإسلامية كان السبب المباشر في بروز مشكلة الإرهاب، كما أوضحت الدراسة أهمية الدور التربوي للمدرسة الثانوية لكونها احد المؤسسات التربوية الإسلامية التي تسهم عملياً في تحقيق الأهداف النظرية للتربية الإسلامية من خلال النشاطات المدرسية الصفية وغير الصفية كما أوصت الدراسة بضرورة تعاون جميع المؤسسات الاجتماعية والتربوية مع الأجهزة الأمنية في مواجهة التطرف.

4. **دراسة الأميري (2004):** بعنوان (فاعلية برنامج إرشادي ديني لمواجهة الضغوط النفسية لدى طلبة الجامعة) وهدفت الدراسة إلى التعرف إلى فاعلية برنامج إرشادي ديني في خفض الضغوط النفسية لدى طلاب الجامعة، وإلى التعرف إلى الفروق بين الجنسين في أثر البرنامج الإرشادي الديني في خفض الضغوط النفسية، كما توصلت الدراسة إلى أن فعالية البرنامج الإرشادي في مواجهة الضغوط النفسية لدى طلاب الجامعة ، ربما تعود إلى أن الدين ألإسلامي في المجتمع اليمني متجذر في نفوس اليمنيين جميعاً، ومنهم طلاب الجامعة ، ويلاحظ المهتم بهذا الجانب من خلال ارتياد طلاب الجامعة على الصلوات في مسجد الجامعة وانتشار ظاهرة الحجاب بين الطالبات بشكل عام الأمر الذي يعني أن للدين الإسلامي أثر في مواجهة الضغوط النفسية لدى طلاب الجامعة ، كما انه لم تظهر أي فروق بين الجنسين في فعالية البرنامج الإرشادي الديني .

5. **دراسة الغامدي (1427هـ):** بعنوان (الدلالات التربوية المستنبطة من آيات الصبر في القرآن الكريم وتطبيقاتها في الأسرة والمدرسة)، وهدفت إلى التعرف إلى الدلالات التربوية التي تحملها آيات الصبر في الجانب العقدي، والتعبدي والأخلاقي ، وتطبيقاتها التربوية في الأسرة والمدرسة ، والآثار الناتجة عن تطبيقها، واستخدم الباحث في دراسته المنهج الاستنباطي ، وكما توصلت الدراسة إلى أن منهج القرآن الكريم في التربية هو المنهج الأمثل والنموذج الأفضل بعيداً عن شرقي العلوم وغربيها ، كما توصلت إلى أن العقيدة الإسلامية راحة للنفس، وطمأنينة للقلب ، فلا طمأنينة بلا إيمان، ولا راحة بلا تقوى، وإن الصبر يعمل على تكوين النفس الأبية وتجعله صاحب عزيمة صادقة وأخلاق عالية.

6. **دراسة بركات (2006):** بعنوان (الاتجاه نحو الالتزام الديني وعلاقته بالتكيف النفسي والاجتماعي لدى طلبة جامعة القدس)، هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على تأثير الاتجاه نحو الالتزام الديني في التكيف النفسي والاجتماع، وعلاقته ببعض المتغيرات المرتبطة بالطالب الجامعي :الجنس، والعمر، التخصص، والتحصيل الأكاديمي، وعمل الأب، وعمل الأم. واستخدم لهذا الغرض مقاسان هما/ مقياس الاتجاه نحو الالتزام الديني، ومقياس التكيف النفسي والاجتماعي لطلبة الجامعة، وتكونت عينة الدراسة (200) طالباً وطالبة منهم (100) من الذكور، و(100) من الإناث، وقد أسفرت الدراسة عن وجود تأثير جوهري لاتجاه الطلاب نحو الالتزام الديني في مستوى تكيفهم النفسي والاجتماعي لمصلحة الطلبة ذوي التوجه المرتفع، كما أظهرت الدراسة وجود تأثير للمتغيرات :الجنس، والتخصص، والعمر، في الاتجاه نحو الالتزام الديني ذلك

لمصلحة الإناث، والطلاب ذوي التخصصات التربوية، والطلاب من الفئة العمرية الأقل من (23) سنة على الترتيب. بينما توصلت النتائج إلى عدم وجود تأثير جوهري للمتغيرات : التحصيل وعمل الأب وعمل الأم في اتجاه الطلاب نحو الالتزام الديني.

7. **دراسة السعيد (2006) بعنوان**: (أساليب معالجة الأخطاء السلوكية من منظور التربية الإسلامية)، هدفت هذه الدراسة إلى التعرف إلى مفاهيم معالجة الأخطاء السلوكية تربوياً، وكذلك أهمية معالجتها، وضوابط الأخطاء السلوكية، وخصائص الخطأ والمخطئ، والأسس والأساليب التربوية المباشرة وغير المباشرة في معالجة الأخطاء السلوكية، ومن أهم نتائج الدراسة: ضرورة استنباط سبل وطرائق وأساليب معالجة الأخطاء من القرآن الكريم. وضرورة الاستفادة من قصص وأخبار السلف الصالح رضوان الله عليهم. ودراسة الآثار المروية عن الصحابة في معالجة الأخطاء.

8. **دراسة الصعيدي (2009) بعنوان**: الأساليب التربوية النبوية المتبعة في التوجيه وتعديل السلوك وكيفية تفعيلها لدى طلاب المرحلة الثانوية)، وهدفت هذه الدراسة في مساعدة صناع القرار التربوي على بلورة فكرة التطبيق الفعلي للأساليب النبوية في التوجيه وتعديل السلوك الثانوية، كما هدفت أيضا إلى التعرف على الأساليب النبوية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في توجيه وتعديل سلوك بعض الصحابة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي مع استخدام طريقة الاستنباط من الأحاديث النبوية، وكان من نتائج هذه الدراسة، أن الهدف الأسمى من أهداف الإرشاد والتوجيه في مدارسنا الثانوية هو توجيه الطالب إلى المنهج الرباني، كما أن التوجيه والإرشاد الطلابي يعمل على مساعدة الطالب على أداء دوره في مجتمعه بتوافق وانسجام، كما توصلت أيضا إلى مساهمة أساليب التربية النبوية في تنمية الجانب النفسي لشخصية الطالب المسلم بالمرحلة الثانوية.

9. **دراسة الظفيري والعجمي (2012)**: بعنوان (فاعلية برنامج إرشادي نفسي ديني في تحقيق الأمن النفسي عند طلبة الصف العاشر من المتفوقين عقليا، وذوي صعوبات التعلم بدولة الكويت)، وهدفت الدراسة إلى معرفة فاعلية برنامج إرشادي نفسي ديني على تحقيق الأمن النفسي عند المتفوقين عقليا من ذوي صعوبات التعلم. بلغت عينة الدراسة (9) طلاب من طلبة الصف العاشر بدولة الكويت، وقد أسفرت النتائج بعد تطبيق البرنامج عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.01)، بين القياس القبلي والبعدي لصالح الاختيار البعدي، كما أسفرت النتائج أيضا عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.01) بين القياسين القبلي والتتبعي، لصالح الاختبار التتبعي، مما يدل على فاعلية البرنامج في تحسين مستوى الأمن النفسي عند عينة الدراسة.

وتبين بعد ظهور نتائج البحث، اتفاق نتائجه مع الدراسات السابقة التي تناولها، كما يأتي:

1. دراسة الأسمري (1989)، التي عزت الانحراف المدرسي عند الطلبة، إلى ضعف سبل الوقاية المقدمة للطلبة في الإرشاد المدرسي.

2. دراسة جبريل (1995)، التي توصلت إلى وجود أثر ايجابي لتنمية الثقافة الإسلامية لدى الطلاب، في بعد الإسلام والمجتمع، وبعد الإسلام والاقتصاد، لصالح المجموعة التجريبية.

3. دراسة الظاهري (2002)، التي عزت ظهور التطرف في بعض الدول الإسلامية، إلى التقصير الحاصل في تدريس المقررات الدينية فيها.

4. دراسة الأميري (2004)، التي توصلت إلى وجود أثر إيجابي للدين الإسلامي في مواجهة الضغوط النفسية، لدى طلبة الجامعة من الجنسين.

5. دراسة الغامدي (1427هـ)، التي توصلت إلى أن منهج القرآن في التربية، هو المنهج الأمثل والنموذج الأفضل.

6. دراسة بركات (2006)، التي توصلت إلى وجود تأثير جوهري للطلاب نحو الالتزام الديني في مستوى تكيفهم النفسي والاجتماعي لمصلحة الطلبة ذوي التوجه المرتفع.

7. دراسة السعيد (2006)، التي توصلت إلى ضرورة استنباط سبل وطرائق وأساليب معالجة الأخطاء، من القرآن الكريم، وضرورة الاستفادة من قصص وأخبار السلف الصالح رضوان الله عليهم، ودراسة الآثار المروية عن الصحابة في معالجة الأخطاء.

8. دراسة الصعيدي (2009)، التي توصلت إلى أن الهدف الأسمى من أهداف الإرشاد والتوجيه في مدارسنا الثانوية، هو توجيه الطالب إلى المنهج الرباني، كما توصلت أيضا إلى مساهمة أساليب التربية النبوية في تنمية الجانب النفسي لشخصية الطالب المسلم بالمرحلة الثانوية.

9. دراسة الظفيري والعجمي (2012)، التي توصلت إلى فاعلية البرنامج الإرشادي النفسي الديني، في تحسين الأمن النفسي عند طلبة الصف العاشر من المتفوقين عقليا، وذوي صعوبات التعلم.

الفصل الثاني: الأدلة المستنبطة من القرآن الكريم، الدالة على منهجيته الإرشادية.

لقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تؤكد على أنه يتضمن منهج إرشادي متميز، لا تصل لمستواه كلّ المناهج الإرشادية التي جاء بها البشر، لأنّ هذا المنهج جاء من عند من يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. ومن الآيات الدالّة على ذلك ما يأتي:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُومِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[سورة الإسراء82].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُومِنِينَ ﴾[سورة يونس57].

﴿ قُلْ هُوَ لِلذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَالذِينَ لَا يُومِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ [سورة فصلت44].

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُومِنِينَ ٱلذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمُۥٓ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الإسراء9].

آليات تطوير كفايات المعلّم في ضوء التعليم الإلكتروني

أ. كروم العايزة. جامعة قاصدي مرباح ورقلة
د. كروم خميستي. جامعة عمار ثليجي الأغواط

ملخص :
إن القفزات العلمية الهائلة التي يشهدها العصر في مجال تقنيات المعلومات والاتصالات والتطورات الحديثة دفعت العديد من الدول نحو التخطيط لإدخال التكنولوجيا في الحقل التربوي ، بهدف الارتقاء بمستوى التعليم إلى مصاف الجودة ، والاستفادة من فوائد جمة تنعكس على أطراف النظام التعليمي كافة. وهذا ما جعل التكنولوجيا مادة خصبة لإجراء الدراسات والأبحاث و وضع التصورات لابتكارات جديدة في مجال تكنولوجيا التعليم والتعلم. وأي تغير في النظام التربوي تتبعه تعديلات تطمح إلى نجاح العملية التعليمية وتحقيق الأهداف المرجوة. وعليه لا يمكن المنظومة التربوية الجزائرية الإغفال عن عملية تكوين المعلمين وتدريبهم التي تعتمد بالأساس على مدى إكسابهم قدرات وكفايات في مجال التعليم الإلكتروني وطرق استخدام التقنيات الحديثة والبرامج الحاسوبية اللازمة وكيفية توظيفها في المواقف التعليمية داخل الصف الدراسي. ويأتي هذا البحث للتعرف على الكفايات اللازمة للمعلم أثناء ممارسته للتعليم الإلكتروني ، ومن ثمة تقديم آليات لتحسين وتطوير كفايات التعليم الإلكتروني من أجل تحقيق جودة التعليم في المدرسة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية : كفايات التعليم الإلكتروني ، التقنيات التكنولوجية ، المعلم

Abstract :
The huge scientific advances in the field of information and communication technologies and modern developments have led many countries to plan for the introduction of technology in the field of education, in order to raise the level of education to the level of quality, and to benefit from the great benefits reflected on the ends of the educational system. This has made technology a breeding ground for studies, research and conceptualization of new innovations in teaching and learning technology. And any change in the educational system followed by amendments aspiring to the success of the educational process and achieve the desired goals. Therefore, the Algerian educational system can not overlook the process of training and training teachers, which depends mainly on the extent of their abilities and competencies in the field of e-learning and ways of using modern technologies and computer programs necessary and how to employ them in educational situations in the classroom. This research comes to identify the competencies necessary for the teacher in the practice of e-learning, and thus provide mechanisms to improve and develop e-learning competencies in order to achieve the quality of education in the Algerian school.

Keywords: E-learning competencies, Technological Techniques, Teacher

مقدمة :

شهدت السنوات الأخيرة تقدما سريعا في تكنولوجيا التي انتشرت تطبيقاتها في جميع المجالات الحياتية من بينها مجال التربية والتعليم ، مما جعل الباحثون التربويون يعيدون النظر في النظام التربوي خاصة في أساليب وطرق التدريس من أجل استثمارها للاستفادة منها لرفع فاعلية وكفاءة مخرجات العملية التعليمية ، ومنه تم التوصل من خلال نتائجهم أن دمج التكنولوجيا في عملية التعليم والتعلم أصبح متطلبا حيويا لتطوير البنى و الهياكل التربوية ، فبإدخال تقنيات وتطبيقات حديثة ستنقل المتعلم من كونه متلقيًا سلبيًا للمعرفة إلى كونه مشاركًا فيها ، حيث تركز على إسهام المتعلم في تشكيل المحتوى والتواصل والتفاعل والتعاون بين المعلم والمتعلم والمتعلمين أنفسهم. ولعل الحديث عن التعليم الإلكتروني يعد استجابة حقيقية لكل المستجدات في أساليب وتقنيات التعليم التي تسخر أحدث ما توصلت اليه التقنيات الحديثة من أجهزة وبرامج كاستخدام وسائل العرض الإلكترونية لإلقاء الدروس في الفصول الدراسية واستخدام الوسائط التعليمية المتعددة في عملية التدريس التي تتيح المتعلمين التفاعل مع معلمين في دول أخرى من خلال شبكة الأنترنت.

وظهر في مجال التربية والتعليم من فلسفات ونظريات واتجاهات ما جعل جودة التعليم ونوعيته لا يمكن أن تتحقق إلا عن طريق المعلم الذي يمتلك مجموعة من الكفايات والقدرات التي تساهم في أداء دوره بنجاح وفاعلية. ولذا أصبح لزاما على المعلم الساعي إلى التميز ومواكبة العصر والتطورات التي تطرأ في الساحة التربوية أن يهتم بتكوينه الذاتي والسعي إلى اكتساب الكفايات اللازمة أو تطويرها ابتغاء مواكبة العصر والارتقاء بمستوى المدارس الجزائرية ، من حيث الجودة في التعليم وصولا لمصاف المجتمعات المتقدمة. و السعي من طرف الجهات الخاصة إلى التخطيط لإدخال التكنولوجيا في مجال التعليم وخصوصا ما يرتبط باستخدام تكنولوجيا التعليم الإلكتروني في عصر باتت المجتمعات تطلق على الشخص غير القادر على استخدام التكنولوجيا بالأمي الذي لم يعد يقتصر مفهومه على من لا يقرأ ولا يكتب.

1- التعليم الإلكتروني ومفاهيمه :

1-1 مفهوم المعلم :

يعتمد نجاح العملية التعليمية التعلمية في أي نظام تعليمي على مدى فاعلية مدخلات هذا النظام وتمثل مواصفات المعلم أحد أهم تلك المدخلات باعتباره العنصر المنشط والفاعل في العملية والذي يتوقف على نشاطه وفاعليته نجاح العملية التعليمية بأكملها وبلوغ أهدافها ونظرا للدور الهام للمعلم نجد أن هناك جملة من التعريفات المحددة لمفهوم المعلم منها :

تعريف **دي لاندشير Dui Landiche** الذي يقول : "أن المعلم هو الفرد المكلف بتربية التلاميذ في المدارس".

ويعرفه **تورسين حسين Torsten Husen** على أنه : " المنظم لنشاطات التعلم الفردي للمتعلم ، فهو المكلف بإدارة سير وتطور عملية التعلم وأن يتحقق من نتائجها ".

ويعرفه **محمد سلامة آدم** بأنه : "درب يحاول بالقوة والشخصية أن يتحقق من أن التلاميذ يكتسبون العادات والاتجاهات والشكل العام للسلوك المنشود التي يستند إليهم وبالتالي يعلمهم من خلال ذلك كيف يتصرفون في المواقف التي يتعرضون لها ، وكيف يحرزون النجاح والتقدم في سلوكاتهم الاجتماعية واليومية " (سوفي، 73:2011)

* من خلال هذه التعريفات يمكن أن ننظر للمعلم على أنه ذلك الشخص الذي يقوم بدوره داخل المؤسسة التعليمية من تربية وتعليم للتلاميذ ، كما يقوم بتنسيق وتنظيم وتنشيط الوحدة التعليمية لما يتناسب ومستوى التلاميذ والأهداف من وراء هذه العملية التعليمية. وفي نفس الوقت يعتبر إطار مهم في العملية التربوية حيث يساعد المدرسة في النجاح بمختلف مجالات التربية والتعليم ،كما يسعى إلى تحقيق الأهداف التربوية المنشودة.

1-2 مفهوم الكفاية :

بالرغم من تعدد تعريفات الكفاية الذي يلاحظ لدى مراجعة الأدب التربوي المتعلق بالموضوع إلا أننا نستطيع أن نؤكد أن ذلك لم يؤدي إلى اختلاف كبير حول تحديد مفهوم الكفاية ، وسنعرض في ما يأتي عددا من التعريفات منها :

تعريف **هاوسام وهوستون Howsam and Houston** يعرف هذان الباحثان الكفاية بأنها : "القدرة على عمل شيء أو إحداث نتائج متوقع" بمعنى قدرة يستخدمها الفرد بغية تحقيق نتاج مرغوب فيه في ميدان ما. (Howsam and Houston.W.R،1972:3)

تعريف **كود Good** يقول : "هي كل المهارات والمفاهيم والسلوكات التي يحتاجها العاملون" (Good.C.V،1973:121) بمعنى لا يحقق الكفاية إلا في ظل الاقتصاد في الوقت والجهد والنفقات.

تعريف **صقر** يعرفها على أنها : " القدرة على أداء عمل أو مهمة ما بفاعلية أي بأقل ما يمكن من الجهد والتكلفة وبأقصى ما يمكن من الأثر" (مفلح،56:1998)

1-3 مفهوم التعليم الإلكتروني :

مع استخدام التقنيات لحديثة في المدرسة لمواد دراسية مختلفة داخل حجرات الدراسة بدأت عملية تصميم تعليم متكامل قائم على استخدام وتوظيف هذه التقنيات واتفق على تسميته التعليم الإلكتروني فهو يعتبر من الاتجاهات الجديدة في نظمه التعليم وعلى الرغم أنه لم يتم الاتفاق على تعريف محدد للتعليم الإلكتروني إلا أنه يشير إلى التعلم بواسطة تقنيى الإنترنت حيث ينشر المحتوى عبر الإنترنت. وتسمح هذه الطريقة بخلق روابط مع مصادر خارج الحصة (سالم،283:2004). ومنه نجد مجموعة من التعريفات حول التعليم الإلكتروني منها ما يلي :

عرفه **العويد والحامد** : "بأنه التعليم الذي يوظف بيئة تفاعلية غنية بالتطبيقات المعتمدة على تقنية الحاسوب الالي والشبكة العالمية للمعلومات وتمكن الطالب من الوصول إلى مصادر التعلم في أي وقت ومن أي مكان " (العويد والحامد،1424هـ:3)

ويعرفه **الموسى** : "بأنه طريقة لتعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسب وشبكته ووسائطه المتعددة من صوت وصورة ورسومات وآليات بحث وكذا مكتبات الكترونية وبوابات الإنترنت سواء عن بعد أو في فصل الدراسي " (الموسى،1423ه:2)

ويعرفه **الراشد** : "بأنه توسيع مفهوم عملية التعليم والتعلم لتجاوز جدران الفصول التقليدية والانطلاقة لبيئة غنية متعددة المصادر يكون لتقنيات التعليم التفاعلي في ما بعد دورا أساسيا فيها بحيث تعاد صيغة دور كل من المعلم والمتعلم " (الراشد،1424ه:2)

ويعرفه **التركي** : "بأنه مجموعة العمليات المرتبطة بنقل وتوصيل مختلف انواع المعرفة والعلوم الى الدارسين في متخلف أنحاء العالم باستخدام تقنيات المعلومات وهو تطبيق فعلي للتعليم عن بعد " (التركي،3:2003)

* ومن خلال التعريفات التي قدمت نلاحظ أن أكثر وجهات النظر شمولاً واتساعاً في تعريف التعليم الإلكتروني اعتبرته تلك العملية التعليمية التي تحدث بأي وسائط أو أجهزة إلكترونية مستخدمة في إحداث التعليم أو تسهيله أو تعزيزه.

2- مبادئ وأساسيات التعليم الإلكتروني :

- التعليم الإلكتروني ليس تعليما يقدم بطريقة عشوائية مع التعليم النظامي المدرسي بل هو منظومة مخطط لها ومصممة تصميما جيدا بناء على المنحى المنظومي لها مدخلاتها وعملياتها ومخرجاتها والتغذية الراجعة.
- التعليم الإلكتروني لا يهتم بتقديم المحتوى التعليمي فقط بل يهتم بكل عناصر ومكوناتها البرنامج التعليمي من أهداف ومحتوى وطرائق تقديم المعلومات وأنشطة ومصادر التعلم المختلفة وأساليب التقويم المناسبة.
- التعليم الإلكتروني أو التدريب الإلكتروني لا يعني بالعملية التعليمية وتقديم المقررات التعليمية فقط بل أيضا بتقديم البرامج التدريبية أثناء الخدمة للمعلمين.
- يعتمد التعليم الإلكتروني على استخدام الوسائط الإلكترونية التفاعلية للتواصل بين المتعلم والمعلم وبين التعلم ومحتوى التعلم ويحاول الاستفادة مما تقدمه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من الجديد وتوظيفه في العملية التعليمية .
- التعليم الإلكتروني يغير صورة الفصل التقليدي التي تمثل في الشرح والإلقاء من قبل المعلم والحفظ والاستظهار من قبل التلميذ إلى بيئة تعليمية تفاعلية تقوم على التفاعل بين المتعلم ومصادر التعليم المختلفة وبينه وبين زملائه.
- ليس كل تعلم الكتروني تعلم عن بعد وإنما يمكن أيضا أن يتم داخل جدران الفصل الدراسي بوجود المعلم.
- يدعم التعليم الإلكتروني مبدأ التعليم الذاتي والتعلم المستمر مدى الحياة.

- قد يكون التعليم الإلكتروني مكملا للتعليم الصفي أو شاملا ومنفصلا عن التعليم الصفي مثل المدرسة (سالم،2004:289-290)

3- أهداف التعليم الالكتروني :

يطمح التعليم الإلكتروني إلى تحقيق عدة أهداف نذكر منها ما يلي :

- خلق بيئة تعليمية تعلمية تفاعلية من خلال تقنيات الكترونية جديدة والتنوع في مصادر المعلومات والخبرة.
- تعزيز العلاقة بين أولياء الأمور والمدرسة والبيئة الخارجية.
- دعم عملية التفاعل بين الطلاب والمعلمين من خلال تبادل الخبرات التربوية والآراء والمناقشات الهادفة بالاستعانة بقنوات الاتصال المختلفة مثل : البريد الإلكتروني ، غرف الصف الافتراضية...
- إكساب المعلمين المهارات التقنية لاستخدام التقنيات التعليمية الحديثة.
- إكساب الطلاب المهارات أو الكفايات اللازمة لاستخدام تقنيات الاتصال والمعلومات.
- تطوير دور المعلم في العملية التعليمية حتى يتواكب مع التطورات العلمية والتكنولوجية المستمرة والمتلاحقة.
- توسيع دائرة اتصالات الطلاب من خلال شبكات الاتصالات العالمية والمحلية وعدم الاقتصار على المعلم كمصدر للمعرفة ، مع ربط الموقع التعليمية بمواقع تعليمية أخرى كي يستزيد الطالب.
- تقديم التعليم الذي يناسب فئات عمرية مختلفة مع مراعاة الفروق الفردية بينهم (سالم،2004:293)

4- أهمية التعليم الإلكتروني :

للتعليم الإلكتروني أهمية كبيرة وفوائد كثيرة نذكر أهمها ما يلي :

4-1 أهميته بالنسبة للمتعلم :

- إمكانية الاتصال بين الطلبة فيما بينهم وبين الطلبة والمدرسة وذلك من خلال سهولة الاتصال ما بين هذه الأطراف في عدة اتجاهات مثل مجالس النقاش أو البريد الإلكتروني أو غرف الحوار .
- المساهمة في بيان وجهات النظر المختلفة للطلاب وهذا يتيح فرص لتبادل وجهات النظر في المواضيع المطروحة ودمجها مع الآراء الخاصة بالطالب مما يساعد في تكوين أساس متين عند المتعلم وتكون عنده معرفة سديدة وذلك من خلال ما اكتسبه.
- الإحساس بالمساواة حيث يكون بإمكان الطالب إرسال رأيه وصوته من خلال أدوات الاتصال المتاحة من بريد إلكتروني ومجالس النقاش وغرف الحوار مثله مثل غيره من الطلبة الآخرين حيث يتمتعون بجرأة أكبر في التعبير عن أفكارهم.
- سهولة الوصول إلى المعلم فقد أتاح التعليم الإلكتروني سهولة الحصول على المعلم والوصول إليه في أسرع وقت وذلك خارج أوقات العمل الرسمية.

- إمكانية تحوير طريقة التدريس أي من الممكن تلقي المادة العلمية بالطريقة التي تناسب الطالب فمنهم من تناسبه الطريقة المرئية ومنهم من تناسبه الطريقة المسموعة أو المقروءة ، وبعضهم تتناسب معه الطريقة العملية ، فالتعليم الإلكتروني ومصادره يتيح إمكانية تطبيق المصادر بطرق مختلفة وعديدة تسمح بالتحوير وفقاً للطريقة الأفضل بالنسبة للمتعلم.

- ملاءمة مختلف أساليب التعليم : التعليم الإلكتروني يتيح للمتعلم أن يركز على الأفكار المهمة أثناء كتابته وتجميعه للمحاضرة أو الدرس وكذلك يتيح للطلاب الذين يعانون من صعوبة التركيز وتنظيم المهام الاستفادة من المادة وذلك لأنها تكون مرتبة ومنسقة بصورة سهلة وجيدة والعناصر المهمة فيها محددة.

- المساعدة الإضافية على التكرار وهذه الميزة مناسبة للذين يتعلمون بالطريقة العملية فهؤلاء الذين يقومون بالتعليم عن طريق التدريب ، إذا أرادوا أن يعبروا عن أفكارهم فإنهم يضعوها في جمل معينة مما يعني أنهم إن أعادوا تكرار المعلومات التي تدربون عليها وذلك كما يفعل الطلاب عندما يستعدون لامتحان معين.

- توفر المناهج طوال اليوم وفي كل أيام الأسبوع وهذه الميزة مفيدة للأشخاص المزاجين وذلك لأن بعضهم يفضل التعلم صباحاً والآخر مساءاً .

- سهولة وتعدد طرق تقييم تطور الطالب مع وفرت أدوات التقييم الفوري إعطاء المعلم طرقاً متنوعة لبناء وتوزيع وتصنيف المعلومات بصورة سريعة وسهلة للتقييم.

- الاستفادة القصوى من الزمن والانصراف عن الحضور الفعلي فالطالب لديه إمكانية الوصول الفوري للمعلومة في المكان والزمان المحدد ، وبالتالي لا توجد حاجة للذهاب إلى المكتبة أو مكتب الأستاذ.

- مراعاة الفروق الفردية وتحويل التعليم إلى تعلم وبالتالي التركيز على المتعلم والعملية التعليمية (باناعمه،1419ه:4)

2-4 أهميته بالنسبة للمعلم :

- إتاحة الفرصة للمعلم لمساعدة كل طالب على حده والعمل على إشباع رغباته الخاصة.

-لا يضطر المعلم إلى تكرار الشرح لأن الشرح مطروحاً للتداول وكذلك التدريبات والاختبارات ، فيأخذ منها كل حسب رغبته وقدرته ولا يرجع للمعلم إلا فيما يستعصى فهمه أو يحتاج للمناقشة وبالتالي يتوفر للمعلم الوقت لإعداد عدد أكبر من البرامج.

- محتوى المقرر ديناميكي وبالتالي يستطيع المعلم تحديث المادة في أي وقت.

- تحويل المعلم إلى مرشد يساعد في التركيز على المهارات التي يحتاجها الطالب ، فيساعده على فهم نفسه وتقدير احتياجاته وتحديد أهدافه التعلمية ، ثم يرشده إلى كيفية تنمية مهاراته والتغلب على نقط ضعفه.

- يتيح التعليم الإلكتروني للمعلم فرصة أكبر لتنمية قدرات مختلفة غير إلقاء الدروس داخل قاعة الدراسة ، ويتيح له آفاقاً جديدة من أجل أن ينمي مهارات التعامل مع التكنولوجيا الحديثة ومهارات الاتصالات مع الآخرين والإرشاد بالإضافة إلى تعميق مهارات تصميم البرامج وغيرها من المهارات.

- تقليل الأعباء الإدارية بالنسبة للمعلم (بن حسين دوم،1432هـ،84)

3-4 أهميته بالنسبة للمؤسسة التعليمية :

- سهولة وسرعة الوصول إلى المواد والمعلومات والمناهج التعليمية من خلال الشبكة الداخلية في المدرسة أو شبكة الأنترنت التي تربط بين مجموعة من المدارس.
- توفير تكاليف الكتب والمطبوعات والأوراق واستخدام هذه الموارد المالية في أمور أخرى داعمة للعملية التعليمية وتعزيز وتحديث الأجهزة والبرامج والأدوات.
- إمكانية التعديل والتحديث الفوري للمقررات الدراسية وتعميم هذه التعديلات على جميع الطلاب والمعلمين.
- إرجاع الأثر الفوري للطلاب ، وإجراء المناقشات المباشرة بين المعلمين والطلاب أو بين الطلاب فيما بينهم ، أو بين المعلمين أنفسهم.
- إجراء الاختبارات عبر الشبكات ، وتقييم نتائجها إليكترونياً وبصورة تلقائية.
- الوصول إلى كم هائل من المعلومات والبيانات الحديثة عن طريق الشبكات المتعددة وخاصة شبكة الأنترنت.
- تخفيض التكاليف الإدارية ، فأنشطة تسجيل الطلاب وتوزيع قوائم القراءة والمواد التدريسية وتحضير الطلاب ورصد الدرجات وغيرها تنتقل من العمل الورقي المكتبي إلى التسجيل الإلكتروني مباشرة في قاعدة البيانات (بن حسين دوم،1432هـ،88)

5- أنماط التعليم الإلكتروني :

1-5 التعليم الإلكتروني المباشر (المتزامن) :

هو تعليم إلكتروني يجتمع فيه المعلم مع المتعلمين معا ليتم اتصال متزامن بالصوت والصورة (الفيديو). ومن إيجابيات هذا النمط من التعليم الإلكتروني أن المتعلم يستطيع الحصول على التغذية الراجعة المباشرة في نفس الوقت مع معلمه.

وأدوات التعليم الإلكتروني المباشر (**المتزامن**) يقصد بها تلك الوسائل التي تسمح للمتعلمين بالاتصال المباشر بالمعلم على الشبكة. ومن أهمها ما يلي :

- المحادثة الصوتية Voice conversations
- محادثة الفيديو Video conversations (الشناق وبني دومي،64:2009)

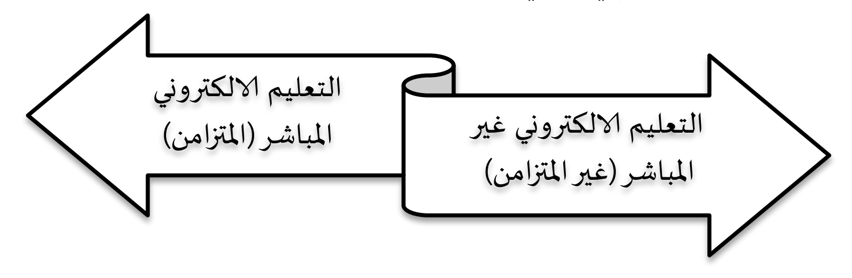
2-5 التعليم الإلكتروني الغير مباشر (غير متزامن) :

هو اتصال بين المعلم والمتعلمين لكن بدون حاجة إلى تواجدهم في نفس المكان أو الزمان ، وإنما يتعلم المتعلم في أي وقت شاء (الغراب،45:2003)

ومن إيجابيات هذا النمط من التعليم الإلكتروني أن المتعلم يحدد الوقت المناسب له وكذلك المكان المناسب لكي يتعلم ما يريد تعلمه ، مع إمكانية إعادة المادة الدراسية والرجوع إليها إلكترونيا وقت ما يشاء.

وأدوات التعليم الإلكتروني الغير مباشر (غير متزامن) يقصد بها تلك الوسائل التي تسمح للمتعلمين التعلم بشكل غير مباشر ، أي أنها لا تتطلب من المعلم والمتعلمين التواجد عبر الشبكة بصورة مباشرة. ومن أهمها ما يلي :

- البريد الإلكتروني (E.mail)
- الأقراص المدمجة (CD) (الشناق وبني دومي،65:2009)



الشكل رقم (01) يوضح لنا الاتجاه المعاكس لأنماط التعليم الإلكتروني

*** إضافة إلى الأنماط المذكورة سالفا نجد أنماطا أخرى تتمثل في :**

3-5 التعليم الإلكتروني المدمج :

التعليم المدمج يشتمل على مجموعة من الوسائط التي يتم تصميمها لتكمل بعضها البعض ، وبرنامج التعلم المدمج يمكن أن يشتمل على العديد من أدوات التعلم منها ما يلي :

- برمجيات التعلم الافتراضي الفوري
- المقررات المعتمدة على الإنترنت
- مقررات التعلم الذاتي
- أنظمة دعم الأداء الإلكترونية
- إدارة نظم التعلم (العتري،97:2011)

4-5 التعليم المعتمد على الحاسوب :

يمكن اعتماده بصورة مكملة لأساليب التعليم المعروفة وبصورة عامة يمكننا تبني تقنيات و أساليب متعددة ضمن خطة تعليم وتدريب شاملة تعتمد على مجموعة من التقنيات. فمثلا إذا كان من الصعب بث الفيديو التعليمي عبر الانترنت فلا مانع من تقديمه على اقراص مدمجة أو أشرطة فيديو (VHS) طالما أن ذلك يساهم في رفع جودة ومستوى التدريب والتعليم (عبد الحي،120:2005)

6- معوقات التعليم الإلكتروني :

– من حيث تطوير المعايير يواجه التعليم الإلكتروني مصاعب قد تطفئ بريقه وتعيق انتشاره بسرعة وأهم هذه العوائق قضية المعايير المعتمدة .والمقصود بها أن بعض المناهج والمقررات التعليمية تحتاج لإجراء تعديلات وتحديثات كثيرة نتيجة للتطورات المختلفة كل سنة .فإذا كانت المؤسسة التعليمية قد استثمرت في شراء مواد تعليمية على شكل كتب أو أقراص ستجد أنها عاجزة عن تعديل أي شيء منها ما لم تكن هذه الكتب

والأقراص CD مدمجة قابلة لإعادة الكتابة وهو أمر معقد حتى لو كان ممكناً ولضمان حماية استثمار الجهة التي تتبنى التعليم الإلكتروني لابد من حل قابل للتخصيص والتعديل بسهولة.

- من حيث الأنظمة والحوافز التعويضية فمن المتطلبات التي تحفز وتشجع الطلاب على التعليم الإلكتروني .حيث لا زال التعليم الإلكتروني يعاني من عدم وضوح في الأنظمة والطرق والأساليب التي يتم فيها التعليم بشكل واضح كما أن عدم البحث في قضية الحوافز التشجيعية لبيئة التعليم هي إحدى العقبات التي تعوق فعالية التعليم الإلكتروني.

- من حيث التسليم المضمون والفعال للبيئة التعليمية وذلك من خلال نقص الدعم والتعاون المقدم من أجل طبيعة التعليم الفعالة. ونقص المعايير لوضع وتشغيل برنامج فعال ومستقل وكذا نقص الحوافز لتطوير المحتويات (الموسى،1423هـ:234)

- من حيث الخصوصية والسرية فإن حدوث هجمات على المواقع الرئيسية في الأنترنت أثرت على المعلمين والتربويين ووضعت في أذهانهم العديد من الأسئلة حول تأثير ذلك على التعليم الإلكتروني مستقبلاً ولذا فإن اختراق المحتوى والامتحانات من أهم معوقات التعليم الإلكتروني.

- من حيث التصفية الرقمية وهي مقدرة الأشخاص أو المؤسسات على تحديد محيط الاتصال والزمن بالنسبة للأشخاص ، وهل هناك حاجة لاستقبال اتصالاتهم .ثم هل هذه الاتصالات مفيدة أم لا .وهل تسبب ضرر وتلف ويكون ذلك بوضع مرشحات لمنع الاتصال أو إغلاقه أمام الاتصالات غير المرغوب فيها وكذلك الأمر بالنسبة للدعايات والإعلانات.

- عدم استجابة الطلاب مع النمط الجديد وقلة تفاعلهم معه.

- من حيث مراقبة طرق تكامل قاعات الدرس مع التعليم الفوري والتأكد من أن المناهج الدراسية تسير وفق الخطة المرسومة لها.

- من حيث زيادة التركيز على المعلم وإشعاره بشخصيته وأهميته بالنسبة للمؤسسة التعليمية والتأكد من عدم شعوره بعدم أهميته وأنه أصبح شيئاً تراثياً تقليدياً.

- من حيث وجود شح بالمعلم الذي يجيد" فن التعليم الإلكتروني "وإنه من الخطأ التفكير بأن جميع المعلمين في المدارس يستطيعون أن يساهموا في هذا النوع من التعليم.

- من حيث الحاجة المستمدة لتدريب ودعم المتعلمين والإداريين في كافة المستويات حيث أن هذا النوع من التعليم يحتاج إلى التدريب المستمر وفقاً لتجدد التقنية.

- الحاجة إلى تدريب المتعلمين لكيفية التعليم باستخدام الأنترنت.

- الحاجة إلى نشر محتويات على مستوى عالٍ من الجودة ذلك أن المنافسة عالمية.

- تعديل كل القواعد القديمة التي تعوق الابتكار ووضع طرق جديدة تنهض بالابتكار في كل مكان وزمان للتقدم بالتعليم وإظهار الكفاءة والبراعة (العويشق،1426هـ:13-14)

7- متطلبات التعليم الإلكتروني :

7-1 متطلبات مادية :

متمثلة في تجهيز المدرسة بفصولها ومكاتبها ومعاملها أجهزة الحاسب الآلي وملحقاته مثل أجهزة عرض (داتا شو) والشاشات الإلكترونية وربط كافة مرافق المدرسة بشبكة داخلية (إنترنت) مرتبطة بالشبكة العنكبوتية العالمية كذلك توفير جهاز حاسب محمول لكل معلم.

7-2 متطلبات فنية :

يحتاج التعليم الإلكتروني إلى جهاز فني يقدم الخدمات المساندة في الصيانة والبرمجة وتقدي التصميمات والأدوات التي تحتاجها عملية التعليم وكذلك التدريب المستمر للمعلمين على رأس العمل.

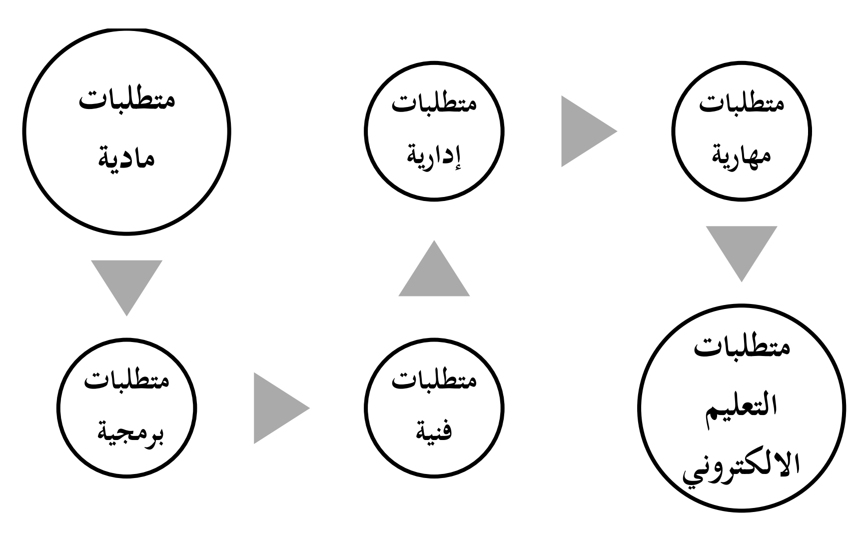
7-3 متطلبات مهارية :

يحتاج التعليم الإلكتروني حداً معيناً من المهارات الحاسبية لدى الطلاب والمعلمين والإدارة لتكون منطلقاً إلى تطبيق التعليم الإلكتروني ويصاحب هذا التطبيق تدريب وتعليم مستمر لتطوير المهارات ومتابعة المستجدات.

7-4 متطلبات إدارية :يفترض في المدرسة أن ننشئ جهازاً إدارياً للتخطيط والمتابعة والتقويم والتطوير لكافة الأنشطة الإلكترونية التعليمية فيعتنى ذلك الجهاز بتنظيم التدريب والتعليم المستمر ودراسة ومتابعة المشكلات التي تواجه سير العلم.

7-5 متطلبات برمجية :

يحتاج التعليم الإلكتروني إلى برمجيات عامة وخاصة لتحقيق أهدافه والبرمجيات العامة تتمثل في الأدوات المعروفة من برامج الاتصالات داخل المدارس وكذلك الاتصال بأولياء الأمور في أي مكان في العالم وبرامج الوسائط المتعددة والجداول الإلكترونية. إضافة إلى المواد الرقمية التي يحتاجها المعلم على شكل مواد(الكتاب الإلكتروني) ومراجع الموسوعات والكتب الرقمية من وسائل مثل الصور والأقلام والفلاشات والعروض الإيضاحية المساندة للدرس (عبد الحي،1427هـ:13)



الشكل رقم (02) يوضح متطلبات التعليم الإلكتروني

* بالإضافة إلى تصميم برامج خاصة ومقررات صممت خصيصاً للدروس بناءا على المواد التعليمية الموضوعة من طرف الوزارة. والمقصود بالمقررات الإلكترونية هو أي مقرر يستخدم أنشطة ومود تعليمية تعتمد على الحاسوب وحتى يكون المقرر الإلكتروني بالغ الأهداف المسطرة يجب أن تحل محل الفصل التقليدي.

7-5-1 تعريف المقرر الإلكتروني :

يعرف **عطوان** المقرر الإلكتروني على أنه : " استخدام التكنولوجيا بأنواعها لتحويل مقرر دراسي إلى شكل إلكتروني يلتزم بضوابط قياسية في الشكل و المضمون كالتفاعل و استخدام التقييم الذاتي (عطوان،10:2010)

7-5-2 مكونات المقرر الإلكتروني :

من أهم مكونات المقررات الإلكترونية بالترتيب تتمثل في ما يلي :

- مركز البريد الإلكتروني
- الصفحات الرئيسية للمعلم و المتعلمين
- الصفحة الرئيسية للمقرر الإلكتروني
- محتوى المقرر الإلكتروني
- لوحة الإعلانات
- لوحة النقاشات
- غرف النقاش
- البرمجية الزمنية للدراسة
- صندوق الواجبات (عبد العزيز،126:2008)

7-5-3 مراحل تصميم المقرر الإلكتروني :

تعتمد عملية تصميم المقررات الإلكترونية على تبني أو اقتراح نموذج للتصميم ، وتنتمي نماذج التصميم الحالية غالبا لنموذج تصميم نظ التعليم ، ومن النماذج المشهورة نموذج **ADDIE** حيث تمثل هذه الأحرف ، الأحرف الأولى من الكلمات التالية التي تمثل مراحل تصميم المقررات الإلكترونية :

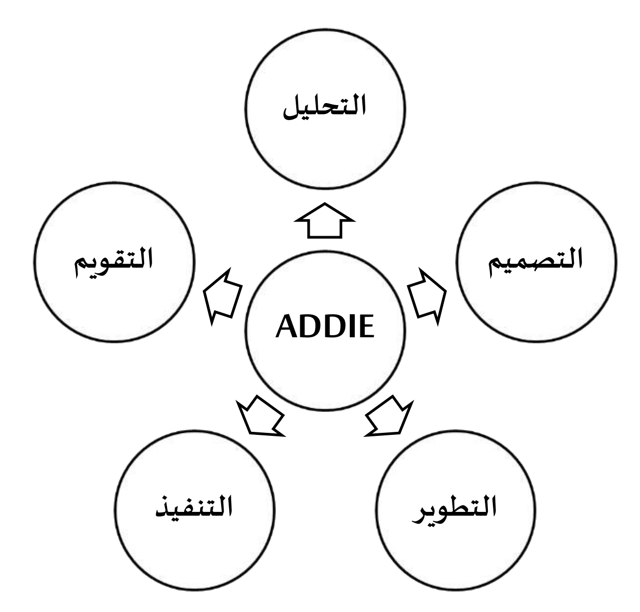
المرحلة الأولى مرحلة التحليل Analysis

المرحلة الثانية مرحلة التصميم Design

المرحلة الثالثة مرحلة التطوير Developing

المرحلة الرابعة مرحلة التنفيذ Implementataion

المرحلة الخامسة والأخيرة مرحلة التقويم Evaluation (عبد العزيز،127:2008)



الشكل رقم (03) يبين مراحل تصميم المقرر الإلكتروني

8- البيئة التعليمية للتعليم الإلكتروني :

يحتاج التعليم الإلكتروني إلى بيئة محفزة ومشجعة على وجوده وتفعيله ، وهذه البيئة في المجال التعليمي تختص بالمعلم والطلاب والمؤسسات التعليمية وتتكون البيئة التعليمية من :

8-1 المعلم :

ويتطلب فيه توافر القدرة على التدريس واستخدام تقنيات التعليم الحديثة.، مع معرفة استخدام الحاسب الآلي بما في ذلك الإنترنت والبريد الإلكتروني.

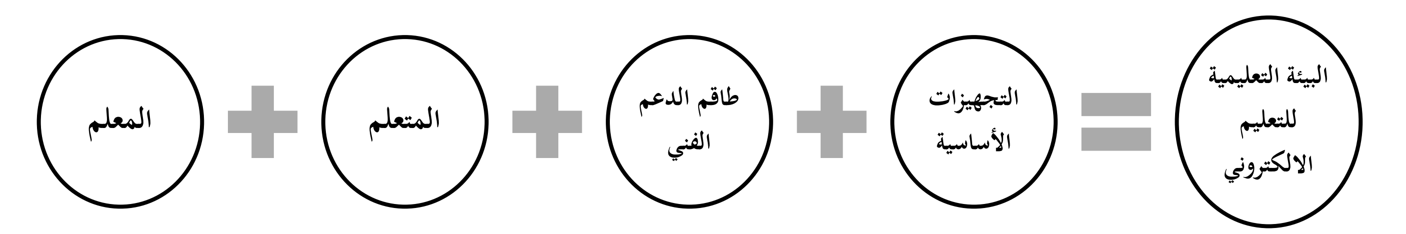
8-2 المتعلم : ويتطلب منه توافر مهارة التعلم الذاتي مع مهارة استخدام الحاسب الآلي بما في ذلك الانترنت والبريد الإلكتروني.

8-3 طاقم الدعم الفني :

ويتطلب توافر في خاصية التخصص في الحاسب ومكوناته ومكونات الانترنت.، مع معرفة بعض البرامج الحاسوبية.

8-4 التجهيزات الأساسية :

وتشتمل على الأجهزة الخدمية - محطة عمل المعلم - محطة عمل المتعلم - استعمال الانترنت (المبيريك،1425هـ:52)



الشكل رقم (04) يوضح التفاعل القائم في البيئة التعليمية للتعليم الإلكتروني

9- أدوار ووظائف المعلم في ضوء التعليم الإلكتروني :

إن أدوار ووظائف المعلم معروفة ومحددة في ضوء نظام التعليم الإلكتروني الذي يقوم على مبدأ هام وهو الوصول بالتعلم للمتعلم بصرف النظر عن مكانه وفي أي وقت يناسبه ، وفي ظل التعليم الإلكتروني ينبغي على المعلم أن يتقن جملة من الأدوار والوظائف. ويمكن توضيح هذه الادوار في ما يلي :

المعلم كباحث :

وتأتي هذه الوظيفة في مقدمة الوظائف التي ينبغي أن يقوم بها المعلم وتعني البحث عن كل ما هو جديد ومتعلق بالموضوع الذي يقدمه للمتعلمين وكذلك ما هو متعلق بطرق تقديم المقررات خلال من الشبكة.

المعلم مصمم للخبرات التعليمية :

للمعلم دور مهم في تصميم الخبرات والنشاطات التربوية التي يقدمها للمتعلمين وذلك لأن هذه الخبرات مكملة لما يكتسبه المتعلم داخل أو خارج القاعات الدراسية ، كما ان عليه تصميم بيئات التعلم الإلكترونية النشطة بما يتناسب مع اهتمامات المتعلمين.

المعلم كتكنولوجي :

فهناك الكثير من المهارات التي يجب أن يتقنها المعلم للتمكن من استخدام الشبكة في عملية التعليم ، مثل إتقان أحدى لغات البرمجة وبرامج تصف المواقع ، واستخدام برامج حماية الملفات والمستحدثات التكنولوجية وغيرها...

المعلم كمقدم للمحتوى :

إن تقديم المحتوى من خلال الموقع التعليمي لا بد من ان يتميز بسهولة الوصول اليها واسترجاعها والتعامل معها وهذا له ارتباط كبير بوظيفة المعلم ، كمقدم للمحتوى من خلال الشبكة وهذه الوظيفة لها كفايات عديدة عليه ان يتقنها.

المعلم كمرشد ومسير للعمليات :

فالمعلم لم يعد هو المصدر الوحيد للمعرفة ، ولم تعد وظيفته نقلا للمحتوى والخبرات والمعارف للمتعلمين وإنما أصبح وره الاكبر في تسهيل الوصول للمعلومات وتوجيه وإرشاد المتعلمين أثناء تعاملهم مع المحتوى من خلال الشبكة أو من خلال تعاملهم مع بعضهم البعض في دراسة المقرر او مع المعلم في حد ذاته.

المعلم كمقوم :

وبالتالي فعلى المعلم أن يتعرف على أساليب مختلفة لتقويم متعلمين من خلال الشبكة. وأن تكون لديه القدرة على تشخيص وتحديد نقاط القوة والضعف لدى المتعلمين ، مع تحديد البرامج العلاجية المطلوبة

10- الكفايات اللازمة للمعلم في ضوء التعليم الإلكتروني :

وفي ضوء ما سبق مت تحديد لأدوار ووظائف المعلم المستقبلية في ظل التعلم الإلكتروني يمكن تحديد الكفايات الواجب توافرها لدى المعلم أثناء استخدامه للتعليم الإلكتروني ما يلي:

10-1 الكفايات الخاصة باستخدام الحاسوب والشبكة المعلوماتية :

- إجادة اللغة الإنجليزية.
- معرفة المصطلحات المستخدمة في مجال الحاسوب والمكونات المادية له وملحقاته والفيروسات وطرق الوقاية منها.
- التعرف على مكونات وبرمجيات الحاسوب المختلفة في العملية التعليمية والحياتية.
- استخدام الإنترنت ومحركات البحث المختلفة بصورة فاعلة للحصول على المعلومات (زين،2005:328-329)
- استخدام المواقع الإلكترونية المتخصصة حسب المواد المراد تدريسها.
- توظيف برامج العرض والإلقاء.
- استخدام البرمجيات الخاصة بالتعليم حسب طبيعة المادة الدراسية والمرحلة التعليمية.
- استخدام البرمجيات المحملة على الأقراص المدمجة في التعليم الذاتي. (زين الدين،2007:203)
- استخدام الوسائط المتعددة على الشبكة كالصور ومقاطع الصوتية والمرئية وغيرها...لتنمية مهارات وقدرات الطلاب.
- استخدام المعاجم الإلكترونية وتوظيفها في اكتساب المهارات اللغوية.
- البحث عن قواعد البيانات المختلفة المرتبطة بمواد التعليم من خلال التحميل والحفظ...
- إرسال الوجبات الصفية واستقبالها عبر البريد الإلكتروني.
- تحويل المواد الدراسية الى دروس إلكترونية مبسطة على موقع الشبكة
- إعداد أسئلة تقويمية تعتمد على المواد الصوتية او السمعية (الحميدي،2017:18-19)

2-10 الكفايات الخاصة بالمقررات الإلكترونية لكل مادة دراسية وإعدادها :

- تحديد الأهداف العامة والخاصة والإجرائية لمقرر الإلكتروني الخاص بالمادة الدراسية المراد تدريسها.
- تحديد ما يستلزم من متطلبات مادية وبشرية لإعداد المقرر إلكترونيا.
- تطوير استراتيجيات التدريس اللازمة لتحقيق أهداف مقرر الإلكتروني الخاص بالمادة الدراسية المراد تدريسها (زين الدين،2007:204)
- تزويد الطلاب بالمصادر التي تنمي تعلم المقررات الإلكتروني للمواد الدراسية.
- التنويع في عرض محتوى المقررات الإلكترونية الخاصة بكل مادة دراسية بما يتناسب مع الفروق الفردية.
- توفير عنصر التشويق وجذب الانتباه في عرض المقررات الإلكترونية الخاصة بكل مادة دراسية.
- عرض نماذج لأسئلة وتدريبات مرتبطة بموضوع درس من باقي الدروس.
- تتبع أداء الطلاب وقياس مدى تقدمهم في تعلم مقررات الإلكترونية للمواد الدراسية.
- تقديم المساعدة والإرشاد.

*** وقد ركز زين الدين (2005) على مجموعة من الكفايات اللازمة للمعلم أثناء إعداده للمقررات الإلكترونية تتمثل في ما يلي:**

3-10 كفاية إدارة المقرر الإلكتروني :

- القدرة على تنظيم الوقت لتقديم المقرر من خلال الشبكة
- تهيئة المتعلمين لتحمل مسؤولية التعلم من خلال المقررات الإلكترونية عبر الشبكة.
- تزويد المتعلمين بالمصادرة الكافية للتعلم من خلال الشبكة.
- تتبع أداء المتعلمين ومدى تقدمهم في التعلم لتقديم المشورة والنصح.
- تشجيع التفاعل مع المقررات الإلكترونية.
- إدارة النقاش في مجموعات النقاش المتاحة عبر الشبكة.
- إدارة المقرر إلكترونيا من خلال الشبكة (زين الدين،237:2005)

4-10 كفاية التخطيط :

- تحديد الأهداف العامة للمقرر المراد إعداده إلكترونيا.
- تحديد مدى ملائمة المقرر لطرحه على الشبكة.
- تحديد المستفيدين من المقرر (المتعلمين) وخبراتهم السابقة وخصائصهم النفسية والاجتماعية.
- تحديد المتطلبات المادية والبشرية اللازمة لإعداد المقرر الإلكتروني.
- تحديد فريق عمل انجاز المقرر إلكترونيا وتوضيح مهام كل عضو بالفريق.
- تأطير جدول زمني لإنجاز المهام الموكلة لكل عضو بفريق العمل (زين الدين،238:2005)

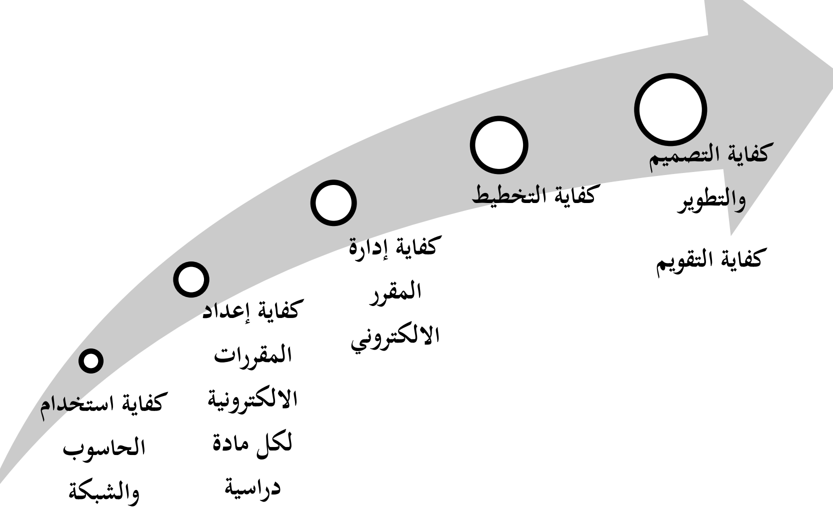
5-10 كفاية التصميم والتطوير:

- تحديد الأهداف التعليمية للمقرر الإلكتروني.
- تحديد استراتيجيات التدريس اللازمة لتحقيق أهداف المقرر.
- تحديد أنشطة التعلم التي تشجع التفاعل بين المتعلمين.
- تحديد الوسائل المتعددة التي ستضمن في المقرر الإلكتروني.
- إعداد السيناريو التعليمي للمقرر الإلكتروني.
- تحديد أساليب التفاعل الإلكتروني بين المتعلمين وبعضهم البعض وبينهم وبين المعلم وبينهم وبين التعلم.
- تحديد اساليب التغذية الراجعة.
- تحديد الوصلات الإلكترونية بين مكونات المقرر الإلكتروني.

6-10 كفاية التقويم :

- استخدام وتطبيق أساليب مختلفة للتقويم الإلكتروني من خلال الشبكة.

- تحديد نقاط القوة والضعف لدى المتعلمين.
- إعداد برامج إثرائية وعلاجية للمتعلمين.
- وضع معايير علمية ينم في ضوئها تقويم المتعلمين.
- تقديم التغذية الراجعة للمتعلمين (زين الدين،238:2005)



الشكل رقم (05) يوضح لنا مجموعة من الكفايات اللازمة للمعلم في ضوء التعليم الإلكتروني

11- آليات تطوير كفايات التعليم الإلكتروني بالمدرسة الجزائرية :

- ضرورة ايجاد دور واضح وقوي وبارز متمثلا في وزارة التربية والتعليم بالجزائر نحو تحقيق كفايات التعليم الإلكتروني وتكنولوجيا التعليم لدى المعلمين في المؤسسات التربية إلى أيجاد جودة أداء حقيقية لدى المعلمين نحو استخدام التعليم الإلكتروني ، بعقد دورات تدريبية وتثقيفية من خلال برامج أعداد وتكوين المعلمين.
- ضرورة لإصدار القرارات بشأن ترقية المعلمين بعد الحصول على شهادة المشاركة في دورات تدريبية كاملة المواصفات ڤي تحقيق الكفاءة والمهارة الشخصية لتطبيق التعليم الإلكتروني.
- ضرورة ايجاد دور واضح وقوي وبارز للتوجيه الفني للمؤسسات التربوية بالجزائر نحو تفعيل استخدام استراتيجية التعليم الإلكتروني في تعلم المهارات والأنشطة التعليمية والحركية من خلال الملاحظة الميدانية والتقارير التي تكتب من قيل المعلم الموجه الى ادارة العليا للتوجيه بالخضوع للتدريب كل من لديه ضعف في تكنولوجيا التعليم واستخدامات التعليم الإلكتروني.
- ضرورة ايجاد الرغبة والإقبال الكامل والميل الإيجابي من طرف المعلمين اتجاه أنفسهم في استخدام استراتيجية التعليم الإلكتروني لتحقيق الأهداف العامة والخاصة.
- ضرورة وضع كل الأساليب العلمية من قبل المختصين والخبراء في مجال التعامل مع تقنيات ووسائل التكنولوجية نحو تعديل وتحسين ومن ثم تطوير أهداف ومحتوى آليات تكنولوجيا التعليم.

- ضرورة توفير كل الاحتياجات المادية والبشرية لتطبيق آليات التعليم الإلكتروني في المدارس الجزائرية ووضعها في محك التطبيق الراهن والسريع.

- ضرورة المتابعة والتقويم والتحسين المستمر من قبل المختصين التربويين وتشخيص صعوبات التعليم الإلكتروني و من ثم ايجاد كل السبل والطرق لإزالة عقبات التنفيذ والاعتماد على خطط سريعة في تطبيق آليات التطوير نحو استخدام التعليم الإلكتروني لدى المعلمين وتحقيق وتوكيد الجودة لديهم من خلال تمكنهم من الكفايات الشخصية و التدريسية (علي والمقبل،348:2017)

التوصيات :

ومن خلال ما تم تقديمه نصل إلى جملة من التوصيات تمثل في ما يلي :

1- عقد مزيد من الدورات التدريبية والتكوينية المكثفة لدى المعلمين حول توظيف استراتيجيات التعليم الإلكتروني في تدريس المقررات والابتعاد عن الطرق التقليدية.

2- زيادة الاهتمام والتوسع في البنية التحتية وتجهيزها بالتقنيات التعليمية التكنولوجية الحديثة في المدارس لتحسين ظروف استخدام التعليم الإلكتروني.

3- وضع برامج تدريبية للمعلمين من أجل تطوير كفاياتهم في التخطيط والتصميم تقنيات التعليم الإلكتروني وتدريبهم على كيفية استخدام الوسائل التكنولوجيا الحديثة أثناء العملية التعليمية.

4- توفير كل المستلزمات من (تقنيات وحواسيب ووسائل ووسائط...) في المدارس واستغلالها فيما هو مناسب للارتقاء بمستوى التعليم إلى تجويده.

5- توفير حوافز معنوية ومادية للمعلمين في حالة وجود محاولات لتطبيق واستخدام التعليم الإلكتروني.

6- إجراء مزيد من البحوث والدراسات في مجال استخدام وتطوير التعليم الإلكتروني وضع حلول مقترحة للعقبات التي تواجه المعلمين عند استخدامهم للتعليم الإلكتروني في التدريس.

قائمة المراجع والمصادر:

1- باناعمه، عبد الله سعيد محمد (1419ه). التعليم الإلكتروني ماله وما عليه ، بحث مقدم للنشاط العلمي بوزارة المعارف ، المملكة العربية السعودية.

2- بن حسين دوم، أنسام بنت محمد (1432ه). تفعيل التعليم الإلكتروني بالتعليم الثانوي العام في ضوء أهداف التربية الإسلامية ، رسالة ماجستير في تخصص التربية الإسلامية ، المملكة العربية السعودية.

3- التركي، صالح (2003). التعليم الإلكتروني أهميته وفوائده ، ورقة علمية مقدمة لندوة التعليم الإلكتروني ، الرياض : مدارس الملك فيصل الموسى،عبد الله عبد العزيز (1423). التعليم الإلكتروني مفهومه خصائصه فوائده عوائقه ، ورقة عمل مقدمة لندوة مدرسة المستقبل ، الرياض : جامعة الملك سعود.

4- الحميدي، حامد عبد الله (2017). درجة امتلاك معلمي اللغة العربية بالمرحلة الثانوية في دولة الكويت لكفايات التعلم الإلكتروني من وجهة نظرهم،المجلة الدولية للبحوث التربوية ، المجلد الواحد والأربعين ، العدد الثالث ، جامعة الإمارات.

5- الراشد، فارس ابراهيم (1423). التعليم الإلكتروني واقع وطموح ، ورقة عمل مقدمة لندوة التعليم الإلكتروني ، الرياض : مدارس الملك فيصل.

6- زين الدين، محمد محمود (2005). تطوير كفايات المعلم للتعليم عبر الشبكات ، بدون طبعة ، القاهرة : عالم الكتب للنشر والتوزيع.

7- زين الدين، محمود محمد (2007). كفايات التعلم الإلكتروني-المفهوم والقضايا والتطبيق والتقويم- ، جدة:خوارزم العلمية للنشر والتوزيع.

8- سالم، أحمد (2004). تكنولوجيا التعليم والتعليم الإلكتروني ، الطبعة الأولى ، الرياض : مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.

9- سوفي، نعيمة (2011). الاستراتيجيات المعتمدة من طرف الأستاذ داخل الصف ودورها في تنمية القدرة على التحكم في حل المشكلات الرياضية لدى تلاميذ الطور المتوسط ، رسالة ماجستير في علم النفس المدرسي بجامعة منتوري ، قسنطينة الجزائر.

10- الشناق، قسيم محمد وبني دومي، حسن علي أحمد (2010). اتجاهات المعلمين والطلبة نحو استخدام التعلم الإلكتروني في المدارس الثانوية الأردنية ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد السادس والعشرون ، العدد الثاني ، الأردن.

11- عبد الحي، رمزي أحمد (2005). التعليم العالي الإلكتروني محدداته ومبرراته ووسائطه ، الطبعة الأولى ، الاسكندرية : دار الوفاء لدنيا للنشر والتوزيع.

12- عبد العزيز، حمدي أحمد (2008). التعليم الإلكتروني المبادئ - الأدوات - التطبيقات ، الطبعة الأولى ، عمان : دار الفكر للنشر والتوزيع.

13- العتري، فاطمة بنت قاسم (2011). التجديد التربوي والتعليم الإلكتروني ، الطبعة الأولى ،عمان : دار الراية للنشر والتوزيع.

14- عطوان، أحمد (2010). التعليم الإلكتروني والمقررات الإلكترونية ، مجلة التعليم الإلكتروني بجامعة منصور ، المجلد الخامس ، العدد مارس ، مصر.

15- علي، أنعام عبد الحميد عباس والمقبل ، أماني صالح (2017). رؤية مستقبلية لتطوير كفايات التعليم الإلكتروني وتكنولوجيا التعليم لدى معلم الروضة.

16- العويد، محمد الصالح والحامد ، أحمد بن عبد الله (1424ه). التعليم الإلكتروني في كلية الاتصالات والمعلومات ، ورقة عمل مقدمة لندوة التعليم الإلكتروني ، الرياض : مدارس الملك فيصل.

17- غازي، مفلح (1998) الكفايات التعليمية التي يحتاج معلمو المرحلة الابتدائية إلى إعادة التدريب عليها في دورات اللغة العربية التعزيزية، رسالة ماجستير في التربية ، جامعة دمشق.

18- الغراب، إيمان محمد (2003). التعليم الإلكتروني مدخل إلى التدريس الغير تقليدي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : المنطقة العربية للتنمية الإدارية.

المراجع الأجنبية :

1- Good.C.V (1973) Dictionary of Education ، Mc Graw-Hill Book Company ، Third Edition.
2- Howsam and Houston.W.R (1972) Competency Based Teacher Educatio Chicago Progress problems and prospect science research INC.

معايير اختيار الأسلوب الإحصائي المناسب في البحوث الاجتماعية

د. ربيعة جعفور -أ.دنيا عدائكة
جامعة قاصدي مرباح- ورقلة

ملخص:

تتعاظم يوما بعد يوم أهمية استخدام الإحصاء في بحوث علم النفس نظرا لما يقدمه من نتائج دقيقة تسهم في تفسير الظواهر بشكل أفضل، ولكن مع ذلك يواجه كثير من الباحثين صعوبات جمة في اختيار الأسلوب الإحصائي المناسب ويقف حائرًا أمام العدد الكبير من الاختبارات الإحصائية المختلفة، وعادةً ما يسأل نفسه: كيف أعرف الأسلوب الإحصائي الذي من المفترض أن أطبّقه والمناسب لمعالجة بيانات الدراسة وهل سيحقق أهدافها؟ ما هي معايير اختيار الأسلوب الإحصائي؟ وهل سيتناسب هذا الأسلوب الإحصائي مع البيانات التي سأجمعها أو جمعتها في البحث العلمي؟

وعلى هذا الأساس تأتي هذه الورقة لتأكيد أهمية الإحصاء في البحوث الاجتماعية عامة وعلم النفس خاصة وتوضيح معايير اختيار الأسلوب الإحصائي المناسب والتي تتمثل في تحديد(مستوى القياس، طبيعة المتغيرات، العينة وعلاقتها بالمجتمع، قوة الاختبار الإحصائي)، مع تقديم بعض الأمثلة التطبيقية مما يساعد الباحث في التمكن من مهارة التحليل الإحصائي والسيطرة على لغة الأرقام.

الكلمات المفتاحية: ، معايير اختيار الأسلوب الإحصائي، المتغيرات ، مستوى القياس، العينة ولمجتمع، قوة الاختبار الإحصائي

Abstract:

The importance of the use of statistics in psychology research is growing more and more because of the accurate results that contribute to the better interpretation of phenomena. However, many researchers face great difficulties in choosing the appropriate statistical method and stand in front of the large number of different statistical tests, He asks himself: How do I know the statistical method that is supposed to be applied and appropriate to deal with the data of the study and will achieve its objectives? What are the criteria for choosing the statistical method? Will this statistical method be commensurate with the data that I will collect or collect in scientific research?

On this basis, this paper comes to emphasize the importance of statistics in social research in general and psychology in particular, and to clarify the criteria for

selecting the appropriate statistical method, which is to determine (the level of measurement, the nature of the variables, the sample and its relation to the society, the strength of the statistical test) In the ability to analyze statistical skill and control the language of numbers.

Keywords: criteria for selecting statistical method, variables, level of measurement, sample and society, strength of statistical test

أولا- خلفية الموضوع:

1. مقدمة:

لما كان هدف العلم هو البحث عن الحقيقة فإن العلماء يحتاجون إلى عدد من الطرق والوسائل التي تمكنهم من اشتقاق المعلومات والمعرفة وتحليل تلك المعلومات ومحاولة التنبؤ بالمستقبل وتحقيق وتعميم نتائجهم (العباسي، 2013، 2)، لذا يعد الإحصاء ركيزة من ركائز البحث العلمي الذي يُعتمد عليه في دراسة البيانات التي يتم جمعها عن ظاهرة معينة وتبويبها وتنظيمها وعرضها للتعرف عليها بوصفها أو بتحليلها واستقراء النتائج منها(أبو زينة والشايب وعبابنة والنعيمي، 2007: 17).

إذ ارتبط مفهوم البحث العلمي، ولا سيما البحث الكمي، باستخدام الأساليب الإحصائية مما أصبح من متطلبات البحث الجيد استخدام الوسائل الإحصائية؛ وفي هذا السياق قد يقع الباحث في عدة أخطاء لسوء استخدامه للإحصاء وقد يسهم أيضا الحاسوب بصورة ما في سوء استخدام الإحصاء، فبعض الاختبارات الإحصائية تناسب تصميمات تجريبية وفروض معينة، بينما اختبارات أخرى لا تصلح، فمن السهل تغذية الحاسوب ببيانات وكذلك من السهل أن تحصل منه على نتائج غير مناسبة(الدردير، 2006: 17)، وهو ما يعود أساسا لعدم استناد الباحث على معايير اختيار الأسلوب الإحصائي المناسب؛ كما أن تحليل البيانات ليس مجرد مسألة تقنية إحصائية فقط إذ تقع على الباحثين في العلوم الاجتماعية والتربوية والنفسية مسؤوليات أخلاقية تتعلق بتحليل البيانات بشكل صحيح والعمل على رفع القيمة العلمية للنتائج إلى حد معقول(عايش،2016: 265) وعليه فالبحث الجيد هو البحث الذي يتوصل إلى دلالات إحصائية سليمة تُمكن من قبول الفرضيات أو رفضها، وإعطاء تفسيرات وقرارات صائبة بغية تعميم النتائج.

2.أهمية الإحصاء في البحوث الإجتماعية:

يحتل الإحصاء (أو الأساليب الإحصائية) أهمية خاصة في الأبحاث العلمية الحديثة، إذ لا تخلو أي دراسة أو بحث من دراسة تحليلية إحصائية تتعرض لأصل الظاهرة أو الظاهرات المدروسة فتُصور واقعها في قالب رقمي، وتنتهي إلى أبرز اتجاهاتها وعلاقاتها بالظاهرات الأخرى(القصاص، 2007: 15)؛ ولا تقف مهمة

الإحصاء على التحليل فحسب حيث أن الإحصاء يدخل في كل مراحل البحث العلمي، فلا يمكن للباحث أن يخطط وينفذ كل بحثه دون خبرة ومعلومات الإحصائي(العباسي، 2013: 3).

ويلعب الإحصاء دورا بارزا في البحوث الاجتماعية والإنسانية، فالإحصاء هنا ما هو إلا أسلوب علمي ينظم التفكير، يعتمد على جمع الحقائق لظاهرة معينة تكون محل الدراسة، وتسجيل الأعداد على هيئة بيانات واستخراج المقاييس اللازمة لإظهار النتائج والاحتمالات بصورة سليمة وواضحة، والكشف عن المؤثرات التي تتحكم بهذه النتائج وإيجاد العلاقة بينهما، لتوضيح الطرق الأنسب لحل المشكلة المراد دراستها(عميرة وبرادعية، 2015: 87).

كما تبرز أهمية الإحصاء في البحوث العلمية والتربوية من كون معظم هذه البحوث إن لم تكن جميعها تقريبا هي بحوث تعتمد التكميم في تحليل نتائجها وتحتاج إلى عمليات إحصائية مناسبة سواء في بناء أدواتها أو في تحليل وتفسير هذه النتائج، ويمكن تحديد أهمية الإحصاء في البحوث العلمية والتربوية في النقاط التالية حسب ما أورد في السردي(2012 : 28):

1. جمع البيانات عن الظاهرة العلمية أو التربوية، وهذا ما يتعلق بالكشف عن واقع الظاهرة ومدى تأثيرها في أحداث تغييرات.
2. استخدام الإحصاء في التعرف على مصداقية (صدق)، وثبات أدوات البحث من حيث إمكانية جمع البيانات والمعلومات من الظواهر الطبيعية أو التربوية بطمأنينة.
3. إجراء المعالجات الإحصائية للبيانات التي تم الحصول عليها، بالأساليب الملائمة لخصائصها والفرضيات التي يسعى الباحث للتأكد من حدوثها أو تحققها.
4. تبويب البيانات الإحصائية وتفريغها بصورة تضمن للباحث معالجتها بالأساليب الإحصائية المناسبة.
5. إكساب الباحث القدرة على اتخاذ القرارات بشأن مصداقية الإجراءات الإحصائية قبل الشروع بتنفيذها أو التعامل معها.

ثانيا- معايير اختيار الأسلوب الإحصائي المناسب:

تعتبر مهارة اختيار الأسلوب الإحصائي المناسب لبيانات البحث من أهم المهارات التي يجب أن يكتسبها الباحث في معالجة مشكلته البحثية لأهمية هذه الخطوة حيث يذكر العساف نقلا عن عايش(2016: 268) بأن أسلوب معالجة البيانات خطوة مهمة من خطوات تصميم البحث، فالمتتبع للدراسات في مجال العلوم التربوية والنفسية يلاحظ تناقضا في النتائج، وهو ما أكدت عليه بعض الدراسات، ويذكر النجار أن هذا التناقض يعود بالدرجة الأولى إلى سوء استخدام الأساليب الإحصائية وإلى عدم تحري الدقة في تحليل البيانات، لذلك فإنه ينبغي على الباحث أن يختار الأسلوب الإحصائي على أساس دراسة إطاره النظري، لا من حيث شروط استخدام كل أسلوب إحصائي فحسب، بل كذلك من جهة مدى ملاءمته لتحقيق أهداف البحث وافتراضاته؛ وحتى يتمكن الباحث من ذلك لابد له من الاستناد إلى مجموعة من المعايير وهي:

1. **الهدف من البحث**: قد نستخدم أساليب الإحصاء الوصفي أو الاستدلالي نظرا لاختلاف أهداف البحوث، وذلك كما يلي:

– **الإحصاء الوصفي:** قد يكون هدف الباحث تبويب البيانات(سواء كانت خاصة بالمجتمع ككل أو عينة منه) وتصنيفها ذلك أنها تخفض وتلخص كمية كبيرة من الدرجات أو البيانات في قيمة واحدة يسهل فهمها كما أنها تحدد خصائص الظاهرة واتجاهاتها العامة؛ وهذه القيمة هي ما يسمى بمقاييس النزعة المركزية أو مقاييس التشتت ويعتمد استخدامها على نوعية البيانات ومستويات القياس.

– **الإحصاء الاستدلالي:** يعتمد ما سبق ذكره في الإحصاء الوصفي على مجرد الوصف دون الحصول على استدلالات خاصة بالمجتمع الذي تنتمي إليه، وهذا الأخير هو هدف ما تقوم به معظم بحوث علم النفس وعلوم التربية التي تقام على عينات لذلك يهدف الباحث من خلال التحليل الاستدلالي للبيانات إلى عمل استدلالات عن معالم مجتمع الدراسة(المجهولة أصلا) بناء على إحصاءات العينة المسحوبة من ذلك المجتمع الأصل(حيث تتوفر لدى الباحث بيانات كافية عن الخصائص الإحصائية للعينة) وذلك قصد تعميم النتائج على المجتمع، فضلا عن اختبار الفروض الإحصائية، ويطلق على هذا النوع من الإحصاء عدة مسميات منها الاستدلال الإحصائي، الاستدلال التعميمي، وهو يستند إلى مجموعة من النظريات الإحصائية لعل أهمها نظرية الاحتمالات ونظرية المعاينة، وهو يعتمد على استخدام اختبارات الفروق ومعاملات الارتباط بصفة أساسية.

2.مستويات القياس:

القياس في معناه الشائع، هو ملاحظة علمية مقننة لخصائص الأفراد والأشياء باستعمال لغة الكم(معمرية، 2012: 88) وهو عملية التعبير عن خواص الظواهر باستعمال الأرقام وفقا لقواعد محددة،، ويعتمد الأسلوب الإحصائي إلى حد كبير على طريقة قياس متغيرات الدراسة، فإذا استعمل الباحث أسلوبا إحصائيا لا يتناسب مع طريقة قياس بحثه فإنه سيحصل على نتائج مضللة مع ملاحظة أن المستوى الأعلى يمكنه استعمال أساليب المستوى الأدنى منه؛ وكلما زادت دقة القياس كلما أمكن استخدام أساليب إحصائية على درجة أفضل ويمكن تمييز أربع مستويات من مستويات القياس على أساس القاعدة التي يتم استخدام الأرقام وبناء عليها في وصف الأشياء والأحداث، ويستطيع الباحث ومن خلال تحديد مستوى قياس كل متغير من تحديد الأسلوب الإحصائي المناسب، وهي كالتالي:

- مستوى التسمية أو العد أو التصنيف:

وهي أقل مستويات القياس بالنسبة لإجراء العمليات الحسابية، لأنها تتضمن الحد الأدنى للقياس وهو تصنيف حالات متغير في فئات أو أقسام، بحيث يعتمد على تصنيف موضوع القياسات إلى فئات تبعا لاشتراكها في خاصية واحدة، أو لغرض تحديد هويتها مثل: تصنيف الطلبة ناجح، راسب؛ أو ابتدائي،

إعدادي، ثانوي، جامعي... وهذا التقسيم هو النوع الوحيد من القياس الممكن في هذا المستوى، ويسمى هذا المستوى اسميا لأن الأرقام التي نستخدمها فيه تأخذ مقام الأسماء أو الفئات التي ينتمي إليها الأشخاص أو الأشياء كأفراد، فمثلا نستخدم الرقم 1 للدلالة على الذكور والرقم 2 للدلالة على الإناث فهذا لا يشير إلى أي مضمون كمي؛ والعمليات الحسابية التي يمكن إجراؤها على هذا المستوى تتمثل في تعداد الحالات الفردية التي تشغل فئة معينة كما يمكن استخراج النسب المئوية لعدد الأفراد في كل فئة؛ وأشهر الأساليب الإحصائية المستعملة مع هذا المستوى:

- **الإحصاء الوصفي**:التكرارات، المنوال، النسب المئوية
- **الإحصاء الاستدلالي**: اختبار الوسيط، معامل الارتباط فاي، معامل الارتباط الثنائي، معامل الارتباط الرباعي، معامل الارتباط التوافقي، اختبار كا^2...

- **مستوى مقاييس الرتبة**: هذا هو المستوى التالي للقياس ويستخدم عندما يمكن ترتيب البيانات في سلسلة تمتد من الأدنى إلى الأعلى (أو العكس) في الخاصية المقاسة كترتيب المستوى التعليمي (جامعي- ثانوي- متوسط) أو ترتيب تحصيل التلاميذ(الأول، الثاني، الثالث...) أو ترتيب أطوال التلاميذ(1، 2، 3 ...)أي أنه في هذا المستوى يرتب الناس أو الأشياء تصاعديا أو تنازليا على سلم متدرج فيكون (س) مثلا هو الأول و(ص) الثاني و(ع) الثالث... وهكذا لكن قيمة هذه الأرقام هي في ترتيبها وليس في الكم الذي تحويه، والوحدات في هذا المستوى متساوية ظاهريا وغير متساوية فعليا إذ أن الفروق المتساوية في الرتب لا تدل على فروق متساوية في العلامات الخام(ملحم، 2017: 36)
وبذلك لا يمكن تحديد الفرق بين رتبتين بدقة؛ وأشهر الأساليب الإحصائية المستعملة مع هذا المستوى:

- **الإحصاء الوصفي**:الوسيط، المئينيات، الإرباعيات ...
- **الإحصاء الاستدلالي**:معامل الارتباط سبيرمان، جاما، كندال، كولموجروف، مان ويتني...

- **مستوى مقاييس المسافات المتساوية**: وهذا هو المستوى الثالث للقياس ويعد أرقى من المستويات السالفة الذكر، أين يشير الرقم إلى "كم" وجود الخاصية، بحيث يمكن تحديد كم وجود الخاصية من ناحية ومن ناحية أخرى يمكن تحديد مدى بعد شيئين أو شخصين عن بعضهما في الخاصية محل القياس، وأن تكون هذه المسافات متساوية(معمرية، 2012: 93)، وهو يسمح بتحديد الفرق بين شخصين في الخاصية المقاسة، وأغلب المقاييس النفسية والتربوية من هذا النوع فنحن نقارن بين درجات طالبين في الاختبار بالنسبة لبعد درجة كل منهما عن متوسط درجات المجموعة التي ينتميان إليها؛ وأشهر الأساليب الإحصائية المستعملة مع هذا المستوى:

- **الإحصاء الوصفي**:المتوسط الحسابي، الانحراف المعياري...

– **الإحصاء الاستدلالي:**معامل الارتباط بيرسون، اختبارات، تحليل التباين، الانحدار

- **مستوى مقاييس النسبة:** وهذا المستوى هو أعلى مستويات القياس وهو يعد أدق مستويات القياس، حيث أنه يحقق الخصائص الثلاث والمتمثلة في المقدار، وتساوي المسافات، والصفر المطلق، الذي يمثل انعدام السمة أو الخاصية المقاسة ولعل المسطرة العادية تعد مثالا بسيطا للميزان النسبي(بوسالم، 2014: 27) حيث يمكن القيام بجميع العمليات الحسابية فيه؛ إلا أن هذا النوع نادر الاستخدام في البحوث النفسية والتربوية إلا في حالة قياس الظواهر النفسية بمقاييس فيزيائية كقياس زمن الرجع والتذكر وغيرها.

وعليه يستطيع الباحث تحديد مستوى قياس كل متغير من تحديد الأسلوب الإحصائي المناسب، والجدول التالي يوضح المعالجة الإحصائية الممكنة لمستويات القياس:

جدول رقم(01): الفرق بين أنواع المقاييس وخصائصها والمعالجة الإحصائية الممكنة

المصدر: (ملحم،2017: 39)

المقياس	الخاصية	المعالجة الإحصائية
الاسمي	المساواة	عد الحالات في الفئة: المنوال، الوسيط.
الترتيبي	التساوي الترتيب	الوسيط،المئينيات، معامل ارتباط الرتب.
المسافة أو الفئوي	التساوي الترتيب وحدات متساوية	جميع العمليات الحسابية عدا القسمة: المتوسط، الانحراف المعياري، معامل ارتباط بيرسون، اختبارات الدلالة (ن) (ف)
النسبي	التساوي الترتيب وحدات متساوية، صفر حقيقي	جميع العمليات الحسابية مسموحة والمعالجات الإحصائية المختلفة ممكنة.

3.طبيعة العينة وعلاقتها بالمجتمع:

يعنى الباحثون في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية بدراسة الظواهر الموجودة في المجتمع، فإذا كان موضوع البحث هو مستوى الطموح لدى طلاب المرحلة الثانوية بالجزائر فإن جميع طلاب المرحلة الثانوية بالجزائر يمثلون مجتمع البحث؛ وإذا كان الباحث يريد دراسة مشكلات التلاميذ ذوو صعوبات التعلم في المرحلة الابتدائية فإن جميع تلاميذ المرحلة الابتدائية ذوو صعوبات التعلم ينتمون لمجتمع الدراسة.

إذن فمجتمع البحث يعرّف على أنه جميع الأفراد أو الأشياء الذين يكوّنون موضوع مشكلة البحث، وعليه فإن تحديد مجتمع البحث مهم حتى لا تخرج استنتاجات الدراسة وتوصياتها عن إطارها الذي تبحث فيه؛ ولكن السؤال المطروح هنا هو:هل يستطيع الباحث أن يجمع بياناته

من جميع أفراد مجتمع دراسته؟ نظريا يمكننا ذلك ولكن عمليا العملية تبدو شاقّة ومكلّفة وللتوضيح فلنقارن هنا بين إحصاءات السكان التي تضعها الدولة وكم تكلّف من الجهد والوقت والمال على الرغم من كون العملية لا تتعدى مجرد العد، ولنتخيل أننا سنطبق اختبارات على هؤلاء الأفراد جميعا أو نقوم بإجراء مقابلات وتحليلات إحصائية(تتمثل في تحديد معلمات المجتمع من مقاييس النزعة المركزية ومقاييس التشتت وغيرها)، وعليه فالصعوبة هنا عملية مما يعني اللجوء إلى أسلوب آخر يضمن الحصول على نفس النتائج مما لو طبقت الدراسة على المجتمع ككل، ونظرا للتقدم في علم الإحصاء ووجود أساليب تمكن الباحث من استخدام عينات صغيرة أو محدودة يستطيع ببياناتها استنتاج ما يتعلق بالظاهرة المدروسة في المجتمع ككل، ظهر أسلوب المعاينة والذي يتعين فيه على الباحث التقيد بمجموعة شروط لضمان تحقيق الهدف الأصلي وهو تعميم نتائج العينة على المجتمع الأصلي؛ وهذه الشروط حسب العساف(2006: 93) هي كالتالي(تجانس الصفات والخصائص بين أفراد العينة والمجتمع، تكافؤ الفرص لجميع أفراد مجتمع البحث،عدم التحيز في الاختيار، تناسب عدد أفراد العينة مع عدد أفراد مجتمع البحث).

ويمكن تقسيم العينات إلى نوعين هما العينة العشوائية أو الاحتمالية والعينات اللاعشوائية أو اللاإحتمالية، فالعينات العشوائية هي التي تكون فيها لكل فرد من أفراد المجتمع فرصة لأن يكون أحد أفراد العينة)، أما العينات اللاعشوائية فلا يوجد فرص متساوية لأفراد المجتمع ليكونوا أفراد في العينات(المنيزل وغرايبة، دس: 19) وأهم أنواع المعاينة العشوائية هي (العينة العشوائية البسيطة، العينة العشوائية المنتظمة، العينة العشوائية الطبقية، العينة العشوائية العنقودية أما أهم أنواع المعاينة غير العشوائية هي(العينة العرضية، العينة القصدية، العينة الحصصية)

نستنتج مما سبق أن الهدف من اللجوء إلى أسلوب المعاينة هو الاستدلال الإحصائي والذي يمكن التوصل إليه عن طريق اختبار فرضيات يضعها الباحث وتتمحور فكرة هذه الفرضيات عما إذا كان الفرق بين العينة والمجتمع ناتج عن عشوائية العينة(راجع إلى صدفة اختيار هذه العينة بالذات) أم أنه دال إحصائيا، بمعنى لو سحبت أي عينة عشوائية أخرى سنحصل على هذه الفروق.

ولكن مهما كان قرار الباحث باستخدام أسلوب المعاينة فهو لا يدري هل هو صحيح أم خاطئ وهناك نوعين من الأخطاء قد يقع فيهما الباحثون:

- **الخطأ من النوع الأول:** وهو عندما يرفض الباحث الفرض الصفري وهو صحيح وهو ما يطلق عليه مستوى الدلالة الإحصائية (α).
- **الخطأ من النوع الثاني:** وهو عندما يقبل الباحث الفرض الصفري وهو خطأ ويطلق عليه (β)

بمعنى أن قرار الباحث سيكون غير صحيح في كلتا هاتين الحالتين على أن الخطأ من النوع الأول أكثر خطورة.

وعليه فإن علاقة العينة باستخدام نوع الإحصاء تتمثل فيم يلي:

- يتعامل الإحصاء البرامتري مع العينات التي سحبت عشوائيا بينما لا يشترط الإحصاء اللابرامتري الاختيار العشوائي.
- عندما يكون حجم العينة أكثر من 30 نلجأ إلى الإحصاء البرامتري أما الإحصاء اللابرامتري فيتعامل حتى مع العينات الصغيرة أي أقل من 30.
- يتعامل الإحصاء البرامتري مع التوزيعات الاعتدالية أما الإحصاء اللابرامتري فيتعامل حتى مع التوزيعات الحرة.
- عند وجود معلمات المجتمع نلجأ إلى الإحصاء البرامتري أما الإحصاء اللابرامتري فلا يشترط وجود معلمات المجتمع.

4.طبيعة المتغيرات:

المتغير هو ظاهرة تصف قيّما مختلفة من الخواص(السمات) لدى الأفراد مثل: الطول، الوزن، التحصيل الدراسي..إلخ (أبو زينة وآخرون، 2007: 25)

وتستخدم المتغيرات للتعبير عن المفاهيم والتكوينات، كما أنها تعتبر في نفس الوقت المؤشرات التي يمكن عن طريقها قياس المفاهيم والتكوينات، حيث يستخدم أبو علام (2007) عدة تصنيفات للمتغير ولكن من منظورين أساسيين لهما أهمية كبيرة في البحث العلمي وهي من حيث مستوى القياس وتصميم البحث ونلخصها في الجدول التالي:

جدول رقم(02): أنواع المتغيرات

المصدر: (أبو علام، 2007: 58-60)

	نوع المتغيرات		الوصف
مستوى القياس	متغيرات كمية	متغير متصل	يتصف بأنه لا يوجد فجوات بين قيم المتغير ويتم قياسه باستخدام مستوى المسافة (متغير يخضع لتسلسل لا نهائي) مثل: الذكاء
		متغير منفصل	متغيرات متقطعة، قيم غير متصلة ولا يمكن استخدام الكسور(جميع قيمه صحيحة) مثل: عدد أفراد الأسرة.
	متغيرات قطعية(تصنيفية)		وهنا يتجه التصنيف وفقا للنوع وليس للدرجة عكس

		المتغيرات الكمية وتعبر عن المستوى الاسمي للقياس.
تصميم البحث	متغير مستقل	في البحوث التجريبية هو المتغير التجريبي الذي يعالجه الباحث ليرى أثره على المتغير التابع، والمتغير التابع متغير تصنيفي غالبا
	متغير تابع	هو المتغير الذي يظهر أثر المتغير المستقل فيه، والمتغير التابع متغير متصل غالبا
	متغير كامن	خاصية غير قابلة للملاحظة يفترض أنها تشكل الأساس للمتغيرات القابلة لملاحظة المباشرة، ولكن نستدل على وجوده باستخدام متغيرات.
	متغير ظاهر	يمكننا ملاحظتها ملاحظة مباشرة، إذا عرفت تعريفا إجرائيا.

- يتعامل الإحصاء البرامتري مع البيانات الكمية بينما يتعامل الإحصاء اللابرامتري مع البيانات النوعية.
- المتغيرات الكمية هي إما متغيرات متصلة أو منفصلة.
- المتغيرات البرامترية تقاس على مقاييس المسافة والنسبة أما اللابرامترية فتقاس على مقاييس التسمية والرتبة.
- الإحصاء البرامتري أكثر قدرة على معالجة التفاعل بين متغيرين أو أكثر بينما الإحصاء اللابرامتري فيقصر عن ذلك إلا في حالة واحدة وهي تحليل التباين لفريدمان.
- قد يكون المتغير إما: متغير مستقل(يؤثر في الظاهرة)، متغير تابع(يتأثر بالمتغير المستقل)، متغير وسيطي(يؤثر في العلاقة بين المتغير المستقل والتابع)...
- قد تتعدد المتغيرات في البحث لتشمل أكثر من متغير واحد.

5.قوة الاختبار الإحصائي:

"وهو احتمال أن اختباراً ما سوف يعطي نتائج دالة إحصائيا"؛ ويمكن تعريف قوة الاختبار الإحصائي بأنه: احتمال الإصابة في رفض فرض صفري خاطئ، وبالتالي قبول فرض بديل صحيح، أو احتمال اتخاذ قرار صحيح عندما يكون الفرض الصفري خاطئا؛ ولهذا يفضل في البحوث التربوية والنفسية من الناحية الإحصائية صياغة فروض البحث بصورة صفرية، وذلك لضمان تجنب الباحث الوقوع في خطأ النوع الثاني الذي يقلل من قوة الاختبار الإحصائي المستخدم(السردي، 2012: 22).

ولقد اختلف الباحثون في أي النوعين أكثر دقة الإحصاء البرامتري أم الإحصاء اللابرامتري وذلك نظرا للاعتبارات التالية:

- الإحصاء اللابرامتري أكثر قوة لأنه قادر على رفض الفرض الصفري عندما يكون خطأ سواء كان حجم العينة كبيرا أو صغيرا أما الإحصاء البرامتري فيرفضه في حال (ن) أكبر من 30.

- الإحصاء البرامتري أكثر قوة ما دام يعتمد على العينات الكبيرة(الممثلة للمجتمع)، مع ملاحظة أن الإحصاء البرامتري أكثر صعوبة ويستغرق وقتا كما يشترط خطية العلاقة.

ومن العوامل المؤثرة في قوة الاختبار الإحصائي حسب أبو زينة وآخرون(2007: 249) حجم الأثر غير أن هذا العامل غير قابل للضبط لأن الباحث لا يعلم شيئا عن حجم الأثر قبل إجراء التجربة، وعليه فالعوامل الأكثر تأثيرا هي:

- مستوى الدلالة: يتناسب مستوى الدلالة تناسبا طرديا مع قوة الاختبار.

- نوع الاختبار(بذيل واحد أو بذيلين): نتوقع أن تكون قوة الاختبار أكبر إذا كانت الفرضية متجهة(بذيل واحد).

- حجم العينة: بما أن قيمة الخطأ المعياري تقل كلما ازدادت قدرة العينة على تمثيل المجتمع بشكل أفضل أو كلما ازداد حجم العينة، فإننا نتوقع ازدياد احتمال الكشف عن أثر المعالجة كلما ازداد حجم العينة، وهذا يعني زيادة قوة الاختبار.

كما تتعلق قوة الاختبار الإحصائي بنوع الإحصاء المستخدم، وعليه يجب هنا على الباحث التمييز بين الاختبارات البرامترية واللابرامترية في اختيار الأسلوب الإحصائي وتحديد قوة الاختبار الإحصائي، ويمكن أن نلخص الفروق بينهما كالتالي:

جدول رقم(03): الفرق بين الإحصاء البرامتري واللابرامتري وفقا لمعايير اختيار الأسلوب الإحصائي المناسب

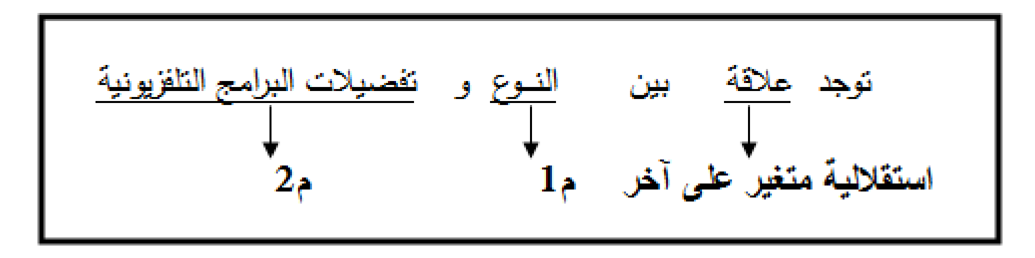
المصدر: (الدريدير، 2006: 35؛ اللويحان، 2015)

معايير الاختيار	الإحصاء اللابرامتري(اللامعلمي)	الإحصاء البرامتري(المعلمي)
مستويات القياس	التصنيفي – الترتيبي	المسافي-النسبي
طبيعة العينة	لا يهتم بمعلمات المجتمع الأصل يتحرر من التوزيع الاعتدالي للمجتمع(إحصاء التوزيعات الحرة)	توفر معلومات عن مجتمعاتها(معلمات الأصل) توزيع اعتدالي- تجانس التباين- العينات العشوائية- خطية العلاقة-استقلال العينات عينات كبيرة
طبيعة المتغيرات	بيانات تصنيفية(نوعية)	بيانات عددية حقيقية(كمية)
قوة الاختبار الإحصائي	الاختبارات البرامترية(المعلمية) أكثر قوة وأكثر مرونة من الاختبارات اللابرامترية(اللامعلمية)، بمعنى أن الاختبارات المعلمية لديها القدرة على تحديد جميع دلالات الاختلافات المهمة وذلك لأنها تعتمد على استخدام جميع المعلومات في البيانات المجموعة، على عكس الاختبارات اللامعلمية التي تعتمد فقط على ترتيب الرتب للبيانات.	

الهدف	نوع البيانات		
	كمية(من توزيع طبيعي)	ترتيبية(أو كمية ليست من توزيع طبيعي)	اسمية(ثنائية أو أكثر)
وصف مجموعة واحدة	الوسط الحسابي والانحراف المعياري	الوسيط والانحراف الربيعي	المنوال والنسب
مقارنة مجموعة واحدة مع قيمة افتراضية	اختبار "ت" لعينة واحدة أو "z اختبار "ص:	اختبار ويلكوكسون	اختبار مربع كاي أو اختبار ذو حدين
مقارنة مجموعتين مستقلتين	اختبار "ت" لعينتين مستقلتين	اختبار مان ويتني	اختبار فيشر
مقارنة مجموعتين مرتبطتين (قبل- بعد) أو (على اختبارين مختلفين)	اختبار "ت" لعينتين مرتبطتين	اختبار ويلكوكسون	اختبار ماكنيمار
مقارنة ثلاث مجموعات مستقلة أو أكثر	تحليل التباين في اتجاه واحد " ف "	اختبار كروسكال واليس	اختبار مربع كاي
مقارنة ثلاث مجموعات مرتبطة أو أكثر		اختبار فريدمان	اختبار كوكران كيو
العلاقة بين مجموعتين	معامل الارتباط بيرسون	معامل الارتباط سبيرمان	اختبار مربع كاي أو معامل فاي أو معامل التوافق
التقدير بالاعتماد على متغير مستقل واحد(التنبؤ)	الانحدار الخطي البسيط	/	الانحدار اللوجيستي البسيط
التقدير بالاعتماد على عدة متغيرات مستقلة(التنبؤ)	الانحدار الخطي المتعدد	/	الانحدار اللوجيستي المتعدد

أهم ثالثا- أمثلة تطبيقية:

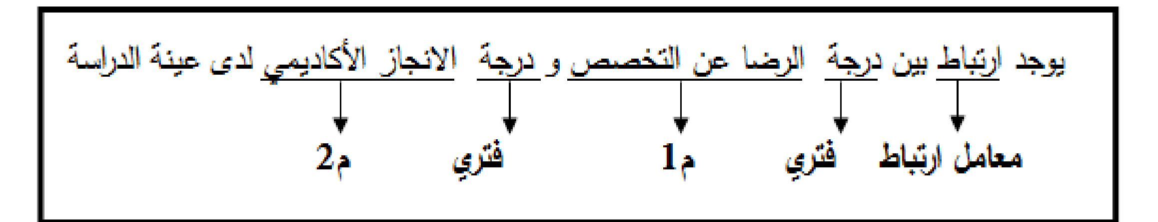
الفرضية 00:



س: ما هو الأسلوب الإحصائي الذي يكشف عن العلاقة بين متغيرين(هل المتغيرين مستقلين أم مرتبطين)؟

ج: اختبار كا^2 للاستقلالية.

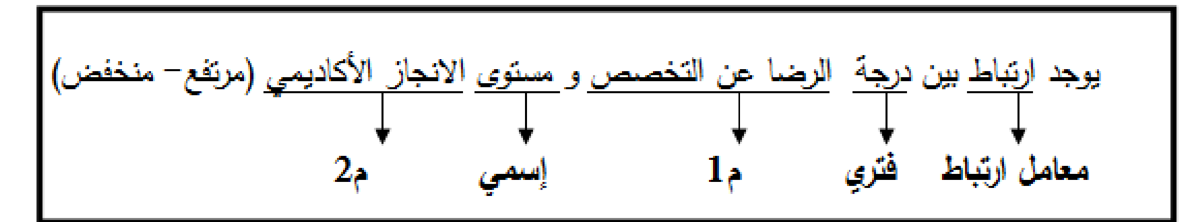
- الفرضية الأولى:



س: ما هو معامل الارتباط الذي يقيس شدة واتجاه العلاقة بين متغيرين فتريين(كميين)؟

ج: معامل الارتباط بيرسون/ البديل اللابرامتري: معامل ارتباط سبيرمان للرتب

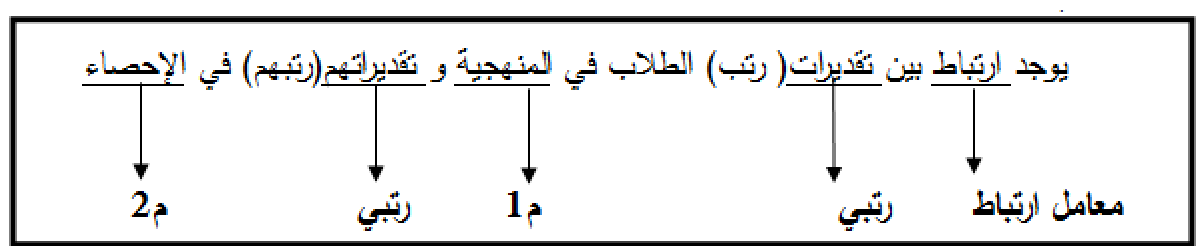
- الفرضية الثانية:



س: ما هو معامل الارتباط الذي يقيس شدة واتجاه العلاقة بين متغيرين أحدهما فتري(كمي) والآخر إسمي (تصنيفي)؟

ج: معامل الارتباط الثنائي

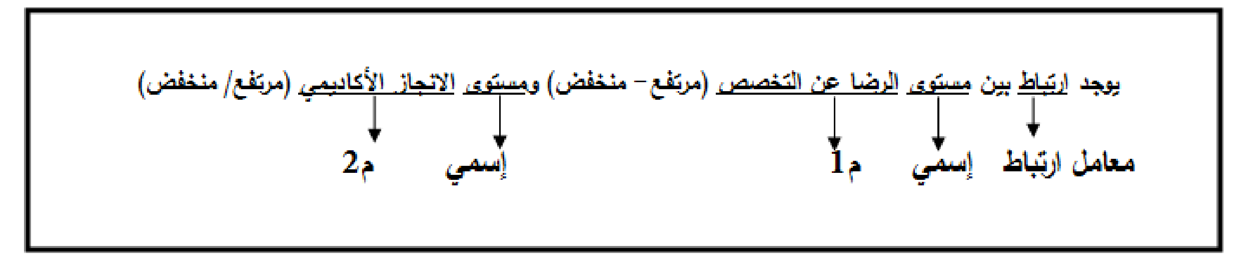
- الفرضية الثالثة:



س: ما هو معامل الارتباط الذي يقيس شدة واتجاه العلاقة بين متغيرين رتبيين؟

ج: معامل الارتباط سبيرمان للرتب.

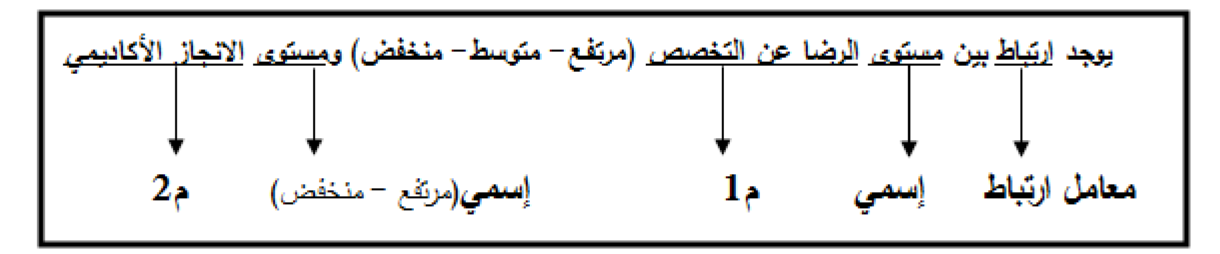
- الفرضية الرابعة:



س: ما هو معامل الارتباط الذي يقيس شدة واتجاه العلاقة بين متغيرين إسميين كلاهما ثنائي التقسيم؟

ج: معامل الارتباط فاي.

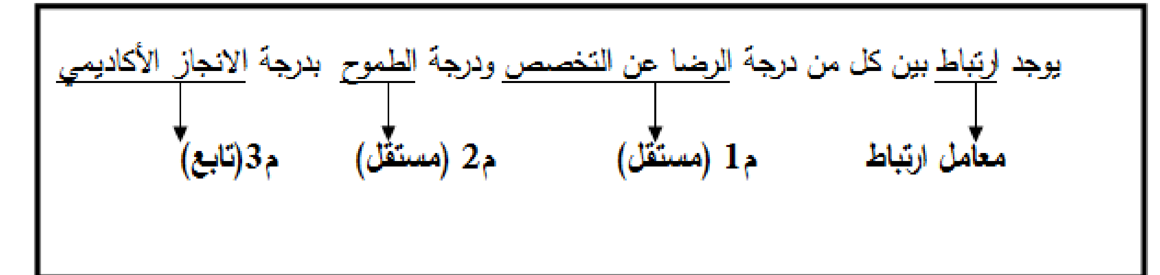
- الفرضية الخامسة:



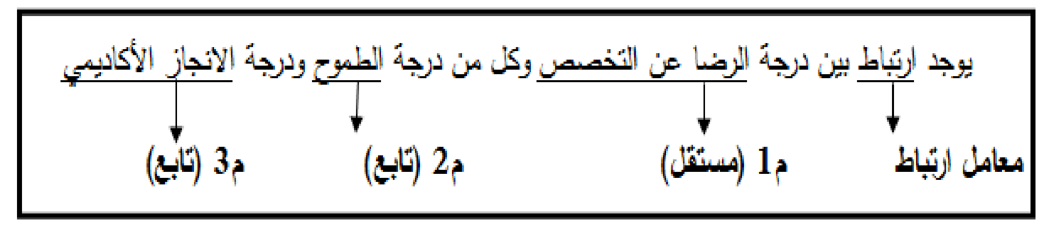
س: ما هو معامل الارتباط الذي يقيس شدة واتجاه العلاقة بين متغيرين إسميين (أحدهما أكثر من ثنائي التقسيم)؟

ج: معامل الارتباط التوافقي

- الفرضية السادسة:



الفرضية السابعة:

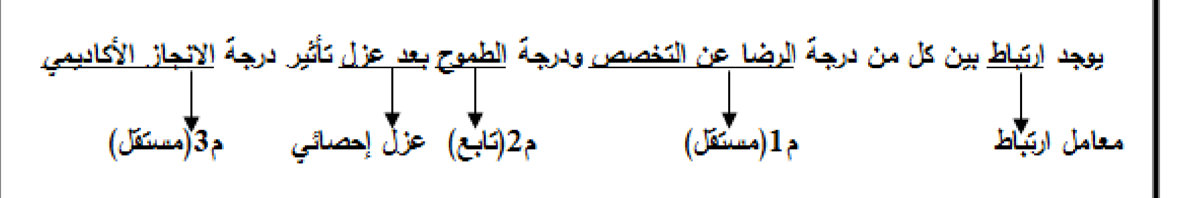


س: ما هو معامل الارتباط الذي يقيس شدة واتجاه العلاقة بين عدة متغيرات(أكثر من اثنين)؟

ج: معامل الارتباط المتعدد.

ملاحظة: يستعمل معامل الارتباط المتعدد لاختبار الفرضية السادسة والسابعة ولكن شكل المعادلة يختلف تبعا لعدد المتغيرات التابعة والمستقلة.

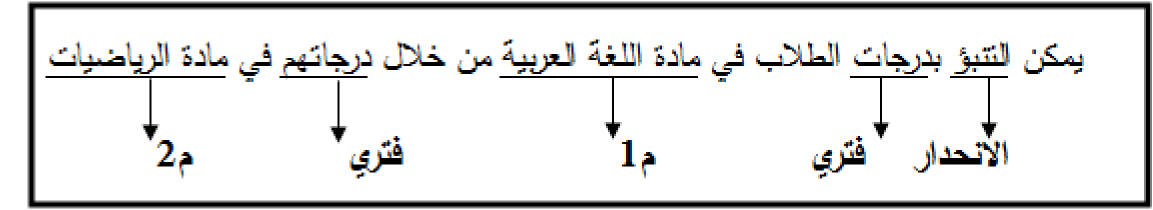
- الفرضية الثامنة:



س: ما هو معامل الارتباط الذي يقيس شدة واتجاه العلاقة بين متغيرين بعد استبعاد أثر متغير ثالث)؟

ج: معامل الارتباط الجزئي.

- الفرضية التاسعة:

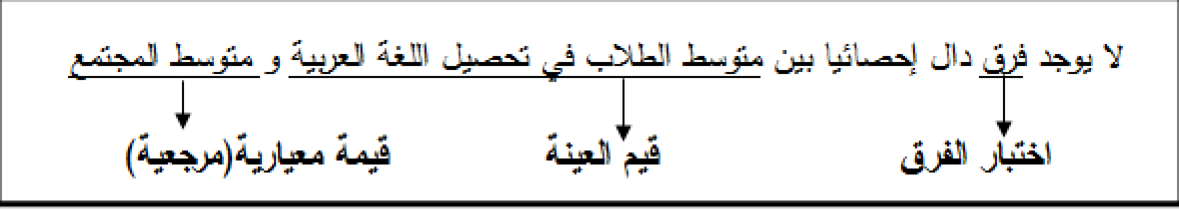


س: ما هو الأسلوب الإحصائي الذي ينبئ بمتغير ما انطلاقا من بيانات متغير آخر؟

ج: معامل الانحدار الخطي البسيط.

ملاحظة: م1: متغير رقم 1/ م2: متغير رقم 2 / م3: متغير رقم 3

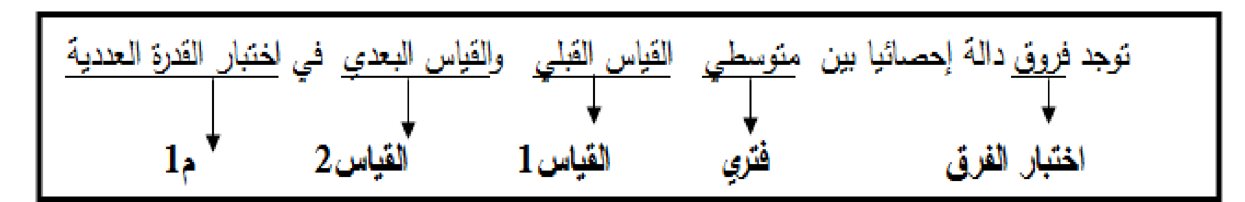
- الفرضية العاشرة:



س: ما هو مقياس الدلالة الإحصائية الذي يختبر الفرق بين متوسط العينة ومتوسط معياري(المجتمع، فرضي)؟

ج: اختبار "ت" لعينة واحدة/ البديل اللابرامتري: اختبار الإشارة.

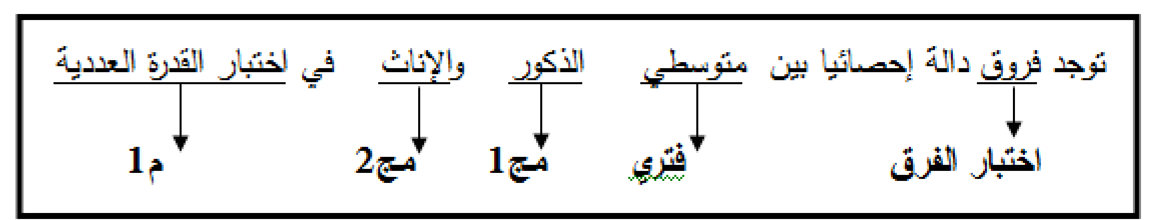
- الفرضية الحادية عشر:



س: ما هو مقياس الدلالة الإحصائية الذي يختبر الفرق بين قياسين مختلفين في متغير واحد (فتري/ كمي)؟

ج: اختبار "ت" لعينتين مرتبطتين/ البديل اللابرامتري: إختبار ويلكوكسون/ إختبار الإشارة.

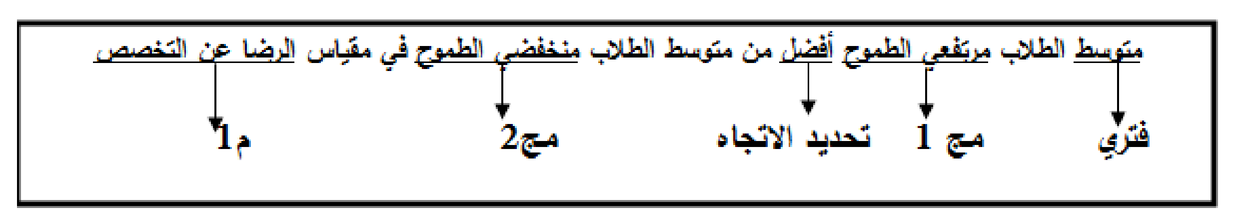
– الفرضية الثانية عشر:



س:ما هو مقياس الدلالة الإحصائية الذي يختبر الفرق بين مجموعتين مستقلتين في متغير واحد(فتري/ كمي)؟

ج: اختبار "ت" لعينتين مستقلتين/ البديل اللابرامتري: اختبار مان ويتني.

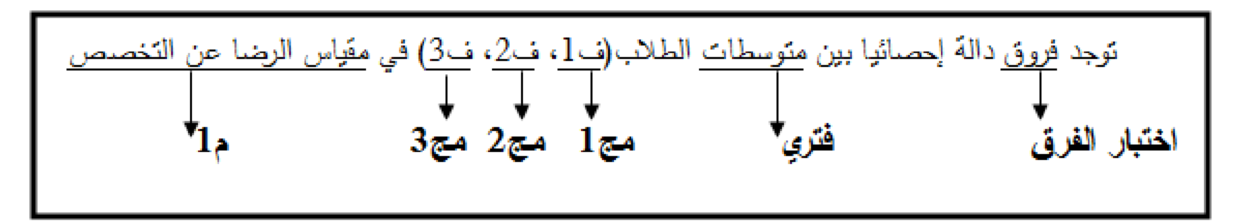
– الفرضية الثالثة عشر:



س: ما هو مقياس الدلالة الإحصائية الذي يبحث في اتجاه الفرق بين مجموعتين في متغير كمي واحد؟

ج: اختبار "ت" (لعينتين مستقلتين) ذو طرف واحد.

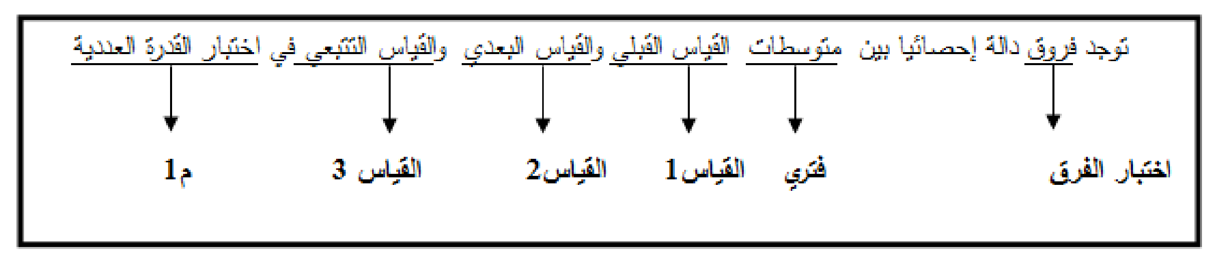
– الفرضية الرابعة عشر:



س:ما هو مقياس الدلالة الاحصائية الذي يختبر الفرق بين أكثر من مجموعتين مستقلتين في متغير واحد فتري(كمي)؟

ج: تحليل التباين الأحادي في اتجاه واحد (اختبار "ف": بين المجموعات)/ البديل اللابرامتري: اختبار كروكسال واليس.

- الفرضية الخامسة عشر:

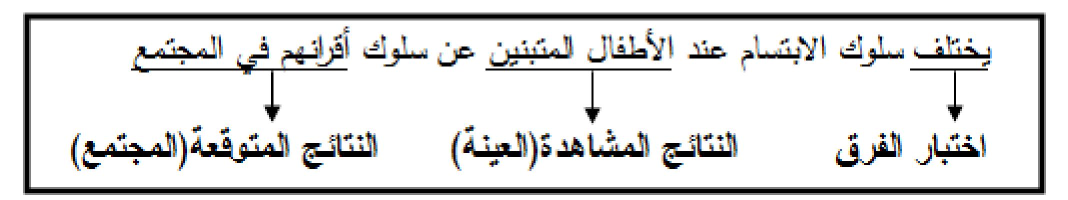


س:ما هو مقياس الدلالة الإحصائية الذي يختبر الفرق بين قياسات مختلفة لمتغير واحد فتري(كمي)؟

ج: تحليل التباين البسيط (قياسات متكررة) / البديل اللابرامتري: اختبار فريدمان.

ملاحظة: مج1: المجموعة الأولى/ مج2: المجموعة الثانية/ مج 3: المجموعة الثالثة.

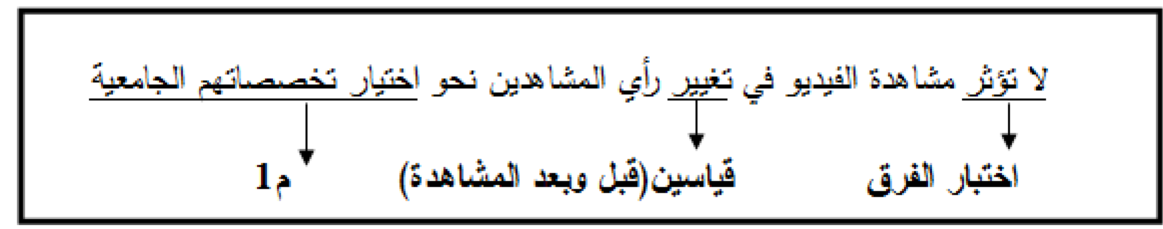
- الفرضية السادسة عشر:



س: ما هو مقياس الدلالة الإحصائية الذي يختبر الفرق بين التكرارات الملاحظة والمتوقعة؟

ج: اختبار كا^2 لجودة المطابقة.

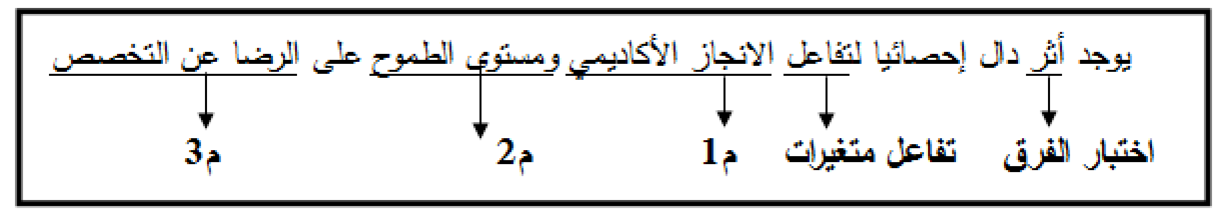
- الفرضية السابعة عشر:



س: ما هو مقياس الدلالة الإحصائية الذي يختبر الفرق بين تكرارات عينتين مرتبطتين؟

ج: اختبار ماكنيمار(كا^2 للعينات المرتبطة).

- الفرضية الثامنة عشر:



س: ما هو مقياس الدلالة الإحصائية الذي يختبر أثر تفاعل متغيرين على متغير ثالث؟

ج: اختبار تحليل التباين الأحادي في اتجاهين(مع التفاعل). البديل اللابرامتري: الانحدار اللوجستي المتعدد.

ملاحظة: لا تتم عملية التحليل إلا بعد استيفاء شروط تطبيق كل أسلوب إحصائي

خلاصة:

يركز البحث العلمي على فكرة الأبعاد الكمية للظاهرة النفسية وما تتطلبه من إحصاءات مناسبة بحيث لا يخلو بحث لاسيما البحوث الكمية من استخدام بعض الوسائل الإحصائية، وعلى هذا فعملية اختيار الأسلوب الإحصائي المناسب أصبح ضرورة ملحة لدى الباحثين نتيجة الحاجة إلى نتائج أكثر موضوعية ودقة، ذلك أن التطور الذي يرتبط بأي علم يمكن ملاحظته من خلال مدى وجود المعطيات والأساليب الإحصائية الدقيقة؛ كما أن عملية الاخلال بشروط تطبيق أي أسلوب إحصائي تؤدي لا محالة إلى نتائج مغلوطة، وعليه وجب الحرص والاعتناء بهذه العملية وعدم التردد في طلب استشارة المختصين في المجال ما تطلب الأمر ذلك، والعمل مستقبلا على امتلاك مهارة التحليل الإحصائي.

قائمة المراجع:

أبو علام، رجاء محمود(2007).**مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية**.القاهرة: دار النشر للجامعات.

أبو زينة، فريد كامل والشايب، عبد الحافظ وعبابنة، عماد والنعيمي، محمد عبد العال(2007). **مناهج البحث العلمي الإحصاء في البحث العلمي، ط2**،الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

بوسالم، عبد العزيز(2014).**القياس في علم النفس والتربية**.الأسس النظرية والمبادئ التطبيقية،الجزائر: دار قرطبة للنشر والتوزيع.

عميرة، جويدة و برادعية، صليحة (2015).**استعمالات الإحصاء في البحوث الميدانية**.أعمال ملتقى تمتين أدبيات البحث العلمي الجزائر 29 ديسمبر 2015. الملتقى العلمي المشترك الأول مع المكتبة الوطنية الجزائرية. لبنان: مركز جيل البحث العلمي. 87-97.

الدردير، عبد المنعم أحمد(2006).**الإحصاء البارامتري واللابارامتري في اختبار فروض البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية**.القاهرة: عالم الكتب.

السردي، محمد عبد الله (2012). **تقويم الأساليب الإحصائية المستخدمة في البحوث التربوية بالجامعة الإسلامية والحلول البديلة**. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية. الجامعة الإسلامية غزة- فلسطين.

العباسي، عبد الحميد محمد(2013).**الأسلوب الإحصائي:التحليل والتفسير باستخدام الحاسب وبرنامج spss**. معهد الدراسات والبحوث الإحصائية.قسم الإحصاء الحيوي والسكاني.جامعة القاهرة.

العساف، صالح بن حمد(2006). **المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية**. سلسلة البحث في العلوم السلوكية.الكتاب الأول، ط4، الرياض: دار العبيكان.

عايش، صباح(2016).أخلاق استعمال الإحصاء في البحوث النفسية والتربوية. **نقد وتنوير**.العدد الرابع،الفصل الأول،السنة الثانية، مارس آذار 2016. 256-274.

القصاص، مهدي محمد (2007). **مبادئ الإحصاء والقياس الاجتماعي**. جامعة المنصورة.

معمرية، بشير(2012).**أساسيات القياس النفسي وتصميم أدواته للطلاب والباحثين في علم النفس والتربية**. الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع.

ملحم، سامي محمد(2017).**القياس والتقويم في التربية وعلم النفس**. ط8، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

المنيزل، عبد الله وغرايبية،عايش موسى(دس).**الإحصاء التربوي-تطبيقات باستخدام الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية**.الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

اللويحان، رغد(2015/09/22). **اختيار الاختبار الإحصائي في البحث العلمي: 5خطوات لابد أن تعرفها**

تاريخ الدخول:2018/03/30 22:48

https://educad.me/39728/

الوساطة في الملكية الفكرية

أ.بلعربي سمية – د.فرحات حمو
كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة مستغانم.

الملخص:

أصبحت الملكية الفكرية تمثل إحدى اهم الثروات التي تصدرها الدول المتقدمة - تكنولوجيا - في هذا العصر وأداة من أدوات التنمية التي تعول عليها الحكومات في سياساتها الاقتصادية لما تحدثه من تغيرات تكنولوجية واقتصادية وآثار سياسية وثقافية وعلمية ، خاصة في ظل زوال الحدود الجغرافية وانفتاح التجارة الدولية وتحررها ، وتطور الاتصالات وتداخل الثقافات والمعارف بين الشعوب و الامم تحت ما يعرف بثورة الاتصالات.

بيد أن الاستغلال الفعال لهذه الحقوق وما له من أهمية حاسمة وتحت وقع التنافس الشديد والعنيف في بعض الأحيان من أجل الظفر بأعظم النتائج التي تولدها ومن ثم السيطرة والهيمنة على اسواقها فلا مفر إذن من بروز المنازعات التي قد تتسرب اليها مما يؤدي إلى فقد الشركات لأصولها الأساسية و قيمتها وفائدتها ، ولتفادي هذه المنازعات وتسويتها عند حدوثها يفضل الاطراف تجنب الوسائل الرسمية للدول (القضاء) واللجوء الى وسائل بديلة نذكر من بينها الوساطة نظرا لمزاياها العديدة و لطابعها التوافقي الذي يخفف من حدة المواجهات.

الكلمات المفتاحية : الوساطة ، الطرق الودية لحل النزاعات ،الوسيط ،منازعات الملكية الفكرية.

abstract:
Intellectual property became one of the most important big countries' exports, a tool of development
and part of the economic policy of the technological, political, cultural and scientific changes.
The borders have been opened and internal trade has been liberalized, also knowledge and
nations ‘cultures have been intertwined with communications revolution.
The effective use of these rights is crucial, but disputes may leak into
them, and they are capable of wasting valuable and useful corporate assets
In order to avoid these conflicts and settle them, the parties prefer to resort to the means of mediation, including
mediation because of the nature of consensus, which reduces the intensity of confrontations
Keywords: mediation, friendly dispute resolution methods, intermediary, intellectual property dispute.

مقدمة:

ان موضوع الملكية الفكرية من المواضيع الحديثة والهامة في ذات الوقت ، و تكمن اهميته في ما يتعلق به من حقوق تهم جميع طبقات وافراد المجتمع ومؤسساته من صناعيين و تجار و رجال أعمال و مستهلكين ونظرا لأن هذه الحقوق – تاريخيا –قامت على مبدأ الاقليمية فقد تولد عنه شبه اتفاق بأن تخضع المنازعات المتعلقة بها إلى اختصاص القضاء الوطني ، وهذا يعني استبعادها بالضرورة من اي اختصاص أجنبي.

ولكن مع ظهور مصطلح العولمة وزيادة حجم التجارة والأعمال التجارية الدولية ادى الى تزايد المنازعات وتعقدها أصبح " مبدأ الاقليمية والاختصاص القضائي الوطني " عاجزا عن مسايرة التطورات والتحولات الكبيرة وغير قادر على الاستجابة لتطلعات وطموحات الفاعلين الاقتصاديين، مما دفع بالكثير من الفقهاء وحتى بعض التشريعات إلى اقتراح وتبني طرق بديلة لتسوية هذه المنازعات .

وتعد الو م أ من أولى الدول التي بادرت الى العمل بالطرق البديلة لتسوية لحل منازعات الملكية الفكرية في صورة A .D.R اختصار للعبارة الانجليزية (Alternative means of dispute résolution) ومنها جاء المختصر الفرنسي R .A.D للعبارة (Règlement alternatif des différents) ، فظهرت العديد من هذه الطرق البديلة ومن أبرزها نذكر التحكيم و الصلح ، والوساطة التي اخترناها موضوعا لهذه المداخلة.

فتعتبر الوساطة احدى الطرق المعتمدة في تسوية المنازعات بصورة عامة، ألا أنها في مجال حقوق الملكية الفكرية تعتبر من الموضوعات المستحدثة التي مازالت في طور النشوء ، ولم تنتشر بصورة كبيرة كما هو شأن التحكيم خاصة وأن الاهتمام الاساسي بها ليس الحقوق القانونية وانما المصالح المشتركة والقيم و هنا تكمن اهمية الموضوع ومع ذلك فإن هذه الوسيلة استطاعت خلال السنوات الماضية فرض نفسها بعدما كان السبق للقضاء والتحكيم

ومما لاشك فيه فإن الطرق البديلة ومن بينها الوساطة تمتد جذورها في تاريخ البشرية عموما وأيضا في الحضارة الاسلامية ولكن الجديد هو بالنظر لتطبيقاتها العملية الحديثة التي جعلتها تمارس في ميادين جديدة وبطرق التواصل عن بعد كالأنترنت والملكية الفكرية لذلك وكمحاولة منا لمعالجة هذا الموضوع ارتأينا طرح بعض التساؤلات التي نرى الإجابة عنه كفيل بأن يعطي صورة واضحة لموضوع الوساطة في تسوية منازعات الملكية الفكرية .... فماهي الوساطة ؟ وكيف يمكن تطبيقها في مجال حقوق الملكية الفكرية ؟ وما موقف التشريعات الدولية و المشرع الجزائري منها ؟

الاجابة على هذه التساؤلات سوف تتم من خلال المحورين التاليين:

1 - الاطار القانوني للوساطة.

2 - كيفية تطبيق الوساطة كوسيلة ناجحة في تسوية منازعات الملكية الفكرية في الدول.

المحور الأول :الاطار القانوني للوساطة في نزاعات الملكية الفكرية

تنشأ منازعات الملكية الفكرية عادة بين شركات كبيرة وهذه الشركات في معظم الأوقات ترتبط مع بعضها البعض بعلاقات مستمرة واستمرارية هذه العلاقات بين هِؤلاء الأطراف تكون مسألة حيوية وضرورية ، لذلك فإن هناك حرصا شديدا للوصول إلى تسويات ودية في حال ظهور النزاعات للمحافظة على استمرارية تلك العلاقات بين أطراف النزاع ، يضاف إلى ذلك أن تسوية منازعات الملكية الفكرية بالطرق العادية تكون باهظة التكاليف بشكل عام وتشوبها كثير من التعقيدات الإجرائية وبالأخص عندما يتعلق النزاع بأمور ذات تقنية عالية وعلى الصعيد الدولي ، وبالتالي فإن اللجوء الى الوساطة يكون أقل كلفة خاصة بالنسبة للدول التي تفرض رسوم قضائية عالية على المتقاضين أو تلك التي تكون فيها أتعاب المحامين مبالغا فيها تفوق الخيال ، كما يعد عامل الوقت من العوامل المهمة في منازعات الملكية الفكرية نظرا للتطور التكنولوجي المتسارع و لهذا السبب تفضل الكثير من الدول خاصة المتقدمة منها تشجيع المتنازعين على اللجوء إلى الوساطة لحل منازعاتهم ...علما أن الوساطة في مجال الملكية الفكرية يعتبر فرعا مستحدثا من مجالات الوساطة القضائية.

تعريف الوساطة "LA MEDIATION " :

تعرف الوساطة بأنها وسيلة اختيارية يتم اللجوء إليها برغبة الأطراف خلال أي مرحلة من مراحل الخصومة القضائية للوصول للحلول المناسبة للنزاع وهي على عكس التحكيم فلا يمكن إلزام الأطراف بنتائجها[1]، وعرفت كذلك بأنها الطريقة التي يتدخل فيها شخص ثالث لحل نزاع قائم بين الخصوم أو التقريب بين وجهات النظر بين الخصوم لإرشادهم للحلول الممكنة لهذا النزاع بما يحقق مصالحهم وحثهم على اتفاق يحل النزاع بينهم.

كما عرفتها الفقرة الثالثة من المادة الأولى من قانون الاونسترال النموذجي لعام 2002 للتوفيق التجاري الدولي للوساطة بأنها" عملية سواء أشير اليها بتعبير التوفيق أو الوساطة أو بتعبير آخر ذي مدلول مماثل ، يطلب فيها الطرفان إلى شخص آخر أو أشخاص آخرين) الموفق أو الموفقين (مساعدتهما في سعيهما إلى التوصل إلى تسوية ودية لنزاعهما الناشئ عن علاقة تعاقدية أو علاقة قانونية أخرى أو المتصل بتلك العلاقة ،ولا يكون للموفق الصلاحية لفرض حل النزاع على الطرفيين[2]"

وعرفت على أنها عبارة عن مبادرة ودية تعرضها جهة ثالثة غير اطراف النزاع قد يكون شخص طبيعي أو دولة أو هيئة على أطراف النزاع بغرض التوصل إلى حل للنزاع عن طريق الدخول في مفاوضات تشارك في إدارتها الجهة صاحبة مبادرة الوساطة[3].

---

[1]- بوضياف عادل،(2012) ،الوجيز في شرح قانون الاجراءات المدنية، ،ط1 ، الجزائر ،كليك للنشر،ص360.

[2]- فراس كريم شعبان ،الوساطة في المنازعات الالكترونية ، مقال

www.uobabylon.edu.iq/publication/law_sdition10.article_ed10_6.doc.

[3]- حميد محمد علي اللهيبي،(2016)،الحماية القانونية للملكية الفكرية في إطار منظمة التجارة العالمية ،ط2، مصر، المركز القومي للإصدارات القانونية ،ص616.

كما عرفت المادة الأولى من نظام المركز العربي لتسوية المنازعات في الاردن بأنها" الوسيلة التي بموجبها السعي لفض النزاع دون أي سلطة للوسيط أو الموفق لفرض قراره في النزاع وذلك عن طريق تقريب وجهات النظر وإبداء الآراء الاستشارية التي تتيح للوصول للحل بهذه الوسيلة[1] "

حيث عرفها مركز الويبو للتحكيم والوساطة من المنظمة العالمية للملكية الفكرية" wipo بأنها إجراء يساعد فيه وسيط محايد الطرفين على التوصل إلى تسوية النزاع بما يرضيهما معا وتقيد التسوية في عقد قابل للإنفاذ[2]"

وفي التشريع الجزائري ، فالمشرع لم يعط لها تعريفا في قانون الاجراءات المدنية والادارية صراحة، وإنما اكتفى بوضع آليات ممارستها[3] من خلال النص عن كيفية تنظيمها وفقا للمواد من 994 إلى 1005 من القانون رقم 08-09المؤرخ في 25 فبراير2008، ولم يأتي بنص صريح فيما يخص الوساطة في منازعات الملكية الفكرية اي أن منازعات الملكية الفكرية تخص فقط القضاء الوطني ،ولكنه لم يستبعدها من نطاق اختصاص الطرق البديلة لحل النزاعات[4] كما نستنتج ذلك من نص المادة 994 من القانون إم إ التي تلزم القاضي بعرض إجراء الوساطة على الخصوم في جميع المواد باستثناء قضايا شؤون الأسرة والقضايا العمالية ،وكل ما من شأنه أن يمس بالنظام العام [5] ويترتب على هذا النص إدماج منازعات الملكية الفكرية ضمن نطاق آلية الوساطة لأنها لم تستثنى بنص صريح وتقبل هاته الحقوق أيضا كآلية التحكيم.

ومنه نستنج ان الوساطة في هاته المنازعات الفكرية لا تطبق في الجزائر رغم أنها مطبقة في عدة دول وخاصة المتقدمة نظرا لطبيعة الوساطة التوافقية ولكن لمالا تكون كألية جديدة مستقبلا وخاصة في هذا النوع من الحقوق.

ولعل من أبرز المراكز المتخصصة بالوساطة في الملكية الفكرية التي تقدم الخدمة لتسوية المنازعات هو مركز الويبو للتحكيم والوساطة .

مزايا الوساطة كطريقة بديلة لتسوية المنازعات وتمييزها عن غيرها من الطرق:

1 – المزايا : من خلال الوساطة يستطيع أطراف النزاع التأكد من أن قضيتهم تسمع من قبل شخص أو أشخاص من ذوي الخبرة في حقوق المؤلف أو العلامة التجارية أو براءات الاختراع... إلخ

---

[1]- فراس كريم شعبان ، مرجع سبق ذكره .

[2] -http://arbitier.wipo.int.

[3]-عروي عبد الكريم ،(2012)،لطرق البديلة في حل المنازعات القضائية (الصلح والوساطة القضائية)،مذكرة ماجستير، فرع العقود والمسؤولية، جامعة الجزائر1، بن عكنون، ص77.

[4] - عجة الجيلالي، (2015)،منازعات الملكية الفكرية، موسوعة حقوق الملكية الفكرية ،(ط1)، لبنان، منشورات زين الحقوقية ، ص19.

[5] - المادة994 من القانون رقم 08-09 المؤرخ في 25 فبراير2008 يتضمن قانون الاجراءات المدنية والادارية.

- كون منازعات الملكية الفكرية غالبا ما تقوم بين أطراف مرتبطين مع بعضهم بعلاقات تجارية ، ويتوخون الاستمرارية في هذه العلاقات ، فإننا نجد هنا أن الوساطة من الممكن أن تقدم نهجا تعاونيا وديا لتسوية الخلافات إلى جانب تقييم الاعتبارات التجارية الغير قانونية[1].
- بما أن الملكية الفكرية تعتبر من المواضيع القانونية الحديثة فإن التشريعات المتعلقة بها مازالت بحاجة إلى الصقل والتطوير سواء في الدول التي تعتمد على السوابق القضائية أو الدول التي تعتمد على القانون الوطني في كلتا النظامين نجد ان الوساطة مناسبة في هذه المجالات.
- إن حقوق الملكية الفكرية وخصوصا المتعلقة ببراءات الاختراع والاسرار التجارية تتطلب السرية التامة
- الطابع السري لإجراء الوساطة يسمح للطرفين فيها أن يتفاوض بحرية أكبر ويمكنه من التوصل إلى نتيجة دون أية دعاية أو إشهار[2] .
- تعتبر الوساطة بشكل عام أقل تكلفة من التقاضي أمام المحاكم وبذات الوقت فإن فيها اختصار الوقت.
- تضمن الوساطة استمرارية العلاقة بين اطراف النزاع وما يعكسه ذلك من ثبات للعلاقات التجارية ما بين أطراف النزاع.
- غالبا ما تكون نتيجة الوساطة مرضية لطرفي النزاع على عكس ما والاقتصادية لكلا طرفي النزاع وليس القواعد القانونية كما هو الحال في التحكيم التجاري أو التقاضي .

2 - تمييزها عن غيرها من الطرق :

- الوساطة والتحكيم :

رغم أن كل من الوساطة والتحكيم من الطرق البديلة لحل النزاعات بعيدا عن القضاء إلا إن الفرق بين المفهومين من الأهمية بمكان ويحتاج لنظرة فاحصة الوقوف على تفاصيله ، و لعل من بين اهم الفوارق التي يمكن ذكرها :

إن اشتراط اللجوء للتحكيم قبل اللجوء للقضاء يكون قيدا على الدعوى ولا يمكن رفع الدعوى أمام القضاء إلا بعد المرور بكل اجراءات التحكيم [3]ويمكن لكل خصم الدفع بتخلف هذا الإجراء في حالة توجه خصمه مباشرة للقضاء دون اللجوء للتحكيم ، وهذا الأمر الذي لا نجده في الوساطة فالأفراد أحرار في اللجوء للقضاء بعد المرور بالوساطة أو المرور دون اللجوء إليها.

- اشتراط التحكيم يقع تحت شروط معينة لكن في الوساطة لا يشترط فيها أيا من الشروط.
- رأي الوسيط غير ملزم للأطراف في حين رأي المحكم أو الحل المقدم من طرفه يكون ملزم لجميعهم ولا يحق لأي من الخصوم التخلف.

– الوساطة والتوفيق :

[1] -عمر مشهور حديثة الجازي، 2004،الوساطة كوسيلة لتسوية منازعات الملكية الفكرية، جامعة اليرموك، المملكة الاردنية الهاشمية ،في اطار ندوة بعنوان الوساطة كوسيلة بديلة لحل المنازعات ،المركز الاردني لتسوية المنازعات ، ص4.

[2] - wipo arbitier (مرجع سبق ذكره).

[3] - بوضياف عادل ، مرجع سابق ، ص361.

التوفيق هو اتفاق بين اطراف النزاع غلى تقديم تنازلات بينهم بغرض حل النزاع [1] ، وهو اجراء حديث نسبيا من الاجراءات البديلة لحل النزاع وعادة ما تتولاه لجنة يطغى عليه الطابع الحيادي[2]، فهذا الطرف الثالث يتميز بالنزاهة كما يعمل على تقريب طراف النزاع ويقوم باقتراح حلول يطلق عليه اسم الموفق (conciliateur)[3] ، يقوم بإصدار قرارات غير ملزمة للأطراف ولهم الحق في قبول المقترحات أو رفضها .

ان التمييز بين الوساطة والتحكيم أو الصلح من الامر السهل أما التمييز بين الوساطة والتوفيق ليس بالأمر الهين لأنه يصعب تحديد الفرق بينهما ، فالوساطة كما ذكرنا سابقا هي من الطرق البديلة لحل النزاعات كما يختار الاطراف شخصا يسمى الوسيط يتولى تقريب وجهات النظر ومساعدتهم في التوصل الى حل ودي.[4]

كما ان التوفيق يتشابه مع الوساطة في انه اجراء ودي للتسوية النزاع بموجبه يتم اختيار شخص وهو الموفق يتولى وجهات نظر المتخاصمين .

كما انهما يتفقان في تسوية النزاع باقل التكاليف و في أقصر مدة .

فالفارق الوحيد الذي يمكننا استخلاصه ان الموفق لديه صلاحية إصدار التوصيات التي تتضمن التسوية.

في حين ان الوسيط مهامه تتمثل في تقريب وجهات النظر وحثهم على التسوية .

- **الوساطة والصلح:**

الصلح عرفته المادة 459 من القانون المدني " على انه عقد ينهي به الطرفان نزاعا قائما أو يتوفيان به نزاعا محتملا وذلك بأن يتنازل كل طرف منهما على وجه التبادل عن حقه ". [5]

تظهر اهميته في تخفيف العبء على القضاء ، كما يعكس على الخصوم جهدا ووقتا وتحقيق أكبر قدر من الرضا والعدالة[6] ، والصلح عقد رضائي لا يشترط فيه الكتابة لانعقاده بل يلتزم اثباته لأنه يتضمن شروط[7] تتلخص في : بالرجوع الى نص المادتين 460 و461 من القانون المدني السالف ذكره في وجود نزاع قائم أو محتمل بين المتصالحين فإذا لم يتوافر لا يعد صلحا .[8]

أو يعقد الطرفان حسم النزاع بينهما إما بإنهائه إذا كان قائما أو بتوفيه إذا كان نزاعا محتملا .[9]

---

[1]- حميد محمد علي اللهيبي، مرجع سابق ، ص616.

[2]- يخلف توري،(2018) تسوية النزاعات الدولية بالطرق السلمية، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، مجلد07، عدد02..

[3]- بوضياف عادل، مرجع سبق ذكره ، ص353.

[4]- خلاف فاتح،(2014-2015)،مكانة الوساطة لتسوية النزاع الاداري في القانون الجزائري، رسالة دكتوراه ،تخصص قانون عام ، جامعة محمد خيضر بسكرة،ص64.

[5]- قانون رقم 07-05 المؤرخ في 13 مايو 2007، جررقم31 في2007 والمتضمن القانون المدني .م 459

[6]-بوضياف عادل ،مرجع سابق ، ص355.

[7]-الوساطة في المنازعات الالكترونية ،ص255.

[8]-المادتين: 460و461 من القانون المدني السالف ذكره.

[9]-بتشيم بوجمعة،(2011-212)،النظام القانوني للوساطة القضائية دراسة في القانون المقارن ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، تخصص قانون مقارن ، جامعة تلمسان ،ص35 .

يمكن ان يتشابه الصلح مع الوساطة في ان كلاهما طريق ودي لتسوية المنازعات ، كما يختلفان في ان الصلح يتم بين المتخاصمين تحت اشراف القاضي بينما في الوساطة فالوسيط هو من يقوم بمهمة تقريب وجهات النظر بين التخاصمين .

عرض الوساطة إجراء وجوبي على القاضي القيام به قبل أي إجراء أخر وهذا طبقا للمادة 994 من ق إ م إ، في حين عرض الصلح اجراء جوازي إما يعرضه القاضي أو يتصالح الأطراف تلقائيا وذلك طبقا لنص المادة 990 من ق إم إ .

مدة الوساطة قيدها المشرع بثلاث أشهر قابلة للتجديد مرة واحدة ،على القاضي عرضها في اول جلسة ، غير أن الصلح لم يقيده المشرع بمدة معينة ، كما يمكن اللجوء اليه في اي مرحلة كانت فيها الدعوى حسب نص المادة 990 من ق إم إ.[1]

ان الصلح يقوم على لركن جوهري يتمثل في تنازل كل خصم عن جزء من حقوقه بينما في الوساطة الاتفاق الذي يتوصل الاطراف لا يقوم على اساس تقديم تنازلات وانما تقريب وجهات النظر عن طريق الوسيط .[2]

إجراءات الوساطة تتم في سرية تامة بينما إجراءات الصلح تتم في جلسة علنية امام القاضي.

القواعد الخاصة في منازعات الملكية الفكرية:

تتميز الوساطة في مجال منازعات الملكية الفكرية بكونها تمكن الأطراف من طرح أفكهم المتعلقة بنزاعاتهم في مجال حقوق الملكية الفكرية (حقوق المؤلف و العلامات التجارية و الرسوم والنماذج الصناعية وبراءات الاختراع غيرها) على مختصين وفي الغالب يتم اعتماد هذه الوسيلة في عقود التراخيص لذلك تتم معالجة النزاعات عن طريق الوساطة عبر مراحل أهمها:

- **مرحلة التعاقد** :حيث يتم في هذه المرحلة شرح آلية الوساطة وتقييم قابلية النزاع للوساطة ووضع البنى الأساسية للعمل وتحديد أدوار أطراف النزاع.
- **مرحلة معالجة مواضيع النزاع** : وذلك عن طريق تحديد وجمع المعلومات وتحديد مواضيع الاتفاق والاختلاف ما بين طرفا النزاع وتحديد الأمور التي يجب البث فيها.[3]
- **مرحلة التعامل مع النزاع** : وذلك بتحديد الإشكال المطروح من طرف الخصوم ونقاط التشابه أو الاختلاف.[4]
- مرحلة تطوير **وتقييم الخيارات** : وذلك عن طريق طرح الخيارات ومن ثم تقسيمها من حيث الأهداف ومدى ملائمتها لنقاط المرجعية ، وبعدها يتم امتحان الخيارات واختيار أهميتها.

[1]- عروي عبد الكريم، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص67.
[2]- خلاف فاتح، رسالة دكتوراه ، مرجع سابق، ص67
[3]-عمر مشهور حديثة الجازي، ، مرجع سابق، ص4.
[4]- بوضياف عادل ، مرجع سالف الذكر ،ص360.

• **مرحلة الوصول إلى الاتفاق** : وذلك عن طريق صياغة مسودة الاتفاقية النهائية ليتم مراجعتها من قبل الأطراف أو المحامون أو غيرهم كالمستشارين والمحاسبين ، على ان يتم تنفيذها بعد ذلك .

الشروط الواجب توافرها في الشخص الوسيط:

إن عملية الوساطة ترتكز على أهم مبدأ وهو التراضي وكذلك الأطراف المعنية تتميز بالحرية المطلقة فهي من يقرر ويقبل إذا كان القاضي هو المبادر في العملية.

في الوساطة مهمة الوسيط تدوم ثلاث أشهر حددتها المادة 996 من قانون إم إ[1]وتقريبا نفس الشيء نجده في التشريعات الدولية مع ضرورة توفره على جملة من الشروط تتمحور حول :

– ضرورة أن يكون مؤهلا قانونيا من الناحيتين الأكاديمية والعملية على نحو يمكنه من السير بالعملية وتحقيق الغاية المرجوة منها [2].

– ضرورة أن يكون مستقلا وأن يلتزم بالسرية حيث يمنع عليه كشف المعلومات لطرف إذا كان ممكن أن يتلقاها من الطرف الأخر إلا في حالة موافقة هذا الأخير ،فالوساطة لا تسمح بمبدأ التناقض.

– كما يجب عليه أن يكون حياديا في التعاطي مع أطراف النزاع الخاص بالملكية الفكرية ،حيث أن حياده يسمح للأطراف بسماع بعضهم البعض ، وكذا التحدث والتفاهم والاتفاق بينهم و ليس له الحق في البحث في القضية بما هو خارج عن ارادة الاطراف [3] ، وليس له أن يطبق أي قانون.

– نزاهة الوسيط تضمن المساواة بين الطرفين أو الأطراف وسواء بحضور مستشاريهم أو بغيرهم

بعد التطرق لمعرفة ماهية الوساطة والخصائص المميزة لها ، والصفات الواجب توافرها في الشخص الوسيط ، يمكننا القول بأنها وسيلة فعالة وخاصة في مجال الملكية الفكرية ، فكيف تم تطبيقها على مستوى الدول ؟ وماهي المنازعات التي تستوجب الوساطة ؟

هذا ما سنجيب عنه في المحور الثاني.

المحور الثاني: كيفية تطبيق الوساطة في منازعات الملكية الفكرية في الدول

إن للوساطة مكانة كبيرة في ميدان العمل الذي يرتبط بالملكية الفكرية أين تكون هذه التقنية وسيلة وأداة هامة لمنع النزاعات ،ولابد من هذا كله فهم الأنواع المختفة لمنازعات الملكية الفكرية.

تصنيف منازعات الملكية الفكرية المناسبة للوساطة: حدد مركز الويبو للتحكيم والوساطة أنواع هاته الحقوق وهي[4]:

تراخيص البراءات والدراية العملية ،العلامات التجارية وعقود الامتياز وبرامج الحاسوبية ،عقود المنتجات متعددة الوسائل وعقود التوزيع والمشروعات المشتركة ،عقود البحث والتطوير وعقود في مجالات التكنولوجيا

---

[1]-انظر المادة 996 من قانون الاجراءات المدنية والادارية ، السالف ذكره.

[2]-فراس كريم شيعان، الوساطة في المنازعات الالكترونية ، مرجع سابق.

[3]- بتشيم بوجمعة ، النظام القانوني للوساطة القضائية، مرجع سابق،ص98.

[4] -http://wipo arbitier

الحساسة، صفقات الاندماج أو شراء الشركات التي تكتسي فيها الملكية الفكرية أهمية خاصة وعقود الرعاية في عالم الرياضة وعقود النشر والموسيقى والأفلام .أي كل ما يخص الملكية الفكرية بشقيها الادبية والفنية ،الملكية الصناعية.

حيث أن أهم وأبرز نزاعات حقوق الملكية الفكرية ارتبط بمجالين رئيسيين هما أسماء المواقع والعلامات التجارية.

– **اسم الموقع** : وهو عنوان يتخذ على الأنترنت يتم من خلاله تمكين مستخدمي الشبكة من إيجاد الموقع الإلكتروني والوصول إليه بسهولة ، مثل **.COM أوGIF. أو fr.**[1].

– **العلامة التجارية** :هي رمز يتخذ لتمييز سلعة أو منتوج أو خدمة ما عن مثيلاتها في السوق مثل العلامات الخاصة بالأغذية والمشروبات والملابس والسيارات وخدمات النقل واالبنوك والتأمينات والاتصالات وغيرها فمثلا اسم الموقع CYBER SQUATTING وهو أن يقوم الشخص أو جهة بتسجيل اسم موقع مطابق تماما لعلامة تجارية مسجلة ليست مملوكة له أصلا بهدف بيعها لصاحب العلامة التجارية الأصلي.

تسجيل اسم موقع يحتوي على علامة تجارية للتعبير عن عدم رضا أحد العملاء أو الزبائن عن المنتج أو الخدمة التي قدمتها أو تقدمها شركة معينة مثل.i-hate toyota.com :

في الحقيقة إن خطورة وهشاشة العلاقة بين الرئيس والمرؤوس أو الإحساس بقلة القيمة بالنسبة للمرؤوسين اتجاه الرؤساء والإحساس بعدم المسؤولية وأيضا بين المخترعين والمصنعين أو بين الكتاب المؤلفين والناشرين و بين الفنانين والمنتجين[2] فقد كفوا عن الدفاع عن حقوقهم من مسؤوليتهم إلى غاية نشوب خلاف فإن الوساطة تجد لهم الارضية للعلاقة التعاقدية بين المخترع والمكتشف والشركات المنتجة من إيجاد حل مرضي وجيد للحفاظ على الجودة ، وكذلك بين المنتجين والمزارعين من جهة نظر الشركة ترى أنها توظف جهود حثيثة واستمرار المال لكي تحافظ على علامتها التجارية ورسوماتها الصناعي واسرارها المهنية.

اضافة إلى أنه في بعض الأحيان يفضل أصحاب الحقوق الفكرية (مالكو الحقوق المرتبطة بالعلامات والرسوم والتصاميم ، و حقوق المؤلف) في مختلف أنحاء العالم تسوية نزاعاتهم بطرق سرية بعيدا عن الإشهار الزائد الذي قد أن يضر بمصالحهم التجارية وبنجاحاتهم الخاصة بالنسبة لبعض المنتوجات.

فالسرية التي تتميز بها الوساطة من النقاط الحسنة بالنسبة لنزاعات الملكية الفكرية خاصة عندما يتعلق الأمر بالنزاعات الدولية ، وهو ما جعل البعض يصف الوساطة باللمسة السحرية[3].

---

[1]-عمر مشهور حديثة الجازي، مرجع سابق، ص6.

[2]- بتشيم بوجمعة، مرجع سابق ، ص99.

[3]-عمر جمال الدين ابراهيم، الوساطة اللمسة السحرية
http://www.gafi.gov.eg/Arabic/hawcanhelp/siteASSets/pages/investors-disputes-setll...

تطبيق الوساطة على الصعيد الدولي:

تتميز الوساطة بفاعليتها وقد أعطت نتائج معتبرة في مختلف البلدان وفي جميع الميادين والتخصصات وتشير الإحصائيات إلى نسبة نجاحات فيها تصل إلى حدود75 الى 80 بالمئة وهذه الأرقام مقدمة من قبل" CMAP"التي بحسب رأيها فإن نجاح الوساطة[1] يزداد من سنة الى أخرى وأن إمكانية اللجوء إليها حين يتعلق الأمر بالملكية الفكرية مع ضمان النجاح تكون النسبة أكبر. وسوف نعطي بعض الأمثلة عن بعض التجارب لحل نزاعات الملكية الفكرية بالوساطة على الصعيد الدولي :

مركز الويبو للتحكيم والوساطة : هذا المركز يسهر على إنجاح هذه العملية بتدريب الوسطاء المتخصصين في مجال الملكية الفكرية ففي المادة 27منه تنص على :بمجرد اتفاق الأطراف على تطبيق الوساطة فمن واجبهم التقيد بما ورد فيها فإن هذا المركز يلعب أدوار أساسية في مساعدة الأطراف في اختيار الوسيط ، حيث يحتفظ المركز بقائمة طويلة من الأشخاص المؤهلين للقيام بهذا الدور ، يحدد اتعاب الوسيط ، معالجة المسائل المالية المتعلقة بعملية الوساطة ككل والطلب من الأطراف المعنيين دفع الأتعاب والرسوم ، إذا عقدت جلسات الوساطة في جنيف ، فإن المركز يوفر كل الوسائل اللوجستية لذلك بما في ذلك المكان وأعمال السكرتارية[2].

وفي القانون الفرنسي : تمثل نزاعات الملكية الفكرية عشرات الملفات في السنة من مجمل النزاعات التي يكون الاختصاص فيها مدنيا أو تجاريا ففي عشر سنوات من وجود نظام الوساطة أحصي 1500 ملف ذي طبيعة تجارية تخص الملكية الفكرية منها 17 بالمئة ومنه نستخلص أن الوساطة في معظم الدول المتقدمة تعتبر عملية ناجحة.

في بعض الدول النامية : نجد أن الوساطة في معظم الدول النامية ليس معمولا بها خاصة في مجالات الملكية الفكرية لكن مع ذلك تسعى هذه الدول جاهدة لمواكبة التطورات في هذا المجال بإنشاء مراكز خاصة فمثلا في التشريع الجزائري كما ذكرنا سابقا أن التشريع يخلو من أي نص قانوني يبيح لأصحاب حقوق الملكية الفكرية حل منازعاتهم عن طريق الطرق البديلة لتسوية النزاعات عموما ويبقى الاختيار المفضل هو التسوية القضائية ،ولكن مع تطور التكنولوجيا وكثرة وتعقد النزاعات في هذا المجال تكون الوساطة آلية ناجحة في المستقبل.

تجربة الفليبين : في عام 2003 نظم مكتب الفلبين برنامجا للوساطة حيث قدمت مؤسسة مجمع حل النزاعات (conflits résolutions group fondation) تدريبا للموظفين المتطوعين على الوساطة ، وعقب تلقي التدريب والمشاركة في محاكات الوساطة في قضايا الملكية الفكرية قام الوسطاء المتطوعون بالتصدي للحالات المعروضة أمام مكتب الشؤون القانونية التابع لمكتب الفلبين ، وفي 2010 أنشئ مكتب الفليبين الخاص بالوساطة ، حيث أحيلت إليه جميع قضايا الملكية الفكرية مثل الدعاوى بين الأطراف وحالات الانتهاك لحقوق

[1]-بتشيم بوجمعة، مرجع سابق،ص101.

[2]- wipo arbitier مرجع سابق,

الملكية الفكرية و حقق المكتب أفضل النجاحات في الممارسة بعد التدريب الجيد للوسطاء وتنفيذ الأخلاقيات السائدة في مجال الوساطة[1].

في الأردن: جمعية المجمع العربي للوساطة والتحكيم في الملكية الفكرية تأسست في2003 حيث يمثل الهدف الرئيس للجمعية هو تعزيز وتطوير حماية الملكية الفكرية من خلال كافة الوسائل للتوعية والتثقيف التي توضح طبيعة هذا النظام ، ودوره المؤثر على الاقتصاد العالمي والمحلي وإنشاء مركز للتحكيم والوساطة في المنازعات المتعلقة بالحقوق.

ومنه يمكن القول أن بعض الدول النامية سعت جاهدة للعمل بهاتة الألية.

خاتمة:

بالنظر إلى الاعتبارات المختلفة والتعقيدات التي تكتنف تطبيق حقوق الملكية الفكرية في عصر العولمة هذا ويمكن القول أن تطبيق آلية الخيارات البديلة لتسوية المنازعات، لاسيما الوساطة التي تمثل أداة فعالة لحل المنازعات المتعلقة بالملكية الفكرية بطريقة فعالة من حيث التكلفة ، وليس على الوساطة حل كل النزاعات لكنها تثبت مكانتها فيما يخص بسرعة الحالات المتبعة على القضاء ، كمأنها قبل كل شيئ فهي عملية خاصة بالأطراف وأن هذا الإجراء التضامني الودي ليس بالضرورة أن يكون مرادف للعدالة ، لكنه قضاء جديد للعدالة الذي يعتمد على ثقة الاطراف واعتمادهم على الحلول ومن خلال هذه الدراسة يمكننا أن نستلخص:

أن الوساطة كطريق بديل لحل النزاع له مميزاته عن التحكيم والطرق الأخرى البديلة. لكي تحقق الوساطة قدرا كبيرا من النجاح والقبول يجب أن تكون منظمة تنظيما جيدا. المحافظة على السرية التامة ويمكننا القول أن التشريع الجزائري لايزال قاصرا أمام هاته الألية في حقوق الملكية الفكرية على غرار التشريعات الدولية وحتى بعض التشريعات العربية وفي هذا الشأن يسعنا أن نقدم بعض التوصيات :

ضرورة الاهتمام بوضع أنظمة قانونية تحكم حل النزاعات بطريق الوساطة في المنازعات التي تتعلق بالملكية الفكرية.

فتح مراكز للوساطة وإقامة دورات متطورة حول موضوع الوساطة حتى يتسنى للأفراد فسح المجال لتثقيفهم والإلمام التام بها كوصفها وسيلة من وسائل فض المنازعات ,

قائمة المراجع:

1- بتشيم بوجمعة،(2011،2012) ،النظام القانوني للوساطة القضائية في القانون المقارن، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر، تخصص قانون مقارن ،جامعة تلمسان .

2- بوضياف عادل ، (2012)، الوجيز في شرح قانون الاجراءات المدنية، (الطبعة الاولى)، الجزائر، كليك النشر.

[1] -www.wipo.int/edocs/mdocs/enforcement/ar/wipo_ace_10/wipo_10_5.

3- حميد محمد علي اللهيبي، (2016).الحماية القانونية للملكية الفكرية في إطار منظمة التجارة العالمية ،(الطبعة الثانية)، مصر ،المركز القومي للإصدارات القانونية .

4- خلاف فاتح ،(2014،2015)، مكانة الوساطة لتسوية النزاع الاداري في القانون الجزائري، رسالة دكتوراه، (تخصص قانون عام)،جامعة محمد خيضر بسكرة .

5- عجة الجيلالي،(2015)،منازعات الملكية الفكرية ،موسوعة الملكية الفكرية،(الطبعة الاولى)، لبنان، منشورات زين الحقوقية.

6- عروي عبد الكريم،(2012)، الطرق البديلة في حل النزاعات القضائية(الصلح والوساطة القضائية)،مذكرة ماجستير، فرع العقود والمسؤولية، جامعة الجزائر1،بن عكنون.

7- عمر جمال الدين، الوساطة اللمسة السحرية ، http://www.gafi.gov.eg/Arabic/haw can help/sitASSets/pages/inventors-dispute-setll...

8- عمر مشهور حديثة الجازي ،(2004/12/28)، الوساطة كوسيلة لتسوية منازعات الملكية الفكرية، الاردن ،جامعة اليرموك، ندوة بعنوان الوساطة كوسيلة بديلة لحل المنازعات .

9- فراس كريم شيعان ،الوساطة في المنازعات الالكترونية، www.uobabylon.edu.iq/publication/law_sdition10.article-edu10-6.doc

10- يخلف توري،(2018) ، تسوية المنازعات الدولية بالطرق السلمية،(مجلد 07) ،مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، عدد02 .

11- قانون رقم 07-05 المؤرخ في 13مايو2007 ،يتضمن القانون المدني،جر31.

12- قانون رقم 08-09 مؤرخ في 18 صفر عام1429 الموافق ل25 فبراير2008 يتضمن قانون الاجراءات المدنية والادارية .

13- http://arbitier.wipo.int

14- www.wipo.int/edocs/mdocs/enforcements/ar/wipo-ace-10/wipo-10-5

www.tagorg.com/copain.aspx?d=86lang=ar.

الإرهاب النووي:

أجندة التموقع وآليات المكافحة

د - حكار حنان
مخبر الدراسات القانونية البيئية
جامعة 8 ماي 1945 – قالمة-

الملخص:

تتعدد أشكال الإرهاب ووسائله بتعدد الجماعات الإرهابية وتنوعها، حيث ارتبطت التحولات الأمنية لفترة مابعد الحرب الباردة بظهور أخطر أشكال الإرهاب المتمثل في الإرهاب النووي، والذي أخذ حيزا كبيرا من الاهتمام الدولي، بالنظر إلى خطورة نتائجه وإفرازاته وصعوبة احتواءه، وهو ماخلق حالة استنفار قصوى لدى هيئات المجتمع الدولي ومختلف فواعله، لوضع آليات رقابية فعالة تستهدف القضاء على الظاهرة والحؤول دون انتشارها، وهو الأمر الذي يجعلنا نتساءل حول أبعاد الظاهرة وحدود اتساعها، وآليات المجتمع الدولي المجندة لمواجهتها.

الكلمات المفتاحية: الإرهاب النووي، السوق النووية السوداء، الأمن الدولي ، الآليات الرقابية.

Abstract :

The various forms of terrorism and its means are characterized by the multiplicity and diversity of terrorist groups and the different objectives and times of their emergence. The post-cold-war security transformations have been linked to the emergence of the most serious form of terrorism, nuclear terrorism, which has taken a great deal of international attention due to the seriousness of its consequences and its impossibility and containment. The international organizations and the various agencies of the international community are urged to put in place effective monitoring mechanisms aimed at eliminating the phenomenon and preventing its spread. This raises questions about the dimensions and limits of the phenomenon and the mechanisms of the international community to confront them.

Keywords: Nuclear Terrorism, Black-market Nuclear, International security, Control mechanisms.

مقدمة:

حققت الجهود الهادفة لمنع الانتشار النووي في السنوات الأخيرة نتائج متباينة، فمن ناحية تقلص مخزون الأسلحة النووية على نحو ملحوظ ، وتحول جزء من تلك المواد القابلة للانشطار إلى أغراض سلمية، عن طريق مزج البلوتونيوم واليورانيوم الصالحين للاستخدام في التفجيرات النووية بأنواع أقل

جودة من العنصرين السابقين، وأكثر ملائمة لعملية إنتاج الطاقة النووية، لكن من ناحية أخرى أضحى خطر وقوع الأسلحة النووية أو المواد القابلة للانشطار في الأيدي الخاطئة أكبر في وقتنا الحالي، فالتطور التكنولوجي والانفتاح الاقتصادي والتجاري فتح المجال أمام ظهور أسواق سوداء متخصصة في التجارة النووية، بغض النظر عن نوعية السلع والخدمات المتاحة فيها، وهو ما يجعلنا أمام تهديد مباشر للأمن والسلم الدوليين، وبطرق أقل ما يقال عنها أنها تتسم بالسرية التامة والتنظيم بالغ الدقة.

إشكالية الدراسة: إلى أي مدى يمكن وضع تحجيم مناسب لظاهرة الإرهاب النووي في ظل توافر منظومة رقابة عالمية للحد من انتشاره؟

فرضية الدراسة: كلما نقصت سبل الرقابة الدولية على الأنشطة الإرهابية كلما زادت احتمالات انتشار الإرهاب النووي واتساع نطاقه.

أهمية الموضوع: تبرز أهمية هذا الموضوع من خلال كونه احد المواضيع الشائكة في حقل العلاقات الدولية، والتي تتسم بقدر كبير من السرية باعتباره احد الملفات الأمنية ذات الصبغة العالمية، والتي لطالما كانت محل جدل في أجندات الدول السياسية والعسكرية، بالإضافة إلى بروز هذه الظاهرة مرة أخرى بعد الانحسار الجزئي لظاهرة الإرهاب لتعود بصيغة أخرى وشكل جديد من أشكال التهديدات المعاصرة، والموضوع يفتح آفاق عدة للدراسة لاسيما فيما يتعلق بالتخصص في جماعات إرهابية معينة وأنشطتها غير الشرعية في مجال التجارة النووية.

أهداف الدراسة:

- إعطاء توصيف دقيق لظاهرتي الإرهاب النووي والسوق النووية السوداء باعتبارها المنبت الرئيسي لهذه الظاهرة، مع تقديم أطر مفاهيمية واضحة وسهلة الاستيعاب، خاصة أن الموضوع يتسم نوعا ما بالتعقيد.
- البحث في سبل اتساع هذه الظاهرة واحتمالات حدوثها وطرق انتشارها.
- تقديم دلائل واضحة حول وجود هذه الظاهرة التي تعتبر في أغلب الأحيان من بين الملفات السرية والتي يتم التكتم حول تواجدها الفعلي، وذلك وفقا للتقارير الدولية خاصة تقارير الأمم المتحدة.
- إبراز مختلف التحديات التي تقف عائقا أمام استفحال الظاهرة، وإمكانية الوصول الفعلي إلى تطوير أسلحة نووية فتاكة.
- إلقاء الضوء على أبرز الجهود الأممية في مواجهة الظاهرة ومختلف الآليات المفعلة لحصرها قدر الإمكان.
- وفي الأخير محاولة تقديم تحجيم مناسب لإنتشار ظاهرة الإرهاب النووي في الساحة الدولية بناء على مختلف التقارير الأممية.

محاور الدراسة:

- **المحور الأول:** الإطار المعرفي للدراسة

- **المحور الثاني:** الإرهاب النووي ومحددات التموقع
- **المحور الثالث:** الآليات الأمنية لمكافحة الإرهاب النووي.

المحور الأول: الإطار المعرفي للدراسة

" يتم سنويا إبلاغ الوكالة الدولية للطاقة الذرية عن مائة حادث سرقة وغيرها من الأنشطة غير المصرح بها التي تنطوي على مواد نووية مشعة " [1] المدير العام للوكالة يوكيا أمانو **2013**.

انطلاقا من هذا التصريح، يمكن وضع تحجيم مناسب للخطر الذي يواجه الإنسانية جراء تعرض المواد المشعة للعديد من محاولات السرقة والاستغلال من قبل جماعات قد تكون إرهابية في الكثير من الأحيان، كما قد تكون جماعات تخدم لصالح دول مارقة، تسعى للتموقع في خارطة الدول النووية وإيجاد عضد قوة في المجتمع الدولي، وبالرغم من كل قمم الأمن النووية التي تجرى كل سنتين إلا أن هذه المحاولات لاتزال تظهر على الساحة الدولية سنويا، وهو ما يستدعي جهودا أكبر دولية ومنظماتية للحد من انتشار هذه الظاهرة لأن انعكاساتها تطال جميع الأصعدة لاسيما الاقتصادية التجارية،الصحية، والبيئية، والحفاظ على الحريات المدنية واستقرار الحكومات، والأكثر من ذلك قلب موازين القوى الأمنية بين الدول.[2]

أولا: مفهوم الإرهاب النووي

1-تعريف الإرهاب (Terrorism): بالرغم من تعدد التعاريف الخاصة بالإرهاب واختلاف وجهات النظر أو زوايا توصيف هذه الظاهرة إلا أنه يمكن القول إجمالا بأنه استخدام للعنف يكون في غالب الأحيان مقصودا وغير قابل للتنبؤ به، والأهداف المتوخاة منه هي عادة معروفة للجهة التي مورست ضدها أعمال إرهابية، والإرهاب هو إحدى الوسائل الفعالة التي يستخدمها الأفراد والجماعات ضد الحكومات، كما يمكن أن تستخدمها وترعاها الحكومات في حد ذاتها ضد مجموعات معينة، لذلك وكما أشرنا سابقا فإن زوايا توصيف الظاهرة هي التي تحدد مفهوم هذه الأعمال وطبيعة الأنشطة التي تقوم عليها[3]، وتعرف الأمم المتحدة الأعمال الإرهابية بأنها: **" تلك الأعمال التي تعرض للخطر أرواحا بشرية بريئة، أو تودي بها، أو تهدد الحريات الأساسية أو تنتهك كرامة الإنسان. "** [4]

2-تعريف الإرهاب النووي: لقد شكل الإرهاب النووي ومنذ السبعينيات من القرن العشرين بؤرة اهتمام وقلق دائمين من قبل المجتمع الدولي ككل، إلا أن هذا الاهتمام قد تزايد وبشدة بعد نهاية الحرب الباردة خاصة مع تفكك الإتحاد السوفياتي وبقاء كميات كبيرة من المواد المشعة واليورانيوم المخصب داخل الجمهوريات التي تصنف الكثير منها في خانة الدول التي لا تحتوي على مضلة عسكرية كافية للدفاع بعد غياب مظلة الإتحاد السوفياتي العسكرية، وقد أنشأت العديد من الاتفاقيات المنظمة لهذه المسألة –

---

[1]- مبادرة التهديد النووي، مؤشر أمن المواد النووية – وضع إطار عمل للتأمين والمسائلة والعمل – تقرير صادر عن مبادرة التهديد النووي، جانفي 2014، ص.04.

[2]- نفس المرجع السابق، ص.ص 04، 05.

[3]- مارتن غريفيثس وتيري أوكلاهان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، الإمارات العربية المتحدة،2008، مركز الخليج للأبحاث، ص.41.

[4]- هيثم الكيلاني، الإرهاب يؤسس دولة – نموذج إسرائيل -، القاهرة، 1996 ، دار الشروق، ص.17.

الإرهاب النووي -، ولعل أبرزها كانت اتفاقية الإرهاب النووي**2005** والتي تعرف جريمة الإرهاب النووي بأنها: **" كل شخص يتعمد حيازة مواد مشعة أو صنع أو حيازة جهاز يستهدف من خلاله إصابة شخص إصابة خطيرة أو التسبب في وفاته، أو إحداث أضرار فادحة بالبيئة والممتلكات هذا من جهة ومن جهة أخرى استخدام مواد مشعة تتسبب في الوفاة أو الإصابات البدنية الخطيرة أو الإضرار بالبيئة والممتلكات، أو حتى إكراه الأفراد أو الدول أو المنظمات للقيام بأعمال أو عدم القيام بها . "**(1) إلا أن هذه الاتفاقية ومن خلال المادة الرابعة فيها تستثني استخدام الأجهزة النووية أثناء النزاعات المسلحة والحروب، وهو ما يتعارض ونفيها التام لمشروعية استخدام الأسلحة النووية.[2]

3-الأسلحة النووية الطليقة: هي المواد النووية التي سرقت من المنشآت والقواعد العسكرية في الاتحاد السوفياتي السابق وتم بيعها في السوق النووية السوداء، وتشتمل عبارة أسلحة نووية طليقة على معان خطيرة بحسب الخطر المحدق بالمجتمع الدولي ككل في حال وقوع مثل هذه الأسلحة بيد جماعات أو منظمات إرهابية تستهدف بالدرجة الأولى الاستخدام العسكري لها. وجدير بالذكر أنه يصعب تحديد امتداد هذه المشكلة بدقة، فلا يمكن الوثوق في معظم المعلومات كما يصعب التحقق من صحتها.

وكما تمت الإشارة إليه، فإن إشكالية الأسلحة النووية الطليقة والتجارة بها بدأت مع انهيار الاتحاد السوفياتي إلا أن مسئولو الصناعة النووية في روسيا، طالما نفوا الأمر مؤكدين أن هذه السوق وهمية ولا أساس لها من الصحة، إلا أن الأحداث التي جرت مع بداية التسعينات فيما يتعلق بهذا النوع من السرقات تظهر العكس، بالرغم من كونها هي الأخرى لا تعطي مدى معين لانتشار هذه السوق ، وتذكر التقارير مثلا أنه تم القبض على عدد من المهربين والوسطاء في ألمانيا والجمهورية التشيكية وتركيا وغيرها من الدول الأوروبية، كما عثر سنة **1994** على نصف كيلو غرام من المواد القابلة للاستخدام في الأسلحة النووية في مطار ميونيخ، وفي السنة نفسها أوقفت الشرطة الألمانية مجرما معروفا لحيازته **5.6** غرام من مادة البلوتونيوم.(3)

وتجدر الإشارة إلى أن تفجير " قنبلة قذرة " مصنوعة من مزيج من المتفجرات التقليدية والمواد المشعة مثل النظائر(**Isotopes**) الطبية تشكل خيارا أسهل بكثير للجماعات الإرهابية، ورغم أن حجم دمارها لن يكون بقدر الدمار الذي تعرضت له مدينة هيروشيما، إلا أنه كفيل بإحداث فزع وإرهاب نفسيين مساو على الأقل لأحداث الحادي عشر من سبتمبر. (4)

ثانيا: التجارة النووية والسوق النووية السوداء: أسس وأبعاد

---

[1]- الأمم المتحدة، تقرير خبير اللجنة 1540 حول منع حيازة الإرهابيين للمصادر المشعة، الدورة 22 سنة 2016، ص.04.

[2]- الاتفاقية الدولية لقمع أعمال الإرهاب النووي، المادة 04 .

[3]- مارتن غريفيثس وتيري أوكلاهان، مرجع سابق، ص.ص 60-62.

[4]- غاريث إيفانز ويوريكو كاواغوشي، القضاء على التهديدات النووية، طوكيو، 2009، اللجنة الدولية المعنية بمنع انتشار الأسلحة النووية ونزع السلاح النووي، ص.04.

1-التجارة النووية: تشكل التجارة النووية إحدى أخطر أوجه التجارة بالأسلحة بالنظر إلى ما يمكن أن تحدثه من مخاطر استعمال تهدد السلم والأمن الدوليين وفي وقت وجيز، غير أنه لايمكن بأي حال من الأحوال الجزم بأن هذه التجارة توجه في سبيل استخدامات عسكرية محضة أو بهدف بناء قنابل نووية، لكن يمكن أيضا أن تستخدم لأغراض كثيرة لاسيما الطبية منها والصناعية – بالنظر إلى ما أحرزته من انجازات في هذا المجال - لكن الأخطر من كل ذلك هو توجيهها نحو الاستخدامات العسكرية. وقد تم تسجيل حالات كثيرة للاتجار غير المشروع بالمواد النووية والمصادر المشعة خلال العشرين سنة الأخيرة التي أعقبت تفكك الإتحاد السوفياتي السابق، وحسب الإحصائيات التي قدمتها الوكالة الدولية للطاقة الذرية فقد تم تسجيل حوالي **400** حادثة من هذا النوع خلال السنوات من **1993** إلى غاية **2003**[1]، كما أبدت أيضا العديد من المنظمات الإرهابية استعدادها الكامل للحصول على مختلف أسلحة الدمار الشامل ، ولعل أبرز مثال على ذلك ما ارتكبته جماعة **أوم شينريكيو Aum Shinrikyo** اليابانية المتطرفة عندما قامت بتنفيذ اعتداءين بغاز السارين باليابان – وهو إحدى الغازات السامة المحظورة دوليا- كما تم تسجيل العديد من حالات الاعتراف لأعضاء في تنظيم القاعدة عن رغبة هذا التنظيم الملحة في الحصول على المواد المشعة لتطوير الأسلحة النووية، ولعل أحداث الحادي عشر من سبتمبر **2001** كانت أكبر مثال على ذلك التهديد بالنظر إلى إمكانية وصول الإرهابيين إلى مواقع المفاعلات والسيطرة عليها وكأقصى تقدير تخريبها[2]،وتشير مختلف وكالات الأنباء والأخبار عن أحداث تجارة للمواد المشعة وتقديمها إلى أفراد من تنظيم الدولة الإسلامية على سبيل المثال في **مولدافيا**.[3]

2-أبعاد التجارة النووية: هناك أربع أبعاد مترابطة على الأقل لهذه المشكلة وهي:

– شكلت سنة **1990** في الاتحاد السوفياتي أكثر المراحل الحرجة اقتصاديا بالنظر إلى الأزمات المتكررة التي مست كل القطاعات لاسيما تأمين الخدمات الرئيسية كالماء والكهرباء والتدفئة، إضافة إلى العجز عن تسديد أجور العمال لأشهر عديدة في وقت كان فيه حوالي **100** ألف شخص يعملون في الصناعة النووية.

– تعتبر الصناعة النووية في روسيا من أكبر الصناعات العالمية، حيث تمتد إلى آلاف الكيلومترات المربعة، وهو ما أخل بعض الشيئ بنظام المراقبة آنذاك نظرا للظروف الاقتصادية والأزمات المتكررة، وتعرض حراس هذه المصانع والمفاعلات إلى الضغط من طرف المجموعات والعصابات الإجرامية المترصدة لهم على الدوام.

– تعد مسألة تهريب المواد النووية بالرغم من تعقدها أمرا سهلا بالنسبة للمجموعات المنظمة تنظيما عاليا خاصة في الجمهوريات التي لا تحظى حدودها بالمراقبة الفاعلة.

[1]- الأمم المتحدة، مرجع سابق، ص.ص 05-07.

[2]- برونو تيرتري، مرجع سابق، ص.125، 126.

[3]- الأمم المتحدة، مرجع سابق، ص.07.

– غياب السلطة المركزية في الاتحاد السوفياتي وتفكك الدويلات أدى إلى خلق وضع غير مستقر نسبيا، وصعوبة إرجاع الأوضاع إلى ماكانت عليه في وقت وجيز، وهو ما يفضي حتما إلى غياب سلطة مركزية مسئولة عن مراقبة الكثير من المواقع النووية.(1)

3-السوق النووية السوداء: إن ارتباط السوق النووية السوداء بظاهرة الإرهاب النووي كبير جدا، باعتبارها تمثل المنبت الرئيسي لهذه الظاهرة، بحيث لايمكن بأي حال من الأحوال الحديث عن الانتشار النووي دون الإشارة إلى السوق النووية السوداء خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة، ذلك أن هذه السوق تعد إحدى أبرز الطرق المستغلة في انتشار التقنيات والمواد النووية القابلة للتخصيب، ويشير مفهوم هذه السوق إلى " الإتجار في الخبرة أو التقنيات أو المواد المرتبطة بالمجال النووي التي يجري السعي للحصول عليها لأغراض غير سلمية، وغالبا ما يتم ذلك عبر سبل سرية ".(2)

وجدير بالذكر أن العقدين الأخيرين من القرن العشرين قد شهدا أوسع عمليات الاتجار السري سواء تعلق الأمر بتصاميم الأسلحة النووية أو الطرق الحديثة في تخصيب اليورانيوم أو نتائج الاختبارات النووية....، وقد تورط في الأمر العديد من علماء الذرة أو العملاء السريين للدول التي تطمح لحيازة التقنية النووية، وسقوط الاتحاد السوفياتي قد وسع من نشاطات هذه السوق لتشمل تجارة مواد حساسة **كالبلوتونيوم 239، واليورانيوم 235** وأشارت التقارير الواردة آنذاك إلى حصول صفقات فعلية لتجارة هذا النوع من المواد والتصاميم والخبرات، كما وظهرت العديد من التصريحات الرسمية من داخل الولايات المتحدة الأمريكية عن ضرورة التعايش مع الانتشار النووي وتوقع ولادة قوى نووية جديدة بنفس قوة الدول الحائزة فعلا.(3)

وقد اشتهرت بعض العواصم بالمتاجرة في هذا النوع من المجالات، ولعل أبرزها الخرطوم وبرلين، حيث كانت دول إفريقيا وأوروبا المنبع الأساسي لهذا النوع من التجارة، كما كان لإسرائيل صيت ذائع بشدة في هذا المجال، حيث اشتهرت بكونها أحد المسببات الرئيسية في اتساع مثل هذه الأسواق، نظرا للأنشطة السرية الكثيفة التي قامت بها خاصة فيما يتعلق بسرقة التصميمات والتكنولوجيات النووية من المعامل الأمريكية، والحصول على شحنات هائلة من اليورانيوم المعالج والمخصب وكذلك أجهزة التفجير النووية وأجهزة الكرايتريون، والجدير بالذكر أن جميع التقارير والتحليلات التي صدرت بهذا الخصوص أفادت أن نوعية السلعة في هذه السوق هي لاتعدو أن تكون مكملة لبرامج هي موجودة بالفعل، وأن نطاقها لم يتعدى إلى إقامة برامج نووية من الصفر، وقد بدأت الصورة الواقعية لهذه السوق تتضح بشكل كبير منذ سنة **2003**

---

[1]- مارتن غريفيش وتيري أوكلاهان ، مرجع سابق، ص.ص 61، 62.

[2] - David Albright and cory Hinderstien,uncovering the nuclear black market: working toward closing gaps in the international nonproliferation regime, paper propared for the institute for nuclear materials managment (INMM) 54 The annual meeting, july ,2004,p.120.

[3] - Chirstopher o clary, the A.Q khan network: causes and implication , master's thesis, monterey naval post graduate school, 2005,p.50.

عند اكتشاف البرنامج النووي الإيراني وتخصيب اليورانيوم بإيران، وكذلك الشكوك المتزايدة بشأن البرنامج النووي الليبي، ولعل ما عقد الأمر في هذا المجال التصريحات الرسمية الباكستانية حول حدوث تسربات نووية واسعة من داخلها، والذي أكد هذا الأمر هو الشبكة الخطيرة للعالم الباكستاني عبد القدير خان والتي انفردت بقدرتها على توفير مجموعة واسعة النطاق من السلع والخدمات اللازمة لإنتاج يرورانيوم عالي الخصوبة.[1]

المحور الثاني: الإرهاب النووي ومحددات التموقع

أولا: ديناميات انتشار الأسلحة النووية وعلاقتها بظاهرة الإرهاب النووي

يقصد بتعبير انتشار الأسلحة النووية تعدد مالكي هذه الأسلحة، ويميز المحللون بين كل من الانتشار الأفقي الذي يفضي إلى تعدد المالكين، والانتشار العمودي الذي يفضي إلى تعدد الأسلحة لدى المالك الواحد، والجدير بالذكر أن الدول النووية وبرصد كل مراحل إنشاء أنظمتها النووية، قد اعتمدت في ذلك على غيرها من الدول ومثال ذلك الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة، سواء كان ذلك عن طريق الاتفاق كما حدث بالنسبة للدولتين السابقتين (اتفاق كيبيك المبرم سنة **1943**)، أو عن طرق التجسس والتهريب ومساعدة العلماء الأجانب، وهناك العديد من الدوافع والأسباب التي تقف وراء سعي الدول لتملك أسلحة نووية وعلى رأسها الدواعي الأمنية والتي تنص مباشرة على أن تملك القوة النووية هو في حد ذاته حماية وتفادي وقوع الحرب بالنسبة للدولة المالكة، إن التاريخ يثبت أن الدول التي خاضت غمار هذه التجربة كانت بشكل أو بآخر معرضة لتهديدات عسكرية، وترى أنها لا تمتلك الضمانات الأمنية الكافية على أراضيها، وإطلاق البرامج النووية في غالب الأحيان هو رد فعل على هزائم عسكرية تعرضت لها هذه الدول نذكر على سبيل المثال (فرنسا سنة **1942** والهند سنة **1962**، والباكستان سنة **1971**...)، وليست الهزائم العسكرية هي المبرر الوحيد إذ يشير التاريخ أيضا إلى الهجومات المفاجئة كما حدث بالنسبة للإتحاد السوفياتي **1941**، والو.م.أ وإسرائيل سنة **1948**...، في حين نجد أن العديد من الدول التي أقدمت على إطلاق برامج نووية مخافة تراجع الحماية من قبل الدول العظمى كالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي، ومنها اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان وباكستان، بالإضافة غلى إسرائيل وفرنسا، وخلاصة القول أن السلاح النووي يبدوا بمثابة طريق مختصرة نحو القوة، أما الأخطار التي يحملها انتشار الأسلحة النووية فهي من أنواع عدة ومنها أن تعدد مالكي الأسلحة النووية يزيد من خطورة استعمالها من قبل هذا الطرف أو ذاك، وفي أقصى الظروف خطرا وقوع حادث نووي كبير، كما أن هذا التعدد يزيد من احتمال وقوع سرقة أو نقل لسلاح نووي يوصله إلى أيدي الإرهابيين، ويزيد من احتمال تطور أي نزاع إقليمي إلى حرب عالمية من أثر تسلسل الأحداث أو بفعل التحالفات، وذلك بالذات هو السبب في ظهور فكرة منع

---

[1] - David albright and Corey hinderstein , opcit , pp.120,121.

الانتشار في أوائل الستينيات من القرن الماضي، وقد أتاحت اعترافات الباكستاني عبد القدير خان سنة **2003** الكشف عن أكبر شبكة غير قانونية لإيراد وتصدير المواد والتقنيات النووية.[1]

ثانيا: الأنشطة الإرهابية وتأثيراتها المحتملة: هناك أربعة أنواع أساسية تعبر عن قدرة الجماعات الإرهابية في السيطرة والاستيلاء سواء على مواد نووية أو أسلحة فتاكة كأقصى حد وتتمثل في:

1- **سرقة سلاح نووي كامل:** يوجد حاليا أكثر من **30** ألف سلاح نووي في كافة أنحاء العالم إلا انه إذا نظرنا بعين الدقة إلى كيفية حصول الجماعات الإرهابية على مثل هذه الأسلحة نجد أنه يستحيل أن تكون هناك دولة راعية لهذه العملية في المجتمع الدولي سواء كان ذلك بدافع التخوف من ردود الفعل الدولية أو كان ذلك نتيجة إدراكها التام بالخطر الناجم في حال تملك مثل هذه الجماعات أسلحة كاملة الصنع إلا أنه ومع إعلان كوريا الشمالية في فيفري **2005** لامتلاك السلاح النووي زاد القلق الدولي وبشدة خصوصا إذا ما أخذ بعين الاعتبار تاريخ هذه الدولة المارقة في بيع الصواريخ التكتيكية وغيرها لدول أخرى.

2- **سرقة مواد قابلة للانشطار لصنع سلاح نووي:** يمثل الحصول على مواد قابلة للإنشطار الطريقة الثانية والأكثر احتمالا لامتلاك الارهابين لسلاح نووي، لكن إمكانية حدوث ذلك ضئيلة على أرض الواقع لأنه يحتاج إلى دعم دولة معينة وهذا مالا يمكن حدوثه، وهو ما يجعل الإرهابيين مجبرين على صناعة أسلحة مرتجلة وهو بطبيعة الحال لن يكون بنفس قوة ومستوى الأسلحة النووية العسكرية ، حيث من الممكن أن يكون السلاح الأكثر احتمالا هو من نوع المدفع الأبسط نسبيا باستخدام اليورانيوم بدلا من سلاح انفجار نحو الداخل الأكثر تعقيدا من النوع الذي يحتاج إلى البلوتونيوم، ويذكر في هذا الصدد الأستاذ بجامعة هارفارد **جراهام أليسون** " أن هناك من البلوتونيوم واليورانيوم العالي التخصيب في الطبيعة ما يكفي لإنتاج **240** ألف سلاح نووي ".

3- **هجمات على المفاعلات أو غيرها من المرافق النووية:** إن المفاعلات وغيرها من أجزاء دورة الوقود النووي كمرافق التخصيب والتخزين وإعادة معالجة الوقود المستهلك معرضة للهجوم من قبل الارهابيين وتوفر إمكانية إحداث تلوث إشعاعي كبير في المناطق المجاورة، ولعل أبرز الحوادث في هذا الشأن التهديدات المتكررة للإنفصاليين الشيشان للمرافق الروسية، إضافة للفئات ذات الدوافع السياسية أو مايسمون بحماة البيئة المناهضة للأسلحة النووية، لكن بطبيعة الحال قبل بدء تشغيل هذه المفاعلات ومثال ذلك منظمة الباسك الانفصالية.[2]

4- **أدوات نشر الإشعاعات – القنبلة القذرة- :** يعد هذا النوع الأكثر توفرا ضمن طائفة منوعة من التطبيقات في القطاعين المدني والعسكري (**سيزيوم – 137**) المستعمل عادة في صور الأشعة في المستشفيات، وهذه المواد لا تحظى بالحماية الكاملة كغيرها من المواد الصالحة لصنع الأسلحة ما يجعلها

[1]- برونو تيرتري، السلاح النووي بين الردع والخطر، تر.عبد الهادي الإدريسي، أبو ظبي، 2011، هيئة للثقافة والتراث، ص.ص 110-119.

[2]- غافين كاميرون،" الإرهاب النووي: أسلحة للبيع أم للسرقة؟" ، مجلات أمريكية، العدد 15، 2005، ص.ص 18-20.

عرضة للسرقة من طرف الإرهابيين، ولعل أبرز استخدام لهذه المواد وقع سنة **1995** حين ترك انفصاليون شيشان صندوقا من السيزيوم في حديقة عامة بموسكو كدليل على قدرتهم.[1]

ثالثا: تحديات تموقع الإرهاب النووي في الساحة الدولية

إن الصعوبة الأكبر التي يواجهها الإرهابيون الراغبون في تطوير وامتلاك أسلحة نووية، هي الحصول على مواد انشطارية تستخدم في الأسلحة، وفي حين أن هناك تقارير عدة تفيد بأن العلماء النوويين الباكستانيين اجتمعوا مع أعضاء من تنظيم القاعدة سابقا، فعلى حد ماهو معلوم لم يحصل الإرهابيون على مواد نووية من ترسانات الأسلحة النووية الموجودة فعلا، كما أنه من غير المحتمل أن تستطيع الجماعات الإرهابية اليوم تطوير وإدارة بنى تحتية قوية قد تكون مطلوبة لإنتاج يورانيوم مثرى أو بلوتونيوم للأسلحة ، إلا أن الإرهابيين قد يلجأون إلى سرقة الأسلحة النووية ومواد الأسلحة إما من أماكن تخزينها أو خلال عمليات النقل، ومنذ عام 1995 حازت الوكالة الدولية للطاقة الذرية على معلومات متاجرة غير مشروعة تتضمن أكثر من 662 حادثة سرقة مؤكدة ، تشمل 18 منها يورانيوم عالي الإثراء أو بلوتونيوم، وتتضمن حالات قليلة تشمل كميات بالكيلوغرام، كما أن الأهداف الإرهابية قد تتحقق من خلال استخدام ما يسمى بالقنبلة القذرة، وهو جهاز مصمم لتشتيت المواد الإشعاعية، وقد تحصل جماعة إرهابية على هذه المواد من المخلفات النووية أو المواد الإشعاعية التي تستخدم في المستشفيات والمصانع المختلفة ، وعلى الرغم من أنه ليس من المعتاد النظر إلى هذه الأسلحة على أنها أسلحة دمار شامل، لأنها لا تتسبب بأعداد كبيرة من الوفيات، فإن صنعها أسهل بكثير من الأسلحة الإنشطارية، ويمكن أن تسبب رعبا وفوضى كبيرة وخاصة إذا تفجرت في قلب المدن الكبرى،[2] ، كما أن الترسانات الموجودة في روسيا والباكستان اليوم تحضى بحراسة مشددة وحماية كبيرة، مما يعني صعوبة الوصول إليها، وحتى ولو تحقق ذلك فسيبقى من المتعذر على القائمين على العملية تفجير القنبلة في غياب الشفرات اللازمة لذلك، كما أن تاريخ الإرهاب يبين أن التقنيات المستعملة في العنف الإيديولوجي يتسم بنزعة محافظة قوية، بمعنى أن الجماعات الإرهابية تفضل اللجوء إلى وسائل مجربة ومتحكم فيها عوض استعمال وسائل جديدة وغير معروفة.[3]

رابعا: خطورة الإرهاب النووي على الأمن الدولي: لم يعد الإرهاب الدولي ظاهرة عابرة أو إقليمية إنما عنصرا فعالا في السياسة الدولية، كونه يشكل تهديدا مباشرا للأمن الدولي، ومن أوجه عديدة أبرزها صعوبة التنبؤ بمكان وكيفية تنفيذ العمل الإرهابي، ومع التطورات التكنولوجية والعلمية الهائلة التي أحدثتها الثورة المعلوماتية تطورت وسائل وإمكانيات هذه الجماعات، ولم تعد الظاهرة مرتبطة بأشخاص بسيطين ذوي قناعات مختلفة ومتطرفة وقدرات محدودة وإنما أصبحت تشمل كوادر علمية استطاعت

---

[1]- نفس المرجع، ص.20.

[2]- اللجنة المعنية بأسلحة الدمار الشامل، أسلحة الرعب – إخلاء العالم من الأسلحة النووية والبيولوجية والكيميائية، بيروت،2007، مركز دراسات الوحدة العربية، ص.46.

[3]- صليحة محمدي، حوار الردع العقلاني- التنظيمي في تحليل انتشار الأسلحة النووية- البرنامج النووي الإيراني نموذجا -، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، جامعة باتنة، 2017/2016، ص.ص.26،25.

استقطاب الكثيرين، ولعل أحداث الحادي عشر من سبتمبر2001 كانت تهديدا نوويا مباشرا كما سبق الإشارة إليه، نظرا لإمكانية وصول هذه الطائرات إلى المفاعلات النووية وإحداث كارثة كونية، حيث دفع هذا الأمر إلى عملية مراجعة شاملة للسياسة الدولية، والوضع في الحسبان فواعل جديدة أكثر فتكا من سابقاتها، وهو ما دفع بالجهود الدولية للبحث في إطار قانوني دولي يكفل الحماية اللازمة من التهديد الإرهابي النووي.(1)

المحور الثالث: الآليات الأممية لمكافحة تهديدات الإرهاب النووي

تعد الأمم المتحدة منارة عالمية في مكافحة خطر الإرهاب بكافة أنواعه، بما فيها الإرهاب النووي، حيث تسعى عبر مؤسساتها المختلفة إلى تبني نظام عالمي كفؤ يحول دون تفشي واستفحال الظواهر المهددة للسلم والأمن الدوليين، من قبيل الإرهاب النووي والسوق النووية السوداء، فكل المجهودات الوطنية المبذولة في هذا المجال موجهة تحت مظلة الأمم المتحدة، وكل الإتفاقيات الدولية المبرمة للحد من مسألة الإنتشار النووي تعقد برعايتها، لذلك فإن الحديث عن آليات المواجهة يضعنا مباشرة أمام المجهودات الأممية.

أولا- الاتفاقية الدولية لقمع أعمال الإرهاب النووي: تعتبر الاتفاقية الدولية لقمع أعمال الإرهاب النووي من أكثر الاتفاقيات الدولية أهمية نظرا للهدف الأساسي من ورائها والتي تهدف إلى تجريم أعمال الإرهاب النووي، وتكثيف التعاون والجهود الأمنية والقضائية للقضاء على تلك الأعمال ومعاقبة مرتكبيها، أنشأتها الأمم المتحدة سنة 2005 واعتبارا من ديسمبر 2014 وصل التوقيع عليها إلى 115 توقيع و 99 دولة عضو بما فيها الدول النووية الكبرى وباستثناء الو.م.أ التي وقعت على الاتفاقية ولم تصادق عليها، وتشمل هذه الاتفاقية مجموعة واسعة من الأفعال والأهداف المحتملة بما في ذلك محطات الطاقة النووية والمفاعلات النووية، وتغطي التهديدات ومحاولات ارتكاب هذه الجرائم أو المشاركة فيها كشريك، وتنص على أن المجرمين يجب إما تسليمهم أو محاكمتهم، وتشجع الدول على التعاون في منع الهجمات الإرهابية من خلال تبادل المعلومات ومساعدة بعضها البعض في اتصال مع التحقيقات الجنائية وإجراءات التسليم، وتتعامل مع كل حالات الأزمات ومساعدة الدول على حل تلك الأزمات وما بعدها عن طريق تقديم المواد النووية الآمنة من خلال الوكالة الدولية للطاقة الذرية.(2)

ثانيا -مجلس الأمن والقرار رقم 1540: إن تنامي وتطور نطاق ظاهرة الإرهاب النووي التي كان ورائها عجز بعض الدول عن حماية ممتلكاتها النووية، لاسيما بعد انهيار نظمها المركزية (الإتحاد السوفياتي سابقا)، أو وقوع حروب أهلية ونزاعات داخلية أضعفت نوعا ما سبل الرقابة النووية، وهو ما أدى إلى استنفار المجتمع الدولي الممثل في الأمم المتحدة بكافة مؤسساتها لاسيما مجلس الأمن، من أجل وضع آليات فعالة للحد من هذه الظاهرة، حيث حث الرئيس الأمريكي السابق " جورج دبليو بوش" في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في 23 سبتمبر 2003 على إقرار قرار جديد يخص الإنتشار النووي ، ومن شأنه دعم الجهود

[1]- عبد القادر مهداوي، الاستخدام السلمي للطاقة النووية – بين حق الشعوب في التنمية ومتطلبات الأمن الدولي، أطروحة دكتوراه في القانون العام، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014، ص.322.

[2]- الأمم المتحدة، مرجع سابق ،ص. 03.

المبذولة في هذا المجال بآليات أكثر دقة وأشد صرامة، حيث تم إقراره بالفعل بعد جملة من المشاورات المتعددة ، وذلك في 28 أفريل 2004، حيث يطالب هذا القرار جميع الدول باتخاذ إجراءات لمنع جهات غير حكومية من الحصول على أسلحة بيولوجية وكيميائية ونووية كخطوة مساعدة على كبح الإنتشار النووي، ويفرض هذا القرار في جزئه التنفيذي مجموعة إلتزامات يستوجب التقيد بها من قبل الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، ومن بين هذه الإلتزامات نجد:

– التزام الدول بعدم تقديم الدعم للجهات الفاعلة غير الحكومية في مجال تطوير الأسلحة النووية والبيولوجية والكيميائية، سواء كان ذلك الدعم عن طريق تحرير عمليات النقل، أو التزويد بالتقنيات ، أو المساعدة في تطوير البحوث، وبالتالي فإن نطاق التنفيذ هنا يركز على الفواعل غير الدولاتية، بالإضافة إلى التركيز على الدعم التقني والعلمي معا.

– تطوير ترسانة قانونية وطنية تمنع المتاجرة غير الشرعية في الشؤون النووية.

– وضع منظومة وطنية للرقابة على المواد والمفاعلات النووية تحول دون وصول أيدي الإرهابيين إليها.

– كما يلزم المجلس الدول على تطبيق كافة المعاهدات المتعددة الأطراف في مجال حظر انتشار الأسلحة النووية.

– توطيد التعاون الدولي في سبيل منع انتشار أسلحة الدمار الشامل.

والملاحظ أن هذا القرار يلزم الدول على تطوير منظومة رقابة محلية، إلا أنه لايقدم معايير إضافية للحكم على الملائمة والفعالية، فبالرغم من إنشائه للجنة المعروفة باسم لجنة 1540 من أجل متابعة ومراقبة تنفيذ القرار إلا أن مجهوداتها تبقى محدودة خاصة مع التطور الحاصل في مجال تكنولوجيا المعلومات التي جعلت الأمر يبدوا معقدا لوضع حلول رقابة نهائية، وإنما تبقى دائما خاضعة للتحديث.(1)

ثالثا- الوكالة الدولية للطاقة الذرية: تلعب الوكالة دورا جوهريا في دعم وتحسين البنية الأساسية القانونية والتنظيمية الوطنية، ووضع التوجهات التقنية للدول في الشؤون النووية، كما تساهم بدور كبير في منع الإتجار غير المشروع بالمواد المشعة، وفي تحديد مواطن الضعف في النظم الأمنية، بوسائل متعددة من بينها قاعدة بيانات الإتجار غير المشروع، وما تقوم به الوكالة من أعمال في مجال التحليل الشرعي للمواد النووية، كما أن نظم السلامة والأمن النوويين اللذان وضعتهما الوكالة لحماية المواد المشعة والمفاعلات النووية، وكذا الأفراد العاملين فيها، ساهمت بدرجة كبيرة في منع وصول الجهات غير المشروعة قدر الإمكان إلى المواد والأنشطة النووية بكافة سبل استخدامها، وقد تزايد دور الوكالة الدولية للطاقة الذرية في مجال الأمن النووي من خلال تقديم الإرشادات والنصح وإبرام الاتفاقيات الملزمة وغير الملزمة منها، إضافة إلى البرامج والخدمات التدريبية والتعليمية والاستشارية، ولعل الإطار القانوني الذي تتمتع به الوكالة والمتمثل في

---

[1]- سعاد بوقندورة، "دور مجلس الأمن الدولي في منع إنتشار الأسلحة النووية"، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، جامعة خنشلة، العدد 06، 2016،ص.291.

الحصانة الدولية والامتيازات المتفق عليها بين الدول والقرارات الصادرة عن مجلس المحافظين والمؤتمر العام للوكالة أسهم في إنجاز الجزء الأكبر من الآليات والأدوات اللازمة لضبط الأمن النووي.

وتسعى الوكالة لتحقيق مستوى عال من الأمن النووي، من خلال تنظيم الاتفاقيات الدولية التي تحرص على:

-منع الإنتشار النووي

- منع التجارب النووية

- الحماية المادية للمواد النووية

- النقل الآمن للمواد النووية.

- الأمان النووي

- دعم نظام ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية.[1]

وجدير بالذكر أن معاهدة منع الإنتشار النووي لسنة 1968 تعد الأداة الأساسية وحجر الزاوية في النظام الدولي المتنامي والمعقد لمنع الإنتشار النووي وليس انتشار ظاهرة الإرهاب النووي فحسب، حيث يتكون هذا النظام كما سبق وأشرنا من مجموعة من المعاهدات والإتفاقيات المتعددة الأطراف، إلى جانب مختلف المؤسسات القائمة لاسيما الأممية منها، والتي تعمل جنبا إلى جنب مع مؤسسات المكافحة الوطنية والمنظمات الدولية غير الحكومية الأخرى الناشطة في الشؤون النووية، من أجل التقليل قدر الإمكان من التهديدات النووية التي لازالت تطرح دائما على الساحة الدولية، فرغم كل الجهود المبذولة إلا أنه مازال هناك نقص كبير في جوانب الحماية والأمن النووين، حيث أشارة منظمة مبادرة التهديد النووي أواخر سنة 2016 في تقريرها السنوي أن الدول لازالت غير مستعدة تمام الإستعداد لمواجهة قراصنة الكومبيوتر الذين بإمكانهم استهداف المنشآت النووية[2]، وبالتالي يبقى التهديد السيبراني أكبر ثغرة في نظام الأمن النووي الدولي.

خاتمة:

نستخلص مما سبق أن ظاهرة الإرهاب النووي عرفت قدرا كبيرا من الإنتشار بعد نهاية الحرب الباردة خاصة مع انتشار السوق الموازية لهذه الظاهرة من حيث الخطورة ألا وهي السوق النووية السوداء، والتي تعد من أكثر الملفات السرية على الساحة الدولية، وأن كل المعلومات المتحصل عليها بهذا الشأن لاتتعدى كونها تصريحات رسمية أو غير رسمية من قبل جهات مختلفة، لكن طريقة تنظيمها وأماكن تحركها تبقى غامضة، وأن المساعي العديدة التي قامت بها الدول والمنظمات في سبيل القضاء على هذه الظاهرة عملت

---

[1]- منى فالح سمرة القحطاني، الأمن النووي في منطقة الخليج العربي، مذكرة ماجيستير في العلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2010، ص.ص.45،46.

[2]- محمود رمزي، مبادرة التهديد النووي : المنشآت النووية في 20 دولة غير آمنة من هجمات قراصنة الأنترنت، على الرابط الإلكتروني: http://www.masrawy.com أطلع عليه بتاريخ: 2018/01/10.

على الحد نوعا ما من الانتشار النووي، الذي لايخضع إلى ضوابط رسمية دولية نهائية ويخضع نسبيا لرقابة الهيئة الأممية.

نتائج الدراسة:

– يعتبر الإرهاب النووي أحد أخطر مفاهيم العلاقات الدولية نظرا لما يمكن أن ينجر عن انتشاره.

– الإرهاب النووي يشكل تهديد مباشر للسلم والأمن الدوليين.

– الأطر التنظيمية والمنظماتية الحاكمة لمسألة الانتشار النووي كان لها دور فعال في العمل على تقليل مخاطر هذه الظاهرة وانحسارها ولو نسبيا.

– هناك العديد من الأنشطة الإرهابية في المجال النووي والتي تتراوح بين سرقة سلاح نووي كامل وصولا إلى سرقة مواد إشعاعية أو ما يعرف بالقنبلة القذرة.

– تميزت السنوات الأخيرة من القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين بأوسع عمليات للإتجار السري سواء تعلق الأمر بتصاميم الأسلحة النووية أو الطرق الحديثة في تخصيب اليورانيوم أو نتائج الاختبارات النووية... .

– هناك العديد من الهيئات الرسمية وغير الرسمية التي تلعب أدوارا فعالة في مكافحة ظاهرة الإرهاب النووي لاسيما منها الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ومختلف المعاهدات الدولية الأخرى.

التوصيات:

– تكثيف الجهود الدولية من أجل وضع الظاهرة محل نقاش دولي موسع سعيا للحد التام من انتشارها واتساع نطاقها.

– تكثيف حماية المفاعلات النووية ومخابر البحوث العالمية المتخصصة في الصناعة النووية.

– تحديث نظم السلامة والأمن النوويين بما يتنافى مع وقوع أي اختلالات سيبرانية متطورة.

– إقامة نظم قانونية تنظيمية تعمل جنبا إلى جنب مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية وتتسم بالطابع المحلي تشمل جميع دول العالم دون استثناء.

قائمة المراجع:

1- الكيلاني هيثم ،(1996) الإرهاب يؤسس دولة – نموذج إسرائيل -، القاهرة، دار الشروق.

2- اللجنة المعنية بأسلحة الدمار الشامل،(2007)، أسلحة الرعب – إخلاء العالم من الأسلحة النووية والبيولوجية والكيميائية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

3- بوقندورة سعاد ،(2016)، "دور مجلس الأمن الدولي في منع إنتشار الأسلحة النووية"، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، جامعة خنشلة، العدد 06،.

4- تيرتري برونو ، (2011)،السلاح النووي بين الردع والخطر، تر.عبد الهادي الإدريسي، أبو ظبي، هيئة للثقافة والتراث.

5- غافين كاميرون،(2005)،"الارهاب النووي: أسلحة للبيع أم للسرقة؟ " ، مجلات أمريكية، العدد 15.

مجلة دراسات لجامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر- مجلة دولية محكّمة- ISSN 1112-4652

6- غاريث إيفانز و كاواغوشي يوريكو ، القضاء على التهديدات النووية، طوكيو، اللجنة الدولية المعنية بمنع انتشار الأسلحة النووية ونزع السلاح النووي، 2009.

7- غريفيثس مارتن و أوكلاهان تيري ، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، الامارات العربية المتحدة، مركز الخليج للأبحاث، 2008.

8- محمدي صليحة ، حوار الردع العقلاني- التنظيمي في تحليل انتشار الأسلحة النووية- البرنامج النووي الإيراني نموذجا -، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، جامعة باتنة، 2017/2016.

9- محمود رمزي، مبادرة التهديد النووي : المنشآت النووية في 20 دولة غير آمنة من هجمات قراصنة الأنترنت، على الرابط الإلكتروني:http://www.masrawy.com

10- مهداوي عبد القادر ، الاستخدام السلمي للطاقة النووية – بين حق الشعوب في التنمية ومتطلبات الأمن الدولي، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في القانون العام، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014.

11- مبادرة التهديد النووي، مؤشر أمن المواد النووية – وضع إطار عمل للتأمين والمسائلة والعمل - ، تقرير صادر عن مبادرة التهديد النووي، جانفي، 2014.

12- الأمم المتحدة، تقرير خبير اللجنة 1540 حول منع حيازة الإرهابيين للمصادر المشعة، الدورة 22 سنة 2016.

13- الاتفاقية الدولية لقمع أعمال الإرهاب النووي.

14- Albright David and cory Hinderstien,uncovering the nuclear black market: working toward closing gaps in the international nonproliferation regime, paper propared for the institute for nuclear materials managment (INMM) 54 The annual meeting, july ,2004.

15-Chirstopher o clary, the A.Q khan network: causes and implication , master's thesis, monterey naval post graduate school, 2005.

نظام الوساطة القضائية

في قانون الإجراءات المدنية والإدارية الجزائري

د. حمه مرامرية

كلية الحقوق

جامعة باجي مختار- عنابة

ملخص

نظام الوساطة القضائية كطريق بديل لحل النزاعات من خلال إجراءات اختيارية سرية وسريعة تقوم على محاولة تقريب وجهات النظر بين المتنازعين تتم عبر تدخل طرف ثالث يسمى الوسيط القضائي يكلف بإدارة المفاوضات حتى الوصول إلى تسوية يقبلها الأطراف، ونظرا لما يتسم به هذا النظام من فوائد ومميزات، بادر المشرع الجزائري إلى استحداثه ضمن أحكام قانون الإجراءات المدنية و الإدارية، واعتبره إجراء وجوبي يعرضه القاضي في أول جلسة على الخصوم، ومنه سنتناول بالبحث أحكام الوساطة مركزين على مميزاتها و إجراءات تنفيذها مع التطرق إلى النظام القانوني للوسيط القضائي.

الكلمات المفتاحية: الوساطة القضائية – المميزات – مجال وإجراءات تطبيقها.

abstract

The system of judicial mediation as an alternative way to solve the conflicts through the optional, secret and fast procedures based on the trial to make the point of views of the parties in conflict convergent, which will be done through a third party called “**the judicial mediator**” who is in charge of the management of negotiation until achieving an accepted compromise between the parties.

Regarding the advantages and characteristics of this system, the Algerian legislator begins with the establishment of this system within the law of civil and administrative law, and considers this system a compulsory procedure exposed by the judge to the parties in conflict. In this study, we treat the dispositions of the mediation focusing on its characteristics and the procedures of its implementation, in addition to the legal status of the judicial mediator.

Key words:

The judicial mediation – characteristics – Area of its implementation.

مقدمة

الوساطة القضائية كوسيلة بديلة لحل النزاعات بعيدا عن القضاء وجلساته العلنية، وإجراءاته الطويلة والمعقدة، يتم من خلال إجراءات اختيارية سرية وسريعة سهلة وأقل مشقة، توفر شيء من الوقت والجهد على المتنازعين، وجزء من الأعباء على الهيئات القضائية، تقوم على محاولة التقريب بين المتخاصمين، تتم

عبر تدخل طرف ثالث محايد يسمى بالوسيط القضائي الذي تكمن مهمته في التوسط وتقريب وجهات النظر بين المتخاصمين في القضايا المرفوعة أمامه لأجل الوصول إلى تسوية توافقية مرضية للجميع.

ونظرا لأهمية هذا النظام وما له من مميزات وفوائد بادر المشرع إلى استحداثه، حيث نظمه بموجب قانون الإجراءات المدنية والإدارية، واعتبره اجراء وجوبي يلزم القاضي بعرضه في أول جلسةعلى الخصوم وفي جميع المواد باستثناء قضايا شؤون الاسرة والقضايا العمالية، وفي حالة القبول يعين وسيط تسند له مهمة حل النزاع بشكل ودي تفاوضي توافقي يوافق عليه الجميع، وجاءت هذه في ثلاث مطالب، يتمثل الأول في ماهية الوساطة ودوافع اللجوء إليها، أما المطلب الثاني فيركز على الوسيط القضائي، وذلك من حيث شروط الالتحاق بالمهنة ثم الى مهارات الوسيط، ويتناول المطلب الثالث مجال الوساطة وتنفيذها.

المطلب الأول: ماهية الوساطة ودوافع اللجوء إليها

الفرع الأول: ماهية الوساطة

أولا: تعريف الوساطة

تعرف الوساطة على أنها طريق بديل لفض المنازعات بين الأشخاص بعيدا عن أروقة القضاء وجلساته العلنية، من خلال إجراءات ودية اختيارية، سرية وسريعة، تقوم على محاولة تقريب وجهات النظر بين أطراف النزاع، وتتم عبر تدخل طرف ثالث محايد يسمى الوسيط مستعملا فنون مستحدثة في إدارة المفاوضات بغية الوصول الى تسوية للنزاع تكون مرضية لجميع الأطراف [1].

هذه طريقة استحدثها المشرع الجزائري بموجب قانون الإجراءات المدنية والإدارية الحديث [2] ، اعتبرها إجراء وجوبي يعرضه القاضي على الخصوم، وفي حالة القبول، يقوم القاضي بتعيين وسيط تسند له حل النزاع بشك ودي قائم على التوافق والتراضي [3].

مع العلم أن هناك عوامل مهيئة ومساعدة على دفع المشرع لاعتماد هذا الحل نذكر منها عاملين:

العامل الأول: الدين، العادات والتقاليد السائدة في المجتمع الجزائري التي تفضل عرض وحل منازعاتها على وساطة وتدخل مخلس العائلة ومجلس الجماعة.

العامل الثاني: الحد والتقليل من حجم المنازعات المثارة أمام القضاء، والتي باتت تثقل كاهل القضاة وتؤثر سلبا على أحكامهم.

ثانيا: تمييز الوساطة عما يشتبه من الأنظمة

1. **الوساطة والصلح**

---

[1] بربارة عبد الرحمان: شرح قانون الإجراءات المدنية والإدارية. ط 1 سنة 2009 – منشورات بغدادي – الجزائر ص 523.

[2] القانون رقم 08 – 09 المؤرخ في 25 فيفري 2008 المتضمن قانون الإجراءات المدنية والإدارية الجزائري، ج ر عدد 21 مؤرخ 2008/04/23.

[3] تنص المادة 994 من ق إ م د على أنه: "يجب على القاضي عرض إجراء الوساطة على الخصوم في جميع المواد، باستثناء قضايا شؤون الأسرة والقضايا العمالية. وكل ما من شأنه ان يمس بالنظام العام. إذا قبل الخصوم هذا الاجراء، يعين القاضي وسيطا لتلقي وجهة نظر كل واحد منهم ومحاولة التوفيق بينهم، لتمكينهم من إيجاد حل للنزاع ".

الصلح على العموم إجراء يمكن أن يعرض على الخصوم الذين يجوز لهم التصالح تلقائيا أو بسعي من القاضي [1] ، فهو طريق بديل لحل النزاعات اعتمده المشرع في هذا القانون الجديد وبهذا الخصوص يمكن أن نوضح أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينهما.

أوجه الشبه: كلاهما له أثر منهي للخصومة إذا ما تم نجاحهما، وكلاهما له نفس حجية الحكم القضائي، وكلاهما يعد سند تنفيذي بعد المصادقة عليه.

أوجه الاختلاف: هناك أوجه اختلاف واضحة يمكن حصرها فيما يلي:

- الوساطة إجراء وجوبي، بينما الصلح، إجراء جوازي وذلك ما يستخلص من صياغة المادتين 990 و994 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية.
- مدة الوساطة ثلاثة أشهر قابلة للتجديد مرة واحدة [2] بينما الصلح غير مقيد بمدة معينة.
- الوساطة يجب على القاضي القيام بها في الجلسة الأولى، أما الصلح يمكن اللجوء إليه في أي مرحلة تكون فيها الخصومة.
- الوساطة تتناول الموضوع كليا أو جزء منه، وذلك ما تقضي به المادة 995 ف 1 ق إ م د [3] ، وهي أي الوساطة مقيدة يستثنى منها مادة الأحوال الشخصية والمادة الاجتماعية، وكل ما من شأنه ان يمس النظام العام، أما الصلح يتناول الموضوع ككل وهو غير مقيد بمادة معينة.
- يثبت اتفاق الوساطة في محضر يوقعه الوسيط والخصوم ويصادق عليه بأمر قضائي غير قابل للطعن عملا بالمادة 1004 من ق إ م د [4] ، بينما يثبت الصلح في محضر يوقع عليه الخصوم والقاضي وأمين الضبط.

2. الوساطة والتحكيم

التحكيم يعتبر الطريق البديل الثالث لحل النزاعات الى جانب الصلح والوساطة، فهو ليس بالطريق المعتمد حديثا بل سبق التنصيص عليه في القانون الملغى، وأعيد النص عليه في القانون الجديد.

فأوجه الاختلاف بين الأسلوبين واضح وجوهري، فالوساطة تهدف إلى التوصل لحل ودي يصيغه الأطراف بأنفسهم، بفضل تدخل طرف ثالث محايد وهو الوسيط، على عكس (التحكيم الذي يفصل في النزاع

---

[1] حيث تنص المادة 990 من ق إ م د على أنه: "لا يجوز للخصوم التصالح تلقائيا أو بسعي من القاضي، في جميع مراحل الخصومة".

[2] وذلك ما تقضي به المادة 996 من ق أ م د الآتي نصها "لا يمكن أن تتجاوز مدة الوساطة ثلاثة (3) أشهر ويمكن تجديدها لنفس المدة مرة واحدة بطلب من الوسيط عند الاقتضاء بعد موافقة الخصوم".

[3] تنص المادة 996 ق إ م د على أنه تمتد الوساطة إلى كل النزاع أو إلى جزء منه".

[4] حيث تنص المادة 1004 من ق إ م د على أنه "يقوم القاضي بالمصادقة على محضر الاتفاق بموجب أمر غير قابل لأي طعن "، وعملا بالمادة 1003 من القانون أعلاه أنه في حالة الاتفاق يحرر الوسيط محضرا يضمنه محتوى الاتفاق ويوقعه الخصوم، ويرجع إلى القاضي في التاريخ المحدد لها مسبقا.

بإصدار حكم خارج مرفق القضاء ودون تدخل من القاضي شريطة ان لا يتعارض حكم التحكيم مع حكم قضائي سابق في موضوع النزاع) [1].

– طرح النزاع على التحكيم قبل اللجوء إلى القضاء يكون باتفاق الأطراف على حل النزاع بوساطة التحكيم [2] أما في الوساطة فإن الأمر يختلف، للأطراف الحرية الكاملة وبعد تحريك الدعوى الموافقة على حل الوساطة. ولهم كذلك حرية الانسحاب منها والعودة الى القضاء اذا لم تقنعهم طروحات و إجراءات الوسيط.

– مدة فض النزاع، بالنسبة للتحكيم تكون باتفاق الأطراف، وفي حالة غياب الاتفاق وجب ان يصدر الحكم خلال أربعة أشهر تبدأ من تاريخ تعيين المحكمين أو من تاريخ اخطار محكمة التحكيم، ويكمن تمديد الأجل بموافقة الأطراف، أو وفقا لنظام التحكيم، وفي غياب ذلك يتم بأمر من رئيس المحكمة وذلك عملا بالمادة 1018 ق إ م د.

أما مدة الوساطة فهي ثلاثة أشهر قابلة للتجديد مرة واحدة طبقا للمادة 996 من ق إ م د.

الفرع الثاني: مميزات ودوافع اللجوء إلى الوساطة

الوساطة كحل بديل لفض النزاعات تتميز بجملة من المميزات والفوائد تجعلها أكثر فاعلية من الطرق البديلة الأخرى، ارتأينا التطرق إلى أهمها.

أولا: السرية والخصوصية

الوساطة تكفل لطرفي النزاع المحافظة على خصوصية النزاع بعيدا عن الإجراءات العلنية التي تتسم بها إجراءات المحاكمة القضائية [3] ، على اعتبار أنه في الكثير من الحالات يفضل الخصوم حل النزاع بعيدا عن إجراءات المحاكمة العلنية، بحيث تبقى كل الحوارات المجراة في إطار الوساطة محاطة بالسرية، وفي حالة فشل عملية الوساطة لا يجوز لأحد الأطراف استعمال المعلومات المتبادلة أمام القضاء [4] ، مع إلزام الوسيط بوجوب كتمان السر المهني [5] تحت طائلة العقوبات المنصوص عليها قانونا.

ثانيا: السرعة وتوفير الوقت

---

[1] أحمد محمد حشيش: طبيعة المهمة التحكمية – دار الكتب القانونية – القاهرة 2001 ص 21.

[2] نصت على ذلك المادة 1011 من ق إ م د: "اتفاق التحكيم هو الاتفاق الذي يقبل الأطراف بموجبه عرض نزاع سبق نشوؤه على التحكيم".

[3] وتعني العلنية أن تقع جميع الإجراءات المتعلقة بالمرافعة في جلسة علنية يسمح فيها للجمهور بالحضور إلا إذا تعلق الأمر بالنظام العام والآداب العامة، وجرائم الأحداث حيث تكون فيها الجلسة سرية ويصدر الحكم بصفة علنية وذلك ما نصت عليه المادة 162 من التعديل الدستوري الأخير (قانون 16 – 01 مؤرخ في 06 مارس 2016 المتضمن تعديل دستور 1996)، مع العلم أن هذا المبدأ يتجسد أكثر ويحقق أهدافه في القضايا الجزائية لأن المرافعة فيها تتم بصفة شفوية على خلاف المرافعة في الخصومة المدنية لأنها تتم عن طريق تبادل العرائض لا يعرف الحضور مضمونها.

[4] ورغم أهمية هذه الميزة التي تدفع الأطراف وتشجعهم على حرية الحوار وتقديم تنازلات، نلاحظ أن المشرع أغفل التنصيص عليها.

[5] نص على الالتزام في المادة 1005 من ق إ م د على أنه: "يلتزم الوسيط بحفظ السر إزاء الغير".

الوساطة تمكن الأطراف من حل نزاعهم في وقت أقصر، إذ تحدد المدة في أول الأمر دون أن تتجاوز ثلاثة أشهر من التاريخ الذي قبل فيه الوسيط مهمته، وعليه فهي توفر الوقت والجهد والمصاريف، ونادرا ما تحتاج إلى وقت أطول من ذلك [1] ، ونرى أن المشرع الجزائري قد أصاب في تحديد مدة حل النزاع.

ثالثا: اللجوء إلى الوساطة أمر اختياري

اذ لا يمكن القيام بأي إجراء دون موافقة من أطراف النزاع، وأكثر من ذلك يمكنهم في أي وقت الانسحاب من عملية الوساطة والعودة الى القضاء، ولعل هذه الميزة من أهم ما يشجع على اللجوء الى الوساطة على اعتبار ان الأطراف لا يخشون فقدان الطرق القانونية الأخرى لحل النزاع إذا فشلت الوساطة. بل ان اللجوء الى الوساطة لا يعني ابعاد القاضي عن النزاع، بل يستمر في متابعة النزاع ومنه اتخاذ ما يراه مناسبا من تدابير في حل النزاع [2] .

رابعا: المحافظة على العلاقات الودية بين الخصوم

بما ان التسوية التي تنشأ عن الوساطة هي تسوية مصاغة من قبل الخصوم أنفسهم بمساعدة الوسيط مما يؤدي إلى إبقاء المجال مفتوحا بين الأطراف في استمرار وتطوير العلاقات المتبادلة بينهما.

خامسا: تحقق مكاسب مشتركة لطرفي النزاع

على اعتبار ان التسوية النهائية في الوساطة تكون قائمة على حل مرضي لطرفي النزاع تم التوصل اليه بإرادتهما الحرة، ويكون قائما على تحقيق مكاسبهما ومصالحهما المشتركة دون الاقتصار على الحقوق القانونية التي تعتمد عليها الأحكام القضائية [3].

المطلب الثاني: الوسيط القضائي

يمكن لكل شخص توفرت فيه المواصفات المطلوبة في الوسيط ان يمارس هذه المهمة، وعملا بالمادة 997 من ق إ م د أن الوساطة تسند إلى شخص طبيعي أو جمعية [4] ، ولأن الجمعية شخص معنوي يقوم رئيسها بتعيين أعضاءها لتنفيذ الاجراء باسمها ويخطر القاضي بذلك.

الفرع الأول: الشروط الواجبة في الوسيط وكيفية الالتحاق بالمهنة

أولا: الشروط الموضوعية

يجب أن تتوفر في الشخص الطبيعي المكلف بالوساطة فضلا عن حسن السلوك والاستقامة الشروط التي جاءت بها المادة 998 من ق إ م د وهي:

- ألا يكون قد تعرض إلى عقوبة من جريمة مخلة بالشرف وألا يكون ممنوعا من حقوقه المدنية.
- أن يكون مؤهلا للنظر في المنازعة المعروضة عليه.

[1] محمد عدلي ناصر: نظام الوساطة في الأردن – تقرير مقدم إلى رئيس المجلس القضائي الأعلى الأردني سنة 2003 ص 91.

[2] بربارة عبد الرحمان: المرجع السابق ص 526.

[3] محمد عدلي ناصر: المرجع السابق ص 1.

[4] تنص المادة 997 من ق إ م د على أنه: "تسند الوساطة إلى شخص طبيعي أو إلى جمعية .
عندما يكون الوسيط المعين جمعية، يقوم رئيسها بتعيين أحد أعضاءها لتنفيذ الاجراء باسمها ويخطر القاضي بذلك".

- أن يكون محايدا ومستقلا في ممارسة الوساطة.

كما أضافت المادة الثانية من المرسوم التنفيذي 09 – 100 [1] الشروط التالية:

- ألا يكون قد حكم عليه بسبب جناية أو جنحة باستثناء الجرائم غير العمدية.
- ألا يكون قد حكم عليه كمسير من أجل جنحة الإفلاس ولم يرد اعتباره.
- ألا يكون ضابطا عموميا وقع عزله، أو محاميا شطب اسمه أو موظفا عموميا عزل بمقتضى إجراء تأديبي نهائي.

وأخيرا يجب أن يكون المترشح حائزا على شهادة جامعية، أو دبلوم أو تكوين متخصص أو أي وثيقة أخرى تؤهله لتولي الوساطة في نوع معين من النزاعات [2] . مع العلم أنه يجوز الاستعانة بخبير قضائي في المسائل الفنية وبعض الاختصاصات الدقيقة التي تحتاج لذلك.

ثانيا: كيفية الالتحاق بالمهنة

1. طلب التسجيل بالقائمة: يحق لكل شخص توفرت فيه الشروط المبينة أعلاه أن يقدم طلب تسجيله في إحدى قوائم الوسطاء القضائيين إلى النائب العام لدى المجلس القضائي الذي يقع بدائرة اختصاصه مقر اقامته [3] ، ويكون الطلب مرفقا بالوثائق التي حددتها المادة 6 من المرسوم التنفيذي 09 – 100 وهي:

- مستخرج صحيفة السوابق القضائية رقم 3 لا يزيد تاريخه عن ثلاثة أشهر.
- شهادة الجنسية.
- شهادة تثبت مؤهلات المترشح.
- شهادة الإقامة.

2. البت في الطلب: بعد التحقيق الإداري يحول الملف إلى رئيس المجلس القضائي الذي يقوم باستدعاء لجنة الانتقاء، وذلك لأجل دراسة الملفات والبت فيها [4] ، وعملا بالمادة الثامنة من المرسوم التنفيذي 09 – 100 تتشكل لجنة الانتقاء من الأعضاء التالية:

- رئيس المجلس القضائي رئيسا
- النائب العام
- رؤساء المحاكم التابعة لدائرة اختصاص المجلس القضائي المعني
- يتولى رئيس أمانة ضبط المجلس القضائي أمانتها.

---

[1] المرسوم التنفيذي رقم 09 – 100 المؤرخ في 10 مارس 2009 يحدد كيفيات تعيين الوسيط القضائي، ج ر عدد 16 مؤرخ في 15 مارس 2009.

[2] وذلك ما أضافته المادة 03/ف2 من المرسوم أعلاه من شروط الالتحاق بالمهنة.

[3] نصت على ذلك المادة 05 من المرسوم أعلاه.

[4] عملا بالمادة 07 من المرسوم التنفيذي أعلاه.

وعملا بالمادة 9 من المرسوم 09 – 100 ترسل القوائم المقبولة الى وزير العدل حافظ الأختام للموافقة عليها بموجب قرار، وبعد قبوله المترشح وقبل ممارسة المهام يؤدي اليمين القانونية التي نصت عليها المادة 10 من المرسوم أعلاه [1].

3. حقوق وواجبات الوسيط: نكتفي بذكر أهمها، يتلقى الوسيط اتعابا مقابل أدائه للمهمة المسندة إليه، يحدد قيمتها القاضي الذي عينه، ويتحمل الأطراف دفعها مناصفة مالم يتفقوا على خلاف ذلك، أو ما لم يقرر القاضي خلال ذلك بالنظر إلى الوضعية الاجتماعية للأطراف [2].

ومن أهم الواجبات التي تقع على الوسيط، المحافظة على السر إزاء الغير واخبار القاضي بكل ما توصل إليه الخصوم من اتفاق، وعند الإخلال أو التهاون في تأدية مهامه يتعرض إلى الشطب من قائمة التأهيل [3].

الفرع الثاني: مهارات الوسيط

حتى تتحقق الغاية المرجوة من الوساطة، هناك جملة من المسائل الفنية وأساليب اتصال يتعين على الوسيط الالمام بها تتمثل في الآتي:

أولا: فن إعادة الصياغة المحايدة

وهو أسلوب يجب أن يتبعه الوسيط اثناء إجراءات الوساطة، وذلك بإعادة صياغة العبارات التي يتلفظ بها الأطراف من أجل التعبير عن وجهة نظرهم بموضوع النزاع، وذلك بطريقة محايدة عن طريق استعمال الأطراف بقدرة الوسيط على حل النزاع وإدارة عملية التفاوض، يحاول دائما أن يوجه الطرفين إلى التركيز عن النقطة الأساسية في النزاع [4].

ثانيا: فن الاعتذار والاعتراف

يقصد بالاعتذار في هذا المجال ذلك الأسلوب الذي يتبعه الوسيط مع أطراف النزاع من أجل تخفيف انفعالاتهم العاطفية وذلك باستعمال الفاظ تحمل في طياتها طلب الوسيط من الطرف الذي يخاطبه التماس الأعذار للطرف الآخر بسبب تصرف بدر منه، أما الاعتراف هو تسليم بواقعة معينة دون الإقرار بالخطأ و المسؤولية عن تلك الواقعة، ومن ثم فالاعتذار يقوم على إقرار من جانب المعتذر بخطأ منه، في حين ان الاعتراف يعبر عنه الوسيط، وفي كل الأحوال يجب على الوسيط ان يكون حريصا في استخدام هذه الفنيات في الأوقات والمواضع الملائمة حسب ظروف الحال [5].

---

[1] تنص المادة 10 من المرسوم 09 – 100 على ما يلي: "يؤدي الوسيط القضائي، قبل ممارسة مهامه أمام المجلس القضائي المعين في دائرة اختصاصه اليمين الآتية :

"اقسم بالله العلي العظيم ان أقوم بمهمتي بعناية وإخلاص، وان اكتم سرها وان اسلك في كل الظروف سلوك الوسيط القضائي النزيه والوفي لمبادئ العدالة والله على ما أقول شهيد".

[2] نصت على ذلك المادة 12 من المرسوم التنفيذي 09 – 100.

[3] وذلك بالرجوع الى المادة 1005 من ق إ م د، والمادة 14 من المرسوم التنفيذي 09 – 100 التي تنص على أنه: "يتعرض الوسيط القضائي الذي يخل بالتزاماته أو يتهاون في تأدية مهامه إلى الشطب".

[4] محمد عدلي ناصر: المرجع السابق ص 6.

[5] محمد عدلي ناصر: ما قبله ص 7.

ثالثا: فن تحديد أولويات النزاع

بحيث يقوم الوسيط بتحديد المسائل الجوهرية للنزاع والأكثر أهمية ليتم التركيز عليها عند لقاءاته والمناقشة مع الأطراف [1].

وبصفة عامة حتى ينجح الوسيط في المهام المسندة إليه، يجب أن يتلقى تكوينا تطبيقيا في فن الوساطة وبالأساس التدريب على فن التفاوض وإدارة النزاع، كما يجب أن يتحلى بالعدل والحياد، والانصات الجيد، مع التواصل السليم والواضح.

المطلب الثالث: مجال الوساطة وتنفيذها

الفرع الأول: مجال عرض الوساطة

أولا: الحالات الملائمة للوساطة

المادة 994 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية ألزمت القاضي بعرض الوساطة على الخصوم في جميع المواد، باستثناء قضايا شؤون الأسرة والقضايا العمالية وكل ما من شأنه أن يمس بالنظام العام، وحتى تكون عملية الوساطة ناجحة يجب ان يكون النزاع ملائما للوساطة نذكر منها بعض الحالات على سبيل المثال:

- الحالة التي يكون فيها أطراف النزاع راغبين بإيجاد حل لذلك النزاع لكنهم غير قادرين على التوصل لذلك الحل.
- الحالة التي يكون فيها بين طرفي النزاع علاقة قرابة أو مصاهرة، أو علاقة تجارية يحرص الأطراف على الاستمرار فيها.
- الحالات التي يرغب فيها الأطراف إيجاد حل فوري وسريع لفض النزاع [2].

ثانيا: الحالات التي لا تتلاءم معها الوساطة

مع العلم ان هناك حالات لا تتلاءم معها الوساطة نذكر البعض منها وهي:

- الاستثناء الذي جاءت به المادة 994 من ق إ م د والمتمثل في قضايا الاسرة والقضايا العمالية وكل ما من شأنه ان يمس بالنظام العام.
- الحالات التي يرغب فيها أحد الأطراف الحصول على حكم قضائي نهائي وملزم.
- الحالات التي يكون فيها من مصلحة أطراف النزاع إطالة عمر النزاع [3].

هذا ولا يشترط في الوساطة استغراقها كل النزاع، فإذا تبين للقاضي أنه يمكن للخصوم الاتفاق حول جزء معين منه متى كان موضوع النزاع يقبل التجزئة، فله أن يعين وسيطا يتولى التوفيق بينهم فيه، وتتبع

---

[1] بربارة عبد الرحمان: المرجع السابق ص 533 .

[2] محمد عدلي ناصر: المرجع السابق ص 2.

[3] لمزيد من الاطلاع راجع محمد عدلي ناصر – المرجع أعلاه ص2 وما بعدها.

الإجراءات العادية للخصومة فيما يخص باقي أجزاء النزاع، ولا يترتب على الوساطة تخلي القاضي عن القضية، بل له سلطة واسعة في اتخاذ أي تدبير يراه ضروري في حل النزاع، حيث يتدخل ويأمر في أي وقت [1]، مثلا يمكن للقاضي انهاء الوساطة بطلب من الوسيط أو الخصوم، كما يمكنه انهائها تلقائيا عندما يتبين له استحالة السير الحسن فيها، وفي جميع الحالات ترجع القضية الى الجلسة ويستدعي الوسيط والخصوم عن طريق أمانة الضبط في التاريخ المحدد لها مسبقا.

الفرع الثاني: تنفيذ الوساطة

أولا: تعيين الوسيط وبداية مهمته

بعد نشوء النزاع وبعد موافقة الأطراف على مقترح اللجوء إلى الوساطة يتم تعيين الوسيط بموجب أمر يصدره القاضي الذي عرض الوساطة على الخصوم، يتضمن الأمر بالإضافة إلى البيانات المطلوبة في الأوامر القضائية عنصرين أساسيين هما:

- موافقة الخصوم باعتبارها شرطا لصحة الوساطة.
- تحديد الآجال الممنوحة للوسيط، وتاريخ رجوع القضية الى الجلسة وذلك ما تقضي به المادة 999 من ق إ م د.

وعملا بالمادة 11 من المرسوم التنفيذي 09 – 100 إذا علم الوسيط أو أحد أطراف النزاع بوجود مانع من الموانع المذكورة في النص [2]. أن يخطر القاضي فورا قصد اتخاذ الاجراء المناسب لضمان حياد الوسيط واستقلاليته.

وتبدأ مهمة الوسيط مباشرة فور تلقيه نسخة من الأمر القاضي بتعيينه، على ان يخطر الوسيط القاضي بقبوله المهمة دون تأخير، و يدعو الخصوم إلى أول لقاء للوساطة [3] ، أما عند رفضه للمهمة، بإمكان القاضي اعتماد الإجراء المقرر بالنسبة للخبراء من حيث اللجوء إلى عملية الاستبدال [4]، وبهذا الخصوص

---

[1] بربارة عبد الرحمان. المرجع السابق ص 526.

[2] نصت عليها المادة 11 /ف2 من المرسوم التنفيذي 09 – 100 وهي:

- إذا كانت له مصلحة شخصية في النزاع.
- إذا كانت له قرابة أو مصاهرة بينه وبين أحد الخصوم.
- إذا كانت له خصومة سابقة أو قائمة مع أحد الخصوم
- إذا كان أحد أطراف الخصومة في خدمته.
- إذا كن بينه وبين أحد الخصوم صداقة أو عداوة.

وهي نفس حالات رد القضاة المنصوص عليها في المادة 241 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية، ومنه كان عليه الإحالة عليها وفقط.

[3] تنص المادة 1000 من ق إ م د على أنه: "بمجرد النطق بالأمر القاضي بتعيين الوسيط، يقوم أمين الضبط بتبليغ نسخة منه للخصوم والوسيط.

يخطر الوسيط القضائي بقبوله مهمة الوساطة دون تأخير ويدعو الخصوم إلى أول لقاء للوساطة".

[4] بربارة عبد الرحمان: المرجع السابق ص 529.

يجب عليه أن يبرر طلب إعفاءه حتى لا يشطب من القائمة وذلك قياسا على ما هو معمول به مع الخبراء عند عدم موافقتهم على أداء المهمة المعين من أجلها [1].

ثانيا: مراحل تنفيذ الوساطة

الوساطة النموذجية تمر بمراحل محددة يتعين على الوسيط الإلمام بها:

1- اللقاء الأول: يمكن للوسيط بداية تقديم فكرة حول تطور وتسيير جلسة الوساطة، وقبل ذلك يعرفهم بنفسه كما يطلب منهم التعريف بأنفسهم، ثم يبين لهم أهمية الوساطة كحل بديل لفض النزاعات، وشرح إجراءات الوساطة، ودوره كوسيط والتأكيد على حياديته وعلى سرية الإجراءات حتى يكسب ثقتهم مع اتاحة المجال لهم للاستفسار عن عملية الوساطة، مع تذكيرهم بإمكانية الانسحاب في أية لحظة من المفاوضة [2].

2- الاستماع إلى وجهة نظر الأطراف: ويكون ذلك في جلسة مشتركة أو مغلقة، ففي الجلسة المشتركة يستمع إلى وجهة نظر كل طرف، وفهم المشكلة وأسبابها وتحديد مصالح الأطراف، وذلك بأن يطلب من المدعي عرض كل ما لديه من طلبات والحجج المعتمد عليها في ذلك، ونفس الشيء يطلبه من الطرف الآخر ابداء دفوعاته والحجج المعتمد عليها.

وقد يقتضي الأمر أن ينفرد الوسيط بطرفي النزاع كل على حدى بهدف جمع المزيد من المعلومات حول ماهية النزاع، والبحث في احتمالات التسوية، حيث يستمع إلى وجهة نظر كل طرف دون حضور الطرف الآخر ويتلق منهم العروض المقترحة لحل النزاع [3].

3- وقد يعود إلى الجلسة المشتركة مع تسهيل الحوار المباشر بين الأطراف وإعادة ربط العلاقة بينهم والدفع بهم إلى اقتراح الحلول الممكنة مع تقييمها والتوافق حول حلول مرضية للجميع، وهنا يبرز دور الوسيط ومهاراته في استخدام أساليب الاتصال الملائمة لإدارة عملية التفاوض بما يتلاءم مع شخصية ومصالح الأطراف وتوظيفها في حل النزاع [4].

وللوسيط ان يتخذ ما يراه مناسبا لتلقي وتقريب وجهات النظر، ويخطر القاضي بكل الصعوبات، ويتم ذلك في سرية فلا يجوز الكشف عنها أو الاحتجاج بها.

4- مرحلة التسوية والاتفاق

في المرحلة الأخيرة من أية عملية وساطة ناجحة يتوصل فيها الوسيط إلى اتفاق بتسوية النزاع، فيقوم بتحرير محضر يضمنه محتوى الاتفاق وهو الحل الذي توصل إليه الأطراف، يوقعه رفقة الخصوم، ثم ترجع القضية أمام القاضي في التاريخ المحدد لها مسبقا عملا بالمادة 1003 من ق إ م د [5].

---

[1] مولاي ملياني بغدادي: الخبرة القضائية في المواد المدنية، مطبعة دحلب – الجزائر 1992 ص124.

[2] محمد عدلي ناصر – المرجع السابق – ص 4.

[3] بربارة عبد الرحمان: المرجع السابق ص 532.

[4] محمد عدلي ناصر – المرجع السابق ص 4.

[5] تنص المادة 1003 من ق إ م د على أنه: "عند إنهاء الوسيط لمهمته، يخبر القاضي كتابيا بما توصل إليه الخصوم من اتفاق أو عدمه.

في حالة الاتفاق يحرر الوسيط محضرا يضمنه محتوى الاتفاق ويوقعه والخصوم.

ترجع القضية أمام القاضي في التاريخ المحدد لها مسبقا".

حيث تتم المصادقة على محضر الاتفاق بموجب أمر قضائي غير قابل لأي طعن ومنه يعد محضر الاتفاق المصادق عليه سندا تنفيذيا [1] ، وما يبرر ذلك أن القاضي في الوساطة لا يشرف بنفسه على الإجراءات، لذلك لابد من صدور أمر ينهي الخصومة بالتصديق على محضر الوساطة [2] .

أما في حالة عدم وقوع الصلح لأي سبب من الأسباب فإن الوسيط يسلم وثيقة عدم وقوع الصلح إلى القاضي المختص موضعا فيها السبب الذي أدى إلى ذلك، وهنا يجب أن ترجع القضية للجدول، على اعتبار أنه لا يترتب عن الوساطة تخلي القاضي عن النزاع. ولا يقلل بأي حال من الأحوال حق الأطراف في اللجوء إلى القضاء.

الخاتمة

وفي نهاية دراسة هذا النظام الحديث النشأة بالجزائر والذي تم تنظيمه بموجب قانون الإجراءات المدنية والإدارية، يهدف به حل النزاعات بأسلوب حضاري توافقي يرضي الجميع يقوم على السرعة والسرية بعيدا عن الوسائل التقليدية التي تتسم بطول المواعيد وتعقيد الإجراءات، وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن المشرع ورغم محاولته الجادة في اعتماد هذا النظام البديل وتنظيمه، وكذا تنظيم مهنة الوسيط القضائي من حيث شروط وإجراءات الالتحاق بالمهنة وكذا تنفيذ وإعمال إجراء الوساطة، ومع ذلك هناك ثغرات ونقائص يجب تغطيتها في التعديلات اللاحقة نشير إلى البعض منها:

- إقامة تكوين ودورة تدريبية للوسيط قبل التحاقه بالمهنة مثله مثل المحامي والمحضر القضائي.
- تخصيص مقابل مالي يليق بهذه المهنة حتى يشجع على بقاءها وانتشارها أكثر.
- تحديد طبيعة الجمعية التي تسند لها مهمة الوساطة والأفضل العمل على انشاء واعتماد مراكز وساطة على غرار مراكز التحكيم.

وفي الأخير نأمل أننا في هذه المحاولة نكون قد وفقنا في تناول هذا الإجراء بالشرح والتبسيط رغم قلة المراجع المتخصصة التي تناولته بالدراسة قي الجزائر، ضف إلى ذلك أنه نظام حديث النشأة ببلادنا.

المراجع

أولا: النصوص القانونية

1) القانون رقم 08 – 09 المؤرخ في 25 فيفري 2008 المتضمن قانون الإجراءات المدنية والإدارية الجزائري، ج ر عدد 21 مؤرخ 2008./04/23

2) قانون 16 – 01 مؤرخ في 06 مارس 2016 المتضمن تعديل دستور .1996

3) المرسوم التنفيذي رقم 09 – 100 المؤرخ في 10 مارس 2009 يحدد كيفيات تعيين الوسيط القضائي، ج ر عدد 16 مؤرخ في 15 مارس 2009.

[1] يستخلص من نص المادة 1004 من ق إ م د والآتي نصها: "يقوم القاضي بالمصادقة على محضر الاتفاق بموجب أمر غير قابل لأي طعن."

[2] بربارة عبد الرحمان: المرجع السابق ص 531.

ثانيا: المؤلفات

1) أحمد محمد حشيش: طبيعة المهمة التحكمية – دار الكتب القانونية – القاهرة .2001

2) بربارة عبد الرحمان: شرح قانون الإجراءات المدنية والإدارية. ط 1 سنة 2009 – منشورات بغدادي – الجزائر .2009

3) محمد عدلي ناصر: نظام الوساطة في الأردن – تقرير مقدم إلى رئيس المجلس القضائي الأعلى الأردني سنة .2003

صورة البطل المقاوم

في النص المسرحي الفلسطيني

. د. يحيى سليم سليمان عيسى، الجامعة الأردنية.
. د. فراس خالد حمدان الريموني، جامعة عمان الأهلية.

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على صورة البطل المقاوم في النص المسرحي الفلسطيني، وطبيعة البناء الفني له، فالبطل المقاوم هو بطل يتسم بدعوته للحرية بشكلها الجماعي منطلقا من الواقع في تشكيل وتكوين شخصيته التي لا يمكن الفصل بينها وبين الأحداث التي تعيشها، من هنا تنبثق أهمية البحث في محاولته الوصول إلى صورة البطل المقاوم من خلال الاختيار القصدي لنصين أدبيين من المسرح الفلسطيني هما (الباب) لغسان كنفاني، و(المتهم) لجمال بنورة، وقد امتدت الحدود الزمنية للبحث بين عامي (1967. 1987م)، حيث اتبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي في بحثه، ويمكن أن يفيد البحث المشتغلين في الفن المسرحي من مؤلفين ومخرجين وممثلين ونقاد، وكذلك تقديم الفائدة للمؤسسات الأكاديمية التي تعنى بالأدب والمسرح.

. **الكلمات المفتاحية :** المسرح الفلسطيني، البطل، المقاومة، البطل المقاوم.

Summary:

The aim of this research is to identify the image of the resistance hero in the Palestinian theater text and the nature of his artistic construction. The resistance hero is a hero who is characterized by his call for freedom in its collective form, starting from the reality in the shaping and formation of his personality, which can not be separated from his life events. In the attempt to reach the image of the resistance hero through the selection of the literary texts of the Palestinian theater are (The Door) of Ghassan Kanafani and (The Accused) of Jamal Banoura, and timeline of the search stretch between (1967 - 1987), where the researcher followed the descriptive analytical approach in their research. The research may be useful for theatrical artists from authors, directors, actors and critics, as well as providing interest for academic institutions dealing with literature and theater.

Key words: Palestinian theater, hero, resistance, resistance hero.

. مشكلة البحث:

مما لا شك فيه ان للفلسطيني خصوصيته النابعة من واقع مأساته وحياته سواء كان لاجئاً أو مشرداً، فهو يحمل إحساسه بالغربة وحالات الانكسار لما آلت إليه نهايته معبراً عن أحلامه المرتبطة بالعودة للوطن أو التحرر من الاحتلال، ومن الخطأ أن نفصل بين الشخصية وبين الأحداث التي تعيشها، سواء على مستوى

الفن أو الواقع، فللواقع أثره في تشكيل وتكوين الشخصية سلوكا ووعيا، ومما يعزز أهمية الأحداث هو قدرتها على أن تترك في نفس البطل آثارا تلعب دورها في تشكيل وعيه وبناء شخصيته، والبطل خلق اجتماعي بحت، فهو يعكس الواقع الاجتماعي، " وقد نشأت فكرة البطل في ظل نهوض البرجوازية وسيطرتها على المسرح السياسي والاجتماعي، والنظام الاجتماعي يحدد دور الأفراد وأهمية كلٍ منهم من الناحية الاجتماعية، ولكي يؤثر الفرد الموهوب في المجتمع من حوله، يجب أن تتوافق موهبته مع الحاجات الاجتماعية في الفترة التاريخية التي يحيا فيها البطل، كما أن من الضروري ألا يقف النظام الاجتماعي عقبة في طريق هذا الفرد تحول بينه وبين إبراز مواهبه"([1]).

إن للبطولة دلالاتها الموضوعية التي تبعث على الطمأنينة في النفس، وحينما تكافح البشرية فإن الأمر هنا يحتاج إلى أبطال لديهم القدرة على المجابهة، وعندما نبحث في الأدب عن البطل كشخصية فإن التركيز يكون على موقف المؤلف الفكري والظروف التي أنتجت شخصية البطل، فالفكر وطبيعة الظروف السياسية هي التي تؤثر في طبيعة البطل، وهكذا لا يمكن الفصل بين الواقع الفلسطيني ودوره في بناء صورة البطل ضمن المستويات كافة لاسيما المستوى الأدبي، من هنا تشكلت صورة البطل المقاوم في النص المسرحي الفلسطيني، حيث جاء ليعبر عن واقع القضية وأحداثها المأساوية، وفي ضوء ذلك جاءت هذه الدراسة للإجابة على السؤال التالي:

ما هي صورة البطل المقاوم في النص المسرحي الفلسطيني وما هي طبيعة البناء الفني له؟.

أهمية البحث:

تنبثق أهمية البحث من محاولته الوصول إلى صورة البطل المقاوم في النص المسرحي الفلسطيني من خلال الاختيار القصدي لنصوص أدبية من المسرح الفلسطيني، ويمكن أن يفيد البحث المشتغلين في الفن المسرحي من مؤلفين ومخرجين وممثلين ونقاد، وكذلك تقديم الفائدة للمؤسسات الأكاديمية التي تعنى بالأدب والمسرح.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التعرف على:

1- صورة البطل المقاوم في النص المسرحي الفلسطيني.

2- البناء الفني للبطل في النص المسرحي الفلسطيني.

حدود البحث:

1- الحدود الزمنية: (1967. 1987م).

2- الحدود المكانية: النصوص المسرحية الفلسطينية المنشورة في الوطن العربي.

3- الحد الموضوعي: يتناول الباحثان موضوع صورة البطل المقاوم في النص المسرحي الفلسطيني من خلال الاختيار القصدي لنصين من المسرح الفلسطيني ودراستها وتحليلها.

---

[1] . الهواري، أحمد إبراهيم (1979م)، البطل المعاصر في الرواية المصرية، مصر، دار المعارف، ص21.

. منهج البحث: اتبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي في بحثه.

. تحديد المصطلحات:

. البطل:

لغة من : " بطل: بطل الشيء، يبطل بطلا وبطولا وبطلانا، ذهب ضياعا وخسرا، فهو باطل وأبطله هو، ويقال: ذهب دمه بطلا أي هدرا، وبطل في حديثه بطالة، وأبطل: هزل والاسم البطل، والباطل نقيض الحق، والجمع أباطيل، على غير قياس، كأنه جمع إبطال أو إبطيل، هذا مذهب سيبويه، وفي التهذيب يجمع الباطل ببواطل"([1]).

ولا يبتعد المعنى اللغوي لمفهوم البطل عن هذا المدلول، إذ أن " البطولة في اللغة الغلبة على الأقران، وهي غلبة يرتفع بها البطل عمن حوله من الناس العاديين ارتفاعاً يملأ نفوسهم اجلالا واكبارا "([2]).

أما اصطلاحا فعرفه (كحال) بأنه: " الشخصية الرئيسة الفاعلة، على غرار البطل في الملحمة الإغريقية، حيث يكون من أبرز خصائصه النبل والشجاعة والاتيان بالأفعال العظيمة"([3]).

وتماشيا مع أهداف البحث فقد تبنى الباحثان تعريف (كحال) كتعريف اجرائي لبحثه.

. المقاومة:

ورد في (معجم المعاني الجامع) أن " مقاومة (اسم) وهي مصدر قاوم، ويعني صُعوبة تواجهُها قوَّة معيَّنة، وقاومَ يقاوم، مُقاومةً وقِوامًا، فهو مُقاوِم، والمفعول مُقاوَم، قَاوَمَ أَعْدَاءَ بِلاَدِهِ: نَاضَلَ ضِدَّهُمْ، عَارَضَهُمْ بِالْقُوَّةِ، ظَلَّ يُقَاوِمُ الْمَرَضَ : يُصَارِعُ الْمَرَضَ، يُوَاجِهُهُ، قَاوَمَهُ فِي الْمُصَارَعَةِ : غَالَبَهُ، قَاوَمَهُ فِي حَاجَةٍ : قَامَ مَعَهُ فِيهَا، قاوم الجسمُ المرضَ : قام بردّ فعل ليزيل تأثيرَ المرض أو يخفّف من ضرره، مُقاوم اسم المفعول من قاوَمَ، مُقَاوِمُ الشَّيْءِ : مُوَاجِهُهُ لَهُ بِمَا يَلْزَمُ، مُقَاوِمٌ: الْمُوَاجِهُ للعدو، المقاتل، الْمُجَاهِدُ. ومقاومة التجربة: المعارضة ورفض الخضوع لإرادة الغير. والمقاومة الشعبيّة تعني مُقَاوَمَةُ العُنْفِ بِالعُنْفِ : مُوَاجَهَةُ قَرَّرَ مُقَاوَمَةَ العَنَاصِرِ الفَاسِدَةِ. والْمُقَاوَمَةُ الشَّعْبِيَّةُ : حَرَكَةٌ شَعْبِيَّةٌ مُنَاضِلَةٌ سِيَاسِيَّةٌ لَهَا مَبَادِئُ، عَنَاصِرُهَا مُسَلَّحَةٌ، تُقَاوِمُ السُّلْطَةَ الْحَاكِمَةَ أَوْ قُوَّاتِ الاحْتِلالِ "([4]).

أما اصطلاحا : فقد اتسع مفهوم المقاومة ليشمل المقاومة النفسية والسياسية والاقتصادية، لكنه تداخل في الوقت نفسه مع مفاهيم أخرى مثل الإرهاب وسواها، وقد أشار عدد من الباحثين إلى التعريف الأشمل للمقاومة، حيث " غدت المقاومة بمثابة رد فعل ضد الهيمنة والاستبداد من جهة، ودفاع الكائن عن مجاله الحيوي الإنساني من جهة أخرى، وهذا المجال هو المحيط والمجتمع والتشكيلات الاجتماعية، والمقاومة في الأساس رد فعل دفاعي عن مكونات البيئة والمحيط، وعد أحد المشاركين مقاومة غاندي من نوع اللاعنف أشد أنواع المقاومة، لأنها النضال من أجل الحق وضد العدوان، والمقاومة من أجل البقاء لن

---

[1]. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (1997م)، لسان العرب، مج1، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ص220.

[2]. ضيف، شوقي، (1970م)، البطولة في الشعر العربي، مصر، دار المعارف، ص9.

[3]. أنظر. كحال، بو علي (2002)، معجم مصطلحات السرد، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002م، ص32.

[4]. أنظر. عمر، أحمد مختار(2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، القاهرة.

تقف عند حد، من مقاومة الفلاحين للإقطاع إلى مقاومة العبيد للأسياد ومقاومة المظلوم للظالم ومقاومة الإنسان لظروف الطبيعة، ثم شملت المقاومة تقوية عناصر الضعف الداخلي، وأضيف مشروع النهضة العربية إلى حركة المقاومة، لأنها منطلقات وطنية تزامنت مع المد الإمبريالي حتى داخلت علاقة العولمة بالمقاومة، ورأوا أن المقاومة الحالية مرتبطة بهيمنة الشمال على الجنوب، وذلك في نهاية التحليل مقاومة للنظام العالمي الجديد الذي هو نظام هيمنة"([1]).

وتماشيا مع أهداف البحث فقد صاغ الباحثان التعريف الاجرائي التالي للمقاومة:

المقاومة: هي مجابهة ووقوف فرد أو جماعة في وجه الاستبداد والطغيان الذي من شأنه أن يهدد كيان أو وجود ذلك الفرد أو تلك الجماعة، ويستحوذ على حقوقهم ومقدراتهم دون وجه حق، وهذا النوع من المجابهة يتخذ أشكالا متعددة تتجاوز حدود المجابهة العسكرية إلى مجابهة ثقافية واقتصادية وغيرها.

. البطل المقاوم:

ذهب (عطية) إلى أن البطل المقاوم هو: " ذلك المناضل الذي يعمل من أجل تغيير المجتمع والعالم تغييرا جذريا بغية تحقيق العدالة الاجتماعية والحرية والتحرر الوطني والسلام العادل، ومن أجل تحقيق مجتمع جديد وعالم جديد خال من القهر والأعراف والتقاليد المتخلفة، مجتمع جديد يتغير فيه كل أنواع السياسات والثقافات والمسلمات والعلاقات التقليدية المختلفة"([2]).

وتماشيا مع أهداف البحث فقد تبنى الباحثان تعريف (عطية) كتعريف اجرائي لبحثه.

الاطار النظري: صورة البطل في النظريات المسرحية:

تقترب البطولة بمعناها التقليدي مما هو متعارف عليه تاريخيا، ويشيع غالباً بين الناس للدلالة على قيم الخير، والأعمال التي تجعل من فرد أو جماعة ما مميَّزين ضمن إطار الرؤية العامة للمجموع وطبيعة اللحظة التاريخية وشروطها، ومثلما يشكل البطل ضرورة ملحةً في الواقع، نجده أيضا يأخذ أهميته على صعيد العمل الأدبي، ليقدم مجموعة من المتناقضات المتفاعلة على الصعيد الاجتماعي، وتنبع أهمية البطل من مدى تأثيره فيمن حوله، ومن الدور الذي يؤديه في المجتمع، وهو " عبارة عن حقيقة مادية وموضوعية مرتبطة بالزمان والمكان، وليس وهماً، ونبتعد أكثر عندما نقول: وليس استيهاماً، منطلقة من العامل الذاتي المشوه بسيكولوجياً (نفسياً)، والعاجز مادياً، أمام مواجهة العدو الطبقي الداخلي والخارجي، وتحويل الواقع في وقتٍ واحدٍ، والبحث عن رغيف الخبز"([3]).

إن البطل يولد كإنسان عادي بسيط، لكنه يأخذ دوره البطولي من خلال حركته زمانيا ومكانيا، فهو لا ينفصل عن الصراع مع محيطه المخالف له، ولا يمكن في هذا السياق تجاهل العوامل الذاتية التي تؤكد على حقيقة مواقفه، والتي تلعب في الوقت نفسه دوراً أساسياً في العملية التاريخية، وحينما يجهل الفرد

---

[1]. العيسى، شملان، وآخرون (2002م)، ندوة العدد حول المقاومة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 79، الكويت، جامعة الكويت، ص (152. 167).

[2] . عطية، أحمد محمد (1977م)، البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة، ط1 ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ص28.

[3]. القاسم، أفنان (1984م)، عبد المجيد الربيعي و البطل السلبي، ط 1، بيروت،عالم الكتب، ص161.

مهامه التاريخية والاجتماعية نجده يكون سلبيا، لكنه حينما يدرك طبيعة الواقع الذي يعيش فيه وطبيعة الموقف الذي ينبغي عليه اتخاذه، تتكون لديه البطولة الإيجابية بوصفها صفة اجتماعية مكتسبة، والبطل في الأدب هو " مقياس لمدى شعور الإنسان بالاستقرار في علاقة الفرد بالآخرين، وفي علاقة الجماعة الإنسانية بالكون، هذا الشعور يعطينا بطلاً محدود النطاق، محدود المشكلات، ويبعد العمل الأدبي تبعاً لذلك عن شكل الأسطورة. وشعور الإنسان بالأزمة، بالحاجة إلى تكييف جديد لعلاقته داخل الجماعة الإنسانية ولعلاقة الجماعة الإنسانية بالكون، يوقف البطل من جديد أمام منابع الحياة الأولى، ويرد العمل الأدبي إلى شكلٍ قريب من شكل الأسطورة"([1]).

لقد تشكل الإعجاب بفكرة البطولة نتيجة لأن الكمال الذي وصلت إليه الحياة، لم يتشكل إلا بفضل بطولة تغلبت على الشر وعوامل الضعف، فكان ذلك تأكيد على الإيمان بقدرات البطل كفرد مختلف عن الجماعة، وبأن هناك قوى خفية تحركه "وخاصة في عهود الإنسانية الأولى، حتى ليطلق على بعض فتراتها فترة عبادة الأبطال، حين كانوا يتراءون لمن حولهم رموزاً لقوى خفية غيبيَّة مجهولة، أو بعبارة أخرى رموزاً لأشياء إلهية مقدسة، بل كأنما الآلهة هي التي أنجبتهم لحماية من حولهم بما يأتون به من معجزات القوة والشجاعة، وهي معجزات دفعت الناس إلى عبادتهم أحياناً كأنهم حقاً آلهة بيدهم حياتهم وكل ما يحفظها عليهم من أسباب الرزق والبقاء"([2]).

وفي ظل الإمكانات والقوى الخارقة التي تمتع بها الأبطال قديما، لم تغب تلك المكانة عن أبطال الملاحم والأساطير الذين أخذوا يدافعون عن أقوامهم ويحققون الانتصارات، فبرزت أدوارهم سياسيا واجتماعيا ودينيا، وهذه البطولة التي أفرزت القدرات الخارقة عند الأبطال في كل عصر من العصور، بدءاً من عهود ما قبل الميلاد مروراً بالجاهلية والإسلام، وانتهاءً بمحاولات التحرر من أشكال السيطرة في العصر الحديث، تسلحت أيضا ببطولة نفسية كي" تمتزج هذه البطولة النفسية وأختها الحربية عند القدماء ببطولة خلقية أسبغت عليهم القوة إزاء غرائزهم "([3])، وهذا البطل لا يهدف إلى رسم مجد شخصي لنفسه، وإنما مجده الأول والآخر يكمن في فناء الذات من أجل قضيته الإنسانية، ومن أجل القيم الاجتماعية النبيلة التي آمن بها.

لقد ارتبطت ولادة الأسطورة بولادة العقلية الإنسانية وطفولتها حيث تحقق من خلالها أولى مراحل التفكير الفلسفي، فشكلت وسيلة للتأمل وفهم الطبيعة وظواهرها وكشف أسرارها، ولم تتوقف عند ذلك بل أخذت الأسطورة حيزاً زمانياً ومكانياً مهماً في تاريخ الحضارات الإنسانية والفكر البشري منذ تشكيلاته الأولى، لتشكل بذلك نتاجا معرفيا جماعيا جسد وضعا انثروبولوجيا، ومرجعا ثقافيا متميزا تنهل منه الكثير من الدراسات الاجتماعية والفكرية والتاريخية والفولكلورية، بل تعداها الى انواع الفنون كافة، ومعظم الاجناس الأدبية، وبذلك " فقد قامت الأسطورة بإضفاء الحيوية والديناميكية في استحضارها لسيرة

---

[1]. عياد، شكري (1959م)، البطل في الأدب والأساطير، ط1، القاهرة، دار المعرفة، ص 148.

[2]. ضيف، شوقي، البطولة في الشعر العربي، ص9 .

[3]. المصدر نفسه، ص14.

الأسلاف، وترسخ التفكير الميثولوجي في الوعي الاجتماعي للشعوب - وإن كان بدرجات متفاوتة - وتوارثته الأجيال حيث أصبح الماضي مشاركاً في الحاضر، وأصبح الأسلاف الموتى- حتى من لم يدفعوا منهم حركة التاريخ في الماضي- هم الذين يتحكمون ويسيطرون ويديرون دفة الزمن الحاضر كنماذج يتوجب احتذاؤها " ([1]).

وقد شكلت الملاحم والأساطير معينا لا ينضب من القصص والحكايات البطولية التي غذت فن المسرح، ويبدو الشرط الذي يحدد سمات البطل في الأسطورة أكثر ارتباطا بالصفة الإلهية وذلك نتيجة لاقتران الأسطورة بالطقوس الدينية " فأبطال الأساطير أبطال ذوو صفات إلهية؛ إما آلهة أو أنصاف آلهة تأتي ولادتهم نتيجة لعلاقة غير مشروعة بين إله وابنته أو أخته، أو من أم بشرية يغتصبها إله متنكر، على الأغلب، في صورة حيوان، وتأتي الولادة على نحو غير طبيعي كأن ينبثق البطل من جسد الإله أو فخذه كولادة أثينا من رأس زيوس، وولادة دينسيوس من فخذه، وتلك الألوهية تكسبهم قوة خارقة تجعلهم يخوضون صراعاً يكلل بانتصارهم، على الرغم مما تعرضوا له من تشرد في بدايات حيواتهم، إما بسبب حلم يراه الإله الأب، أو خوف الأم من الافتضاح "([2]).

ومنذ ظهور المسرح الإغريقي، سعى روّاده إلى توظيف الميثولوجيا في عملية الخلق الدرامي، وقد اعتمد كتاب التراجيديا الإغريقية (اسخيلوس، سوفوكلس، ويوربيدس) على ملاحم الشاعر الإغريقي (هوميروس) في بنائهم لنصوصهم المسرحية، " ولم يكن توظيف الأسطورة في المسرح الإغريقي توظيفاً للأسطورة برمتها، وإنما كان توظيفاً لجزء معين منها. أي أن المسرحية تقام على حدث معيّن من أحداث الأسطورة، أو على موقفٍ من مواقفها"([3])، وبذلك فقد انعكس توظيف الميثولوجيا في المسرح على التكوين الفني والفكري للبطل في المسرح الكلاسيكي، حيث اعتمد روّاد المسرح في بناء أعمالهم المسرحية على المعطيات الأسطورية لاسيما تلك الأحداث والحقائق التي يمكن تفسيرها دينيا ودنيوياً وذلك ببنائهم للشخصيات والأحداث المسرحية ضمن رؤية حضارية تتناسب مع الواقع.

وإذا كانت الملاحم والأساطير قد قدمت أبطالا مثاليين ولا يتغيروا، فإن البطولة في الآداب الشعبية قد جاءت بطولة ذاتية مثل البطولة التي تتشكل في الأدب التراجيدي، إذ " أن قدرات البطل نابعة من ذاته وليست من القوى الخارقة، ولا ينفي ذلك عن البطل بعده الاجتماعي، بل على العكس، فهو يهتم بمشكلات قومه أكثر مما يهتم بمشكلاته، ويقوم بدور فاعل اتجاهها، مما يقربه من بطل الرواية ذات الطابع الملحمي في المجتمع الاشتراكي، ويسمه بالايجابية التي افتقر إليها البطل الرومانسي"([4])، وبذلك فإن السيرة الشعبية

---

[1]. أبو السعود، عطيات (2001م)، الوعي التاريخي بين الماضي والمستقبل، مجلة عالم الفكر، المجلد 29، العدد 4، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص92.

[2]. أنظر. سرحان، نمر (1988م)، الحكاية الشعبية الفلسطينية، ط2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص26.

[3]. لوليدي، يونس (2001م)، الأسطورة الإغريقية والمسرح، مجلة عالم الفكر، المجلد29، العدد4، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص261.

[4]. أنظر. عبد الهادي، فيحاء (1997م)، نماذج المرأة / البطل في الرواية الفلسطينية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص28.

قد عززت ظهور البطل الخارق الذي له القدرة على تحقيق العدالة والاستقرار، وما يجيش في نفوس الجماهير من أحلام وأمنيات عظيمة.

لقد جاء البطل في المسرحية المستمدة من السيرة الشعبية خارقاً، وقد ولد ضمن ظروف لا يقبلها العقل، إذ نشأ خارج قومه وظهرت ملامح البطولة عليه منذ طفولته كما أنه مؤيد بقوى غيبية، وقد اعتمدت السير الشعبية على الشعر كعنصر تعبير مهم حيث جاء على لسان بطل السيرة نفسه، والذي يقول الشعر في أحلك اللحظات وأدقها عند مواجهة الخصم أو القوى القدرية، ويأتي الشعر مزيجاً بين الفصحى والعامية إذ أن للشعر تأثيراً كبيراً على المتلقي العربي من حيث الإيقاع والموسيقى، وهو ما تألفه حاسة السمع، كما أنه يعطي معان أكثر عمقاً، وهو يستخدم كدليل لا يقبل النقض على صحة مضمونها وصدق أحداثها وواقعية شخوصها ([1]).

إن النظرة الشعبية للبطل بوصفه مخلوقاً غير عادي هي التي جعلت أبناء الشعب يصورون حياته من يوم ولادته إلى يوم وفاته تصويراً فيه كثير من الخيال، ثم أخذ يمدحه بالأناشيد والأغاني حتى تكونت حوله القصص والملاحم التي جعلت منه بطلا خالدا، وعند التدقيق بالصفات والمزايا التي تجمع بين البطل الأسطوري والبطل الشعبي نجد الاتفاق بينهما واضحا، " فالبطل الأسطوري الذي تساعده الآلهة يقابله الشعبي الذي يقوم بالأعمال الخارقة بمساعدة السحرة أو الحيوانات الناطقة أو العمالقة أو الأقزام، فيكون الحظ إلى جانبه نتيجة هذه المساندة، وليس هذا التشابه بغريب؛ فالحكاية الخرافية ليست إلا الابنة الشرعية للأسطورة، وإن ظهرت في صورة أكثر تعقيداً، فما ذاك إلا لأنها تعكس تعقد الحياة وتطورها " ([2])، وهكذا فإن الاختلاف الظاهري يكمن في كون البطل الأسطوري من الآلهة وأشباه الآلهة، بينما الشعبي هو إنسان، بكل ما تحمل الكلمة من معنى، مهما كانت قدرته، ونظرا لما يحققه من انتصارات في نهاية الأمر فإن ذلك يجعله مختلفا عن البطل التراجيدي الذي تكون الهزيمة من نصيبه في نهاية المطاف.

إن البطل الأسطوري هو بطل موضوعي أكثر منه ذاتي لأن علماء الأنثروبولوجيا لا ينظرون إلى الأسطورة من خلال الفرد كما يفعل علماء النفس، بل من خلال علاقتها بالطقوس التي تشكل الجهاز العصبي لحياة الجماعة، وإذا كانت مهمة البطل في الأسطورة هو الوصول إلى مصاف الآلهة، فإن صفاته الإنسانية تشده إلى ما هو أرضي، ويعد الإله البطل مغايرا للنصف إله، وكذلك البطل الذي يحتوي تكوينه قدرا من الألوهية وقدرا من الإنسانية هو ليس البطل الإنسان في الأساطير المتأخرة ([3])، ويمكن القول أن الأدب عند الكلاسيكيين القدماء لم يقدم أبطاله في أوضاعهم البشرية، بل حاول التجاوز بهم إلى مرتبة المثال، ليقف

---

[1]. أنظر. الزيود، مخلد نصير (2004م)، البطل التراجيدي في القصص والموروث الشعبي العربي، بحث علمي مقدم للمؤتمر الرابع للفن العربي المعاصر، جامعة اليرموك، اربد، من 23- 25 تشرين الثاني 2004م، ص12.

[2]. أنظر. سرحان، نمر، الحكاية الشعبية الفلسطينية، ص (26. 27).

[3]. أنظر. السعدي، يوسف رشيد (1997م)، التكوين الفني والفكري للبطل في المسرحية العراقية، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، بغداد، ص 101.

أبناء الجنس البشري أمامهم عاجزين عن تقليدهم واللحاق بهم نظرا لما يتمتعوا به من قدرات وشجاعة استثنائية.

لقد تحول البناء الفني والفكري للبطل في الكلاسيكية الجديدة، فقدمت أبطالا من البشر العاديين وليسوا من الآلهة كما جاء عند الكلاسيكيين القدماء، وإذا كان الصراع في الكلاسيكية القديمة صراعا قدريا يقوم به البطل مع الآلهة، فإن الصراع في الكلاسيكية الجديدة هو صراع بين الحب والواجب، " أما أهم ما اتصف به الكلاسيون وميزهم عن سواهم من ممثلي الفئات العليا وجعلهم خطوة تقدمية مهمة بالنسبة لعصرهم فهو الروح العقلانية التي نلمسها في أعمالهم، وحبهم الشديد للمعرفة، وقد ساعد على ذلك ترسيخ الروح العلمية إلى حد ما في فرنسا آنذاك، وانتشار فلسفات ديكارت وهوبز وسبينوزا، والدعوة إلى الدراسة العلمية الموضوعية للكون، ومحاولة تحديد العلاقة بين ما هو ذاتي وما هو عام، وبين مصير الشخصية والدولة والواجب الاجتماعي"([1])، لذلك نجد أن الكلاسيكيين الجدد يقدمون أبطالا لهم من القدرة على حل المشكلات الاجتماعية المعقدة، وهم ينطلقون في ذلك من خياراتهم الأدبية المعبرة عن مصائر الأمم وقضاياهم معتمدين على العلم والمعرفة في وضع الحلول للمشكلات.

ولم يكن التحول في صورة البطل بمعزل عن الاتجاهات والمذاهب المسرحية الحديثة والمعاصرة، فقد " أعلنت الدراما الحديثة موت التراجيديا وبالتالي تغيير في مكونات البطل، ولم يمنع ذلك من بقاء العناصر الفنية المكونة له مثل: الصراع غير المتكافئ، النهاية المأساوية، الفعل المأساوي والسمو على مستوى الأشخاص والأخلاق، التوافق بين البطل وسلوكه، وحرية الإرادة في فعل الفعل، فالإرادة البشرية هي المسئولة عن تقرير مصير البطل"([2])، لذلك نجد كاتبا مثل (بيير كورنيه) قد اختار أبطالا ممن يتحلون بقوة الإرادة وذلك حتى يكون لهم موقفهم القوي نحو المصائب والشدائد، وهو بذلك إنما يسمو بشخصياته سموا غير عادي متجاوزا بهم نحو الصمود والتحدي.

وقد عارض الرومانسيون الكلاسيكية، وذهبوا إلى تأكيد العودة إلى الطبيعة، والإعلاء من شأن الخيال مؤكدين على دور الحس والعاطفة أكثر من العقل والمنطق، لذلك نجد أن الرومانسية تقدم قصصا خيالية عبر تصوير مثير للانفعال ، وهي تعتمد من خلال بناء الأحداث على تقديم قصص الفروسية والمغامرة والحب، ولا يتردد أتباعها بالخروج على القواعد والمعايير المتعارف عليها، فهم يرفضون مثلا الوحدات الثلاث التي تحدث عنها الكلاسيكيون، أما البطل الرومانسي فهو " ثائر ومحب، متمرد على محيطه، ينظر إلى المجتمع من خلال مشكلته الخاصة وهو على العكس من البطل الشعبي، ونتيجة للعداء المستحكم بين البطل الرومانسي وواقعه تنشأ صفة التحقير في تصرفاته ازاء نفسه، وهذا البطل هو صورة للبطل الثوري الذي يحفل بالسوداوية والكآبة والكرب والتهيج النفسي والشعوري"([3])، ورغم أنه يسعى إلى تغيير العالم

[1]. حاتم، عماد (1979م)، مدخل إلى تاريخ الاداب الأوروبية، ليبيا . تونس، الدار العربية للكتاب، ص175.

[2]. أنظر. السعدي، بوسف رشيد، التكوين الفني والفكري للبطل في المسرحية العراقية، ص102.

[3]. أنظر. المصدر نفسه، ص (103. 104).

معتمدا على قوته الخاصة إلا أنه يكتشف في النهاية عجزه عن تحقيق هدفه، ورغم ذلك نجده يستمتع بمعاناته التي يعيشها، ويسعى جاهدا للتعرف على مصدر تلك المعاناة لكنه يفشل في النهاية.

وحينما نشأت الواقعية كانت نشأتها نتيجة لرد الفعل على العوالم المثالية عند الرومانسيين، وقد اهتم روادها بالتصوير التفصيلي للعالم عبر إعادة صياغة الحياة بكل ما تنطوي عليه من حقيقة، ولكن بزاوية أكثر إنتاجية وتميل إلى التغيير، وقد " ركز الواقعيون انتباههم على الوجه الاجتماعي، أي على صلات الفرد بمجتمعه .وليس لأبطال مؤلفات الواقعيين أي شأن بطولي، فهم على عكس ذلك، كائناتٌ بشرية مألوفة يتلقفها شَرك الأمور اليومية، بكل ما تشتمل عليه من شؤون مبتذلة ومأساوية، وقد عولج هذا الوضع علاجاً جدياً، للمرة الأولى ويؤخذُ أيضاً بعد الأشخاص السيكولوجي مأخذاً رصيناً "([1])، وبذلك كان للواقعية دورها في إظهار إنسانية الإنسان من خلال محاربتها للرموز الميتافيزيقية والخرافات، والأيديولوجيات الخادعة، والعواطف الغامضة، فقدّم الواقعيون الإنسان والأشياء على ما هم عليه، وصوروا الحياة بكل ما فيها.

إن صفة الايجابية تتضح في فاعلية بطل الواقعية الاشتراكية أكثر من البطل الذي قدمته الواقعية النقدية، إلا أن المنحى الواضح في اشتغال الواقعيين هو إنزالهم البطل من الأبراج المثالية العليا التي وضعه فيها الرومانسيون، وصوروه فوق الأرض التي يعيش عليها من خلال علاقاته واحتكاكه اليومي بالآخرين، مما فرض تنوعا كبيرا في الموضوعات التي تناولوها، واستناداً إلى أسلوب الكاتب والموضوع الذي يختاره يتحدد مفهوم المثالي والبطولي لدى الكاتب الواقعي، لكنه يظل يُعنى بتقديم صورة صادقة للصراع بين بطل إيجابي يهدف إلى التغيير،" وقد نُعِتَ ذلك الايجابي بالمتمرد الذي يريد خلق مجتمع جديد من خلال تفاعله مع مجتمعه والقوى المنتجة خلاله، بينما عده (كوديل) نتاجاً لبيئة يكون تأثيره عليها أكثر من تأثيرها عليه، بحيث يسيطر على الأحداث ويوجهها، وهي بطولة تتحدد وفق الظروف التي يخلق فيها ذلك الإنسان، وما يتوفر به من خصال، ومن هذا التفاعل بين الوراثة والبيئة يخلق البطل الإيجابي " ([2])، وبما أن البطولة تهدف إلى تحقيق هدف نبيل فإنها تخلق من التفاعل الجاد والخلّاق مع الواقع، لتشكل بذلك بطولة نسبية لدى هذا البطل الذي تشكل نتيجة لموقف الواقعيين الذين توصلوا من خلال رؤاهم الفكرية إلى أن للظروف الاجتماعية تأثير على مصائر الشخصيات، فالإنسان هنا هو نتاج عصره وهو لم يعد ألعوبة للقوى الغيبية التي تصنع به ما تشاء.

أما الرمزية فقد ارتبطت بعالم الماهيات الخفية مؤكدة أن عالمنا الواقعي ما هو إلا انعكاس للعالم الغيبي الخفي الذي لا يمكن بلوغه عن طريق الرموز التي يصوغها حدس الفنان لا عن طريق العقل الإنساني، وكان الرمزيون يرون " بأن المؤلف الفني الحق يجب أن يخفي وراء مضمونة المحدد شيئاً أعمق بكثير. وهكذا أبدلوا الشخصية التي تعبر عن مظهر محدد واحد بالرمز الفني المشتمل على عدد من المعاني"([3])، وأكدوا أن الفن يحقق مهمته عن طريق الإيحاء والتلميح، لا من خلال التقرير والتصريح، ويمكن القول أن

---

[1]. . مجموعة من المؤلفين (2013م)، تاريخ الآداب الأوروبية، ج3، دمشق، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، ص8.

[2]. أنظر. . الهواري، أحمد إبراهيم (1979م)، البطل المعاصر في الرواية المصرية، مصر، دار المعارف، ص (23-24).

[3]. حاتم، عماد، مدخل إلى تاريخ الآداب الأوروبية، ص395.

آراء (زيجموند فرويد) حول الدوافع الإنسانية والحياة الشعورية واللاشعورية التي عصفت بأركان الشخصية الإنسانية، قد أثرت في بناء الشخصية في المسرح الرمزي.

إن البطل عند الرمزيين هو بطل مستكين، ضعيف الإرادة، ليس له القدرة على التطور وليس له حدود واضحة، ويتسم بالعمومية التي تجعل منه أحيانا ممثلا للوعي الجمعي، أو أنه يمثل شريحة كما هو الحال في مسرحية (بيرجنت) لأبسن، وهو يتحرك كنتاج لمخيلة سوداوية مغرقة بالذاتية المثالية التي تقذف به ضمن فعل دائري ينطوي على رموز قابلة للتأويل، وهو بطل يقترن عنده المطلق بالغائب فلسفيا ويؤدي ذلك بالفعل إلى نهايات مفتوحة، إنه بطل ليس له موقف واضح وإنما يبعث على اتخاذ موقف، ورغم أنه لا يتطور بشكل واضح إلا أن ترتيب مساره في الحدث يبعث على التأمل([1])، ويبقى البطل الرمزي محكوما للقدر والمجهول ، حيث تسيطر عليه صفة القدرية التي تؤدي إلى سكونه فلا يمتلك بعد ذلك القدرة على المواجهة أو التحرر.

أما التعبيرية فقد ركزت على تقديم شخصية رئيسية محورية " تعاني أزمة روحية أو ذهنية أو نفسية، على أن نرى البيئة والناس في المسرحية من خلال نظرة تلك الشخصية الرئيسية إليهما "([2])، وهي عرضة للتحولات المفاجئة التي تؤثر في حركة الحدث والصراع، وذلك بفعل تغير الزمان والمكان والسياق المنطقي للإحداث لإبراز حالة الإنسان المعاصر على حقيقتها.

ويفتقد البطل عند التعبيريين للأبعاد المتعارف عليها للشخصية في المسرح الواقعي، فهو شخصية حلمية مقطوعة الجذور، فنحن نجهل كثيرا من الأبعاد المتعلقة بشخصية (يانك) في مسرحية (القرد الكثيف الشعر) لـ (أونيل)، وشخصية (الغريب) في مسرحية (ثلاثية الطريق إلى دمشق) لـ (سترندبرج)، فالبطل التعبيري يأتي انعكاسا كاريكاتوريا للمشكلة النفسية العميقة وللمعاناة التي يعيشها الإنسان، ونتيجة لتأثير نظريات الفلسفة وعلم النفس، فقد اتجه التعبيريون إلى تقديم الأبطال ضمن حركتهم بين الذاتي والموضوعي، " ولكي يكشف لنا الكتاب التعبيريون العالم الداخلي للشخصية فقد أحبوا استخدام تكنيك المناجاة والمونولوج حتى تستطيع الشخصية أن تعبر عما يجول بخاطرها "([3])، وهذه التقنية تساعد على فضح الذات بالنسبة للبطل، وخروج الشخصية عن طبيعتها الاجتماعية في التعبير عن همومها ومعاناتها، أما الشخصيات الأخرى فهي أشبه ما تكون بالشخصيات المساعدة، ويبرز دورها في تسهيل الحدث وتوضيحه وتعميق المعانتين الداخلية والخارجية للبطل.

ومع ظهور نظرية المسرح الملحمي من خلال المخرج الألماني (برتولد بريخت) تم التركيز على مسرحة القضايا السياسية والاقتصادية الملحة، وقد قدم بريخت من خلال مسرحه مفهومه حول التغريب والذي يعني " أن تفقد الحادثة أو الشخصية كل ما هو بديهي ومألوف وواضح، بالإضافة إلى إثارة الدهشة والفضول بسبب

---

[1]. أنظر. السعدي، يوسف رشيد، التكوين الفني والفكري للبطل في المسرحية العراقية، ص (105. 106).

[2]. خشبة، دريني (1961م)، أشهر المذاهب المسرحية، القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، ص212.

[3]. عبد الوهاب، فاروق، (1964م)، المذهب التعبيري في المسرح، مجلة المسرح، العدد 8، القاهرة، مسرح الحكيم، ص50.

الحادثة نفسها"([1])، فكان هدفه في مسرحه هو تغليب الفكر والعقل على إثارة العاطفة من خلال شخصيات تنتمي إلى مجتمع طبقي يحكم سلوكها وتفاعلها وتصرفاتها الاجتماعية.

لذلك نجده قد اختار شخصياته من شرائح وطبقات اجتماعية متعددة، وقدمها ضمن ظروفها المحيطة "وفق نسبية تاريخية لا تسمح مطلقاً بأن تكون امتداداً لشخصيات معاصرة، وهو بهذا يلغي تماماً أزلية الملامح الاجتماعية المعاصرة على أنها تركة وإرث إنساني من عمق التاريخ وغير قابل للتغيير، وقد اسقط من حساباته أن تكون الشخصية بؤرة استقطاب حيث صورها بفرديتها في موقعها المحدد لها الذي لا يمكن أن تشغله أية شخصية سواها بحكم انتمائها إلى ظرفها الذاتي والموضوعي والمرحلي"([2])، أما البطل فقد ظهر بوصفه بطلا شعبيا ارتبط تحوله بالمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية، حيث يقدم أفكاره من خلال عرض مجموعة من الأحداث التي تقوم فيما بينها على التناقض، ويظهر هذا البطل مغتربا إذ ينتقل بالشخصية من الذات الإنسانية الأنموذج التي يظهر معها التاريخ الإنساني تاريخا مغتربا في الوقت الحالي، والهدف من ذلك أحداث التأثير المطلوب في المتلقي.

. إجراءات البحث: صورة البطل المقاوم في النص المسرحي الفلسطيني:

ارتبط مفهوم البطل المقاوم في عقلية الإنسان العربي منذ بدايات القرن العشرين حينما بدأ يبحث عن التحرر من الاستعمار، ثم ترسخ هذا المفهوم سياسيا وثقافيا عند الشعوب العربية حينما برز احتلال فلسطين من قبل العدو الصهيوني ليأخذ صيغته من خلال الأدب المقاوم جنبا إلى جنب مع المقاومة العسكرية، " وكانت صورة البطولة والترميز إليها أو الخطاب الصريح والمباشر بمعانيها وتجاربها من التاريخ العربي، أو التبشير بها على الرغم من نزف جروح الذات القومية، هي الأكثر ظهوراً في شعر المقاومة من التصدي للعدوان الأجنبي أو احتلاله ونداء الثورة والتحرير والاستقلال والجلاء، إلى إرادة حمل السلاح بأشكاله المتاحة، إلى إشاعة تقاليد مواجهة العدو الخارجي والداخلي في آن معاً، إلى تمجيد فعل البطولة ولرموز أبطاله وتصليب روحيتها في الوجدان الشعبي والوطني والإنساني العام والخاص، من خلال المنظومات القيمية القومية والوطنية بطوابعها الإنسانية العميقة والشاملة.."([3])، وبذلك فقد شكلت حركة المقاومة معيارا حقيقيا لتضحية أبناء فلسطين التي أصبحت في الوقت نفسه نقطة استقطاب لأحرار الأمة ومناضليها.

وأخذ البطل المقاوم صورة مشرقة حينما غلب المصلحة العليا على مصلحته الشخصية، وبات يبحث عن حرية شعبه وتخليصه مما يعانيه من صنوف القهر والاضطهاد على يد المحتل الصهيوني، فاستقر هذا البطل في الوجدان الشعبي رمزا لكل الأحرار في العالم، " ومث هذا النوع من المقاومة يتخذ شكله الرائد في العمل السياسي والعمل الثقافي، ويشكل هذان العملان المترافقان، اللذان يكمل أحدهما الآخر، الأرض

[1]. بريخت، برتولد (د. ت)، نظرية المسرح الملحمي، ترجمة. جميل نصيف التكريتي، بيروت، عالم المعرفة، ص125.124.

[2]. أنظر. الأعرجي، سلام مهدي (1989م)، كيفية فهم منهج بريخت من قبل المؤلف والمخرج في المسرح العراقي؟، (رسالة ماجستير غير منشورة)، بغداد، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ص (24.23)

[3]. أبو هيف، عبد الله، وآخرون (2004م)، الابداع والرؤى في تجربة زياد ذيبان الفلسفية والشعرية، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ص10.

الخصبة التي تستولد المقاومة المسلحة وتحتضنها وتضمن استمرار مسيرتها وتحيطها بالضمانات. ومن هنا فإن الشكل الثقافي في المقاومة يطرح أهمية قصوى ليست أبدا أقل قيمة من المقاومة المسلحة ذاتها، وبالتالي فإن رصدها واستقصاءها وكشف أعماقها تظل ضرورة لا غنى عنها لفهم الأرض التي ترتكز عليها بنادق الكفاح المسلح "([1])، وبالتالي فإن أدب المقاومة هو أدب يرسخ الوعي بالآخر وبأساليبه الوحشية التي يمارسها، ويعزز في الوقت نفسه الوعي بالذات والهوية عند الشعب المعتدى عليه، ضمن بنية فنية تتسم بقوة العاطفة النابعة من الإيمان بالقضية التي يدافع عنها، حيث يركن إلى الصدق والإخلاص والمباشرة في الأسلوب لينفذ إلى قلب أكبر عدد ممكن من الأفراد في سبيل احداث التأثير فيهم.

وفي ضوء ما تعرض له الشعب الفلسطيني من قتل وتهجير عن وطنه، كان لا بد من ظهور المقاومة بأشكالها المتعددة، والتي أخذت على عاتقها تحرير الأرض والإنسان، وظهر البطل المقاوم الذي أخذ يعبر عن إرادة الحياة والطموح لتحقيق حضور حر ومستقل، وشكل الأدب والأنساق الثقافية الأخرى مرتكزا هاما في الفعل الفلسطيني المقاوم، حيث انصرف عدد من الشعراء والأدباء للكتابة في مجال الأدب المقاوم فأنتجوا آثارا خالدة عبرت عن القيم العليا للنضال الشعبي الفلسطيني، " وكانت الصورة التي برزت عليها صورة المناضل الفلسطيني هي صورة الفدائي الذي يولد مع الشعب بكل معاناته وآلامه وبكل خبرته ووعيه، فغدت صورة الفدائي اقرب إلى الرجل العادي الذي نشأ وسط أكواخ المخيمات، في مجتمع يسوده البؤس والفقر، ولم يكن بطلاً أسطوريا وتمثالاً جامداً، بل إنسان صاحب قضية يعي أبعادها تماماً وقد اكتشف الطريق الذي يوصله إلى تحقيق أهدافه لاسترجاع حقه "([2]). وسوف يتناول الباحثان صورة البطل المقاوم في النص المسرحي الفلسطيني من خلال:

أولا: صورة البطل المقاوم في مسرحية الباب لغسان كنفاني:

كان للواقع الفلسطيني دوره في بناء الأحداث والشخصيات في مسرحيات (غسان كنفاني)، حيث قدم نماذج عديدة تمثل فئات متعددة من الشعب الفلسطيني، فهناك أنموذج الأب والأم والجد والفلاح والبرجوازي والمقاوم وغيرهم.. ورغم كثرة النماذج التي قدمها (كنفاني) إلا أننا لا بد وأن نضع أيدينا على أنموذج البطل الفلسطيني المقاوم المعبر عن واقع القضية وأحداثها المأساوية.

لقد تمكن غسان من إعطاء المعاناة الفلسطينية ملامح تاريخية مركبة وامتدادات فلسفية تدور حول أسئلة وجودية تتعلق بالمصير والإرادة وقدرة الإنسان على التدخل في اللحظة الحاسمة لتقرير مصيره الفردي والعام متجاوزا كل أساليب القمع والتقييد، وقد تمكن من خلال الغوص في أعماق المأساة الفلسطينية والكتابة عن جوهرها، من جعل الفلسطينيين وسيلة للتعبير عن معاناة البشر جميعاً، ومن هنا نجد أن كنفاني قد قاد الفلسطيني من " فضاء التجريد إلى أرض التحديد، والذي لا بالمفهوم المباشر التنميطي، بل بمفهوم نقل الفلسطيني من صورة البطل المبهم الغائم الملامح، المؤسطر، إلى صورة

---

[1]. كنفاني، غسان (1977م)، الآثار الكاملة .الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948. 1968م، ط1، المجلد الرابع، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ص (203. 204).

[2]. العشري، احمد (1983م)، المسرحية السياسية في الوطن العربي، القاهرة، دار المعارف، ص 49.

الشخصية التي تتحرك ضمن حيز من التاريخ الشخصي، السياسي والاجتماعي والنفساني، فضلًا عن التاريخ الجماعي. وهذا الأخير تبدّى، على يدي كنفاني، في صيغة ذاكرة حافلة مركبة أكثر من صيغة السجل التنميطي"([1])، وهذا الأمر هو إثبات على أن كنفاني قد سعى ومنذ بدياته الأدبية إلى خلق ثقافة أخرى مغايرة تتخذ من النضال والكفاح عنوانا لها، وهو بذلك إنا يعبر عن ادراكه الواعي لحركية الواقع وما يجب اتخاذه من مواقف نحوه لتغييره.

وقد رسخ كنفاني من خلال كتاباته أسس ولادة البطل الفلسطيني المقاوم الذي يعي أسباب نكبته، والذي يمكن أن يكون الشاهد على عري عصره، وارتجاج موازين القيم وسيطرة أجواء الاستلاب عليه تحت وطأة القمع، وذهب (القاسم) إلى أن البطل عند (كنفاني) قد مر بمراحل متعددة يمكن إجمالها في ثلاث مراحل رئيسة جاءت موازية للمسار الاجتماعي للشعب الفلسطيني منذ النكبة وحتى مرحلة ما بعد التشرد ، وهذه المراحل الثلاث هي ([2]):

الأولى: مرحلة ظهور البطل المنفي المعذب الذي ينعطف إلى الوراء، والتي امتدت بين عامي (1956-1959م)، وقد سميت هذه المرحلة بمرحلة الذهول والصراخ، الذهول أمام احتلال للوطن، المفاجأة المرعبة، الهروب السريع، المقاومة التي انطفأت، ثم الواقع المستجد بكل تعاسته وآلامه.

الثانية : وهي مرحلة البطل المنفي الذي ينعطف إلى الأمام، وقد سميت تلك المرحلة بمرحلة السؤال وبداية الفعل.

والثالثة : هي مرحلة ظهور البطل الثوري، وقد بدأت بوادرها منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية عام 1965م حتى استشهاد (غسان) عام 1972م في بيروت أثر حادث تفجير مدبر من قبل جهاز الموساد الإسرائيلي([3])، وقد تركزت جهود كنفاني في هذه المرحلة على تأكيد الكفاح المسلح في التعامل مع العدو، حيث ظهر في كتاباته التي كتبها بعد نكسة حزيران مقدار إيمانه بأن تحرير فلسطين لا يمكن أن يتم إلا بالنضال الثوري، مما عزز من ظهور البطل الثوري الخالص في كتاباته، والذي عبر من خلال وعيه الأيديولوجي عن مأساة الجماعة التي هو جزء منها، وأهلته حالة الوعي الفكري التي يتمتع بها لتعبئة الجماهير وإقناعها بالتصدي للعدو ومواجهته

وفي مسرحية (الباب) تشكلت صورة البطل المقاوم واضحة من خلال قيم التحدي التي ارتبطت بالإنسان الفلسطيني الذي بعيش حياته تحت نير الاحتلال، وقد ارتكز في كتابتها على أسطورة عربية قديمة حيث تزامن ظهورها مع ظهور روايته (رجال في الشمس) التي تناولت قضية مهمة في حياة الفلسطينيين والعرب

---

[1] أنظر. أبو الغزلان، هيثم محمد (2016م)، غسان كنفاني والرواية الفلسطينية، مجلة الدعوة الإسلامية، السنة الخامسة عشر.. العدد 172، لبنان، تجمع العلماء المسلمين في لبنان، ص15.

[2] . أنظر. القاسم، أفنان (1978م)، غسان كنفاني: البنية الروائية لمسار الشعب الفلسطيني من البطل المنفي إلى البطل الثوري، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية للطباعة، ص47.

[3] . أنظر. المصدر نفسه، ص (47 . 49).

- وأنظر. عباس، إحسان، وآخرون (1974م)، غسان كنفاني إنساناً وأديبا ومناضلاً ، بيروت، منشورات الإتحاد، ص (93. 104).

هي قضية الموت بوصفه يشكل أساساً للتحرر والاستقلال، وقد عرض كنفاني في مسرحيته وبأسلوب رمزي صوراً من المجابهة الجماعية التي تتوارثها ثلاثة أجيال متعاقبة هي جيل الجد (عاد)، وجيل الابن (شداد)، وجيل الحفيد (مرثد)، وكلهم يصّرون على رفض الطاعة والخنوع، ويقررون مجابهة الإله (هبا)، الذي هو إله من آلهة قبيلة (عاد) الثلاثة (صدا، هبا، صمود) والذي سلبهم مدينة (ارم)، ويمكن القول أن ما يلفت النظر في مسرحيات كنفاني أنها لا تذكر فلسطين، أو اسما لمكان فلسطيني كما عهدناه في كتاباته الأدبية الأخرى، وإنما يظهر ذلك على نحو رمزي أحيانا، وتجريدي أحيانا أخرى، وهكذا فإن (ارم) هي رمز لفلسطين التي سلبها المحتل، والأجيال الثلاثة المتعاقبة من الملوك هي رموز لاستمرارية المقاومة لذلك المحتل .

وبالعودة إلى الأسطورة العربية القديمة، يذكر المؤرخون أن (عادا) كان ملكاً لقبيلة تسكن الأحقاف، وقد أصاب قبيلته القحط الشديد بسبب إلحادها، فأرسل عاد وفداً إلى مكة فيه (قيل) و (لقمان) ليستسقوا الماء للأحقاف، إلا أن الوفد الذي نزل ضيفا على(معاوية بن بكر) في ظاهر مكة، نسي مهمته طرباُ في غناء جاريتين تدعيان (الجرادتين)، فدفع معاوية جاريتيه ليذكرا الوفد - من خلال غنائهما- بمهمته، وحينما يستسقي الوفد تحل في السماء ثلاث غيمات، حمراء وسوداء وصفراء.. الخ، وبعد وفاة عاد يرث الحكم ولده (شديد) الذي ما يلبث أن يموت ثم يستلم الحكم بعده (شداد) الذي يقوم ببناء مدينة (ارم ذات العماد)، ولكنه لا يستطيع دخولها بسبب غضب الآلهة، وحينما يصر على ذلك تأخذه أصوات من السماء فيموت وتتهاوى ارم ([1]).

وضمن هذا الاختيار العبثي تتحرك شخصيات الملوك في الحكايات الثلاث، لكن المنتصر دومًا في المعارك هو الإله، ومن خلال معالجة (كنفاني) للأسطورة في مسرحيته بشيء من التصرف، نجده يعبر عن مغزاه السياسي، وما يهمنا هنا هو رصد صورة البطل المقاوم في مسرحيته والتي يغلب عليها المقاومة الجسدية. ومنذ البداية يظهر رجلان في خلاء صحراوي هما: (قيل) رئيس وفد عاد لاستسقاء ماء الحجاز، وصديقه (رعد)، حيث يتبادلان الحديث حول هيامهما بغناء الجاريتين الذي يشبهه (رعد) بأنه مثل أناشيد الآلهة، مما كان له الأثر في انشغالهما عن استسقاء (آلهة مكة)، التي لجأ إليها (عاد)، والتي ترمز هنا إلى القوى العربية، ولكي ينقذا الأحقاف من الجفاف فإنهما يقومان باستسقاء آلهة قبيلة عاد، مخالفين بذلك رغبات ملكهم الذي رفض عطاء الآلهة لأنه يمثل قوى الاستغلال أو الاستعمار التي تعد بالعطاء مقابل إذلال الناس :

" رعد : تراه لو علم بأننا استسقينا صدا وصمود وهبا بدل آلهة مكة التي التجأ إليها، أكان يغفر لنا ذلك ؟.

قيل : ومن أين سيعلم ؟

---

[1]. أنظر. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (1987م)، مجمع الأمثال، ج 1، تحقيق. محمد أبو الفضل ابراهيم، ط2، بيروت، دار الجيل، ص232.

وأنظر. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (1998م)، تاريخ الأمم والملوك والرسل، ج1، تحقيق عبد الأمير مهنا، ط1، بيروت، منشورات الأعلمي للمطبوعات، ص161.

رعد : لست أدري! ولكنه أرسلنا نستسقي آلهة مكة الماء، ولم يرسلنا نتوسل لآلهتنا. أنت أعلم مني عن مدى كرهه لها.. أنت أعلم مني بكل أفكار عاد.. لماذا، تراه، هجر المعبد ودعا الناس إلى هجر (هبا) ؟

قيل: أنه يعتقد بأن الإله يجب أن يسقي شعبه، لقد قال لي بأن الخطيئة، أية خطيئة، يجب أن لا تدفع الإله – عفو هبا! – إلى الانتقام بأن يقتل البنات ويجفف الضروع ويزرع الجوع..

رعد : ولماذا لم يطلب غفران هبا فيعطيه الماء ؟

قيل : أنت تعرف لماذا... إنه يعتقد أن طلب الغفران ذل.."([1]).

وحينما يعلم عاد بأن الوفد الذي أرسله إلى مكة قد استسقى هبا، ينتفض غاضباً معلناً رفضه ومواجهته للإله بحالة من التحدي، وقد جاء بشأن هذا الملك حكايات أسطورية عدة حيث ذكر أنه قد " كان رجلا جبارا، وقد عمر ألف سنة ومائتي سنة أخرى، وكان يعبد القمر، وأنه تزوج ألف امرأة ورأى من صلبه أربعة آلاف ولدا، وقد بسط نفوذ ملكه على بلاد الأحقاف، وهي بلاد تتصل باليمن وعمان وحضرموت وتشرف على الصحراء "([2])، حيث يعلن أنه سينازله رافضا عطاياه، يقول عاد:

" عاد: (...) لست أريد ماءك ولا خيرك.. حملت إلي غيومك.. الموت بالسوداء، والدم بالحمراء.. والطاعة بالصفراء.. ولكنني لا أريد الطاعة ولا أريد الماء..

قيل: (صائحاً بعاد) الماء . . الماء الماء الذي سيسقي مراعيك ويخصب أرضك . .

عاد: مقابل ماذا ؟ مقابل ماذا ؟ (يصيح) الذل ! الطاعة ! الخوف ! لا، لا أريد الماء بهذا الثمن..

لقمان: إن شعبك يموت..

عاد: الموت أفضل من ذله.. يا قيل.. اختر السحابة السوداء.."([3]).

وحينما يختار عاد الموت، نجد اختياره نابعا من رفضه العيش بذل، لذلك تتبلور لديه حالة التحدي للإله حتى يسقط صريعاً على الأرض، وبموته يتسلم الحكم من بعده (شداد بن عاد)، وهو " شخصية غير مألوفة، وقد ذكر أنه كان ملكا جبارا عمر خمسمائة سنة أو تسعمائة، ويقرن بذي القرنين والإسكندر، ويكفي أنه بنى (إرم ذات العماد) التي تدل على قوته وإرادته وجبروته، إلى حد أنه أراد من مدينته أن تضاهي جنة السماء " ([4])، ومنذ ظهوره الأول يثير شداد الشك والريبة بتصرفاته في نفس أمه، لاسيما حينما يعقد حزامه العريض ويتقلد سيفه ويعد عدته للخروج، وتحاول (الأم) معرفة مبتغاه وما يدور في خلده، بعد أن يثور الخوف والشك في نفسها، فهي دائما تشهد الأحداث بمأساويتها منذ البداية إلى النهاية، يقول شداد مخاطباً أمه:

---

[1]. كنفاني ، غسان (1978م)، المسرحيات – مسرحية الباب، المجلد 3، بيروت، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية ، دار الطليعة للطباعة والنشر، ص 44 .

[2]. أنظر. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (1988م)، مروج الذهب ومعادن الجواهر، ج2، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ص41.

[3]. كنفاني، غسان، المسرحيات . مسرحية الباب، ص (50-51).

[4]. أنظر. عجينة، محمد (1994م)، موسوعة أساطير العرب . عن الجاهلية ودلالاتها، ج2، تونس، العربية محمد علي للنشر والتوزيع، بيروت، دار الفارابي، ص118.

" شداد: استمعي إلي جيداً يا أمي.. استمعي إلي.. إنني لم أبن تلك المدينة لأتركها مأوى للطيور والضباع والخنافس.. هل فكرت يوماً بذلك.. هل تساءلت عن السبب الذي أحرقت به شبابي لأبني ارم ؟ "([1]) .

ومع تسلسل الأحداث يتضح أن شدادا يريد بناء جنته على الأرض ويرفض جنة هبا وبقاء سلطته على ارم، وهو بهذا الموقف يختار المسير على خطى أبيه في مجابهة هبا، وإذا كان شداد قد أطاع هبا منذ نعومة أظفاره بتوجيهات من الأهل كي يدخله الجنة، فإنه قد اختار مقاومته حينما أصبح كبيراً نتيجة لخلافه معه على مدينة ارم التي يمكن لها أن تغنيه عن جنة هبا وتخلصه من طاعته، ولم تنجح الأم في إقناع شداد بالعودة عن قراره رغم علمه بنبوءة الكاهن:

" الأم: (محذرة) الكاهن لم يكذب قط ! ألف مرة تنبأ وألف مرة صدق، لقد قال لك إنك إذا خرجت لارم فستلاقي حتفك على الطريق، ستنبثق من السماء أصوات تفت عظام الجيوش الجرارة وتذروها في الرياح.. إن هبا لن يغفر لك قط كفرك وإنكارك.

شداد: هل تعتقدين أنني أخاف من هبا؟

الأم: أعتقد أنك تخشاه..

شداد: مهما يكن، هذا المحك الأخير! ليس في الأمر ما يخيف، لقد فكرت به شهوراً طويلة مريرة، لقد نمت الفكرة داخلي كما تنمو شجرة الزيتون، (...)، فكرة أن أموت! أن أقاتل هبا وأصواته في الصحراء، وحيداً إلا من سيفي وذراعي، أن أخطو إلى موتي خطوة باسلة وراء خطوة باسلة، أن لا أرتد حتى أزرع في الأرض جنتي أو أقتلع من السماء جنته أو أموت أو نموت معا "([2]).

ومن الملاحظ حالة التفاوت في مستويات البطولة بين البطلين السابقين، فإذا كان عاد قد أعلن رفضه لعطية الإله هبا وللخير الذي يأتي من عنده، وبقى كذلك إلى أن أرسل إليه هبا عاصفة هوجاء فقتلته ، فإن حالة المجابهة عنده قد جاءت أقل منها عند البطل المقاوم الثاني (شداد) الذي أخذ سلاحه واتجه إلى هبا لمواجهته، ورغم إيمانه بقوة هبا وأنه ميت لا محالة، فإن موقفه يأتي نتيجة لقناعاته بأن الموت في ساحة المعركة يبعث على الفخر والاعتزاز أكثر من البقاء في صمت وخنوع والموت موتاً مجانيا.

من هنا نجد أن كنفاني يقدم في مسرحيته بطلين يواجهان الموت، لكن المواجهة هنا متفاوتة، فعاد يعبر عن ثورته بالتمرد والرفض المطلق، لكن شداد يصر على المواجهة الدموية، وهذا ما يؤرخ في حقيقته لتطور حركة النضال الوطني الفلسطيني التي شكل غسان جزءا منها لاسيما إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن عاد قد مثل إلى حد ما مرحلة تحديد المنحى الفكري والإيديولوجي للثورة، وإذا كان لم يسر لمواجهة هبا كما سار ابنه شداد، فإنه هنا قد جاء ليراوح بين مرحلة الانعطاف إلى الوراء عبر الذهول والصراخ، ومرحلة الانعطاف إلى الأمام عبر السؤال وبداية الفعل، لكن شدادا تجاوز عنه بالانعطاف إلى الأمام من خلال قيامه

---

[1] . كنفاني، غسان، المسرحيات . مسرحية الباب ، ص 60.

[2] . المصدر نفسه ، ص (62-63) .

بمنازلة هبا بقوة السيف نتيجة لحالة التحدي التي تبلورت في داخله، بينما يعلن ابنه (مرثد) رفضه لتوجهات الأب:

" مرثد: (...) تريد أن تذهب إلى ارم رغم الموت الذي يربط لك في الطريق؟ حسناً ؟، إننا لا نطالبك بأن تؤمن بهبا لكننا نطالبك بأن تؤمن بحياتك.. أهي شيء بخس إلى هذا الحد ؟ .

شداد: (بعطف) يا بني العزيز! يا مرثد! لقد سئمت! هذا كل ما في الأمر، غداً، حين تكبر، ستعرف ماذا تعني كلمة السأم هذه.. (...)، ألست ترى أن التشاؤم هو الشجاعة ؟ ألست ترى أن التفاؤل هو كذب وهروب وجبن ؟ أنت تعرف أن الحياة قميئة وسيئة، فلماذا تواصل الأمل بها ؟ أنت تعرف أن الجنة التي يعدك بها هبا ليست جديرة بكل هذا العذاب.."([1]).

إن غسان في خياراته المسرحية يبحث عن دلالة الإنسان السوي الذي يرفض أن يسيطر عليه الإحساس بالتشاؤم والسأم من الواقع الذي يعيشه، وهو بذلك إنما يؤكد على الحرية بالنسبة للإنسان الفلسطيني، لذلك نجده يعكس أيديولوجية خاصة يبلور من خلالها أسئلته الفكرية العارمة المرتبطة بحركية وجود الإنسان الفلسطيني وهو يكافح المحتل دون سند خارجي، وإذا كان غسان قد قدم من خلال كتاباته ثقافة أخرى تغاير الثقافة المسيطرة وتنقضها، فإنه قد أراد لها أن تلعب دورا كفاحيا نابعا من ادراكه الواعي للواقع العربي بشكل عام والفلسطيني بشكل خاص، لذلك " تعد مشكلة الحرية أهم المشكلات الإنسانية التي شخصتها مسرحية الباب، وشغلت تفكير عدد من شخصياتها، ولاسيما الشخصيات المحورية وهي عاد وشداد ومرثد، بدرجات متفاوتة، وقد بلغ الإحساس بالضرورة القصوى للحرية لدى شداد أعلى درجة من التحدي واختيار الموت مقابل التحرر من أقدار تكبله، مما يجعل التأمل يذهب إلى وصف شخصية شداد بأنها تجسيد للبطل الوجودي، ويبدو أنه بني على أساس تجسيد بعض القضايا التي يؤمن بها المؤلف ذاته"([2])، لتحيلنا هذه المسرحية إلى عمق المأساة التي عاشها الإنسان الفلسطيني وصراعه اليومي مع المحتل الصهيوني والذي يتعدى حدود الواقع.

إن الحرية التي يبحث عنها غسان هي التي عززت الخلاف بين هبا وشداد بسبب سعيه للسيادة على ارم بعد أن تكون لديه وعي أيديولوجي ألزمه بالعمل على تخليص أرم من سلطة هبا، لكنه لم ينجح في ذلك حيث تهدمت ارم كما لو أحرقتها الصاعقة، ورغم أن الحفيد (مرثد) لم يختر طريقه بعد، إلا أنه سيبدأ على الأغلب بوعي أفضل من سابقيه، إذ سيختار الخيار النضالي، ومما يعزز ذلك قناعاته بأن والده قد ربح المعركة حيا لأنه نفذ إرادته وقاتل هبا ودمر جنته، لذلك فهو يثني على حكمته وشجاعته وخياره في المقاومة، بل ويؤكد أنه سيجعل من المملكة التي سيتولى حكمها جنة، وهو بذلك كأنما يتتبع خطى والده، لاسيما حينما يعلن لجدته أنه يريد أن يصنع جنته بنفسه، مما يثيرها هذا التوجه معلنة أنها تبقى الشاهد الوحيد على صراع الأبطال مع الإله هبا :

---

[1]. المصدر نفسه ، ص (68. 69).

[2].. شعث، أحمد (2010م)، الأسطورة والخطاب الأيديولوجي في مسرحية الباب لغسان كنفاني، مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد 5 ، العدد 1 ، الخليل، ص176.

" الأم: (تقف وتتجه إليه بتوسل) ولكن لماذا يا بني ؟ لماذا هذا السعي إلى الدمار ؟ لماذا هذا السعي إلى الموت.
مرثد: حين كان أبي واقفا هنا يحكي لنا عن جنته كنت أقول لنفسي أن جنة هبا لا بد أن تكون أروع، وإذا كانت أروع ، فمن الطبيعي أن يتركه يكتشف ذلك بنفسه، يتركه يرى كم هي سخيفة الجنة التي يبنيها الإنسان أمام الجنة التي بناها هبا.. ولكنه لم يتركه يكتشف ذلك، (...)، لأنه لا توجد ثمة جنة.. وإذا كانت هناك واحدة فهي لن تعطي التعويض الجدير بعذاب الحياة.. لقد خاف هبا أن يكتشف شداد ذلك!
الأم: إنك تتجه في نفس الطريق.. تبدأ من بدايته التي شادها أبوك، كلا.. البداية التي شادها جدك نفسه"([1]).

وإذا كان المؤلف قد اختار شخصية مرثد، فإنه قد أراد من خلالها التأكيد على استمرارية المقاومة، وولادة البطل المقاوم من خلال الأجيال المتعاقبة، ومثلما تنمو فكرة مجابهة الإله هبا في داخل شداد كما تنمو شجرة الزيتون التي هي رمز للعطاء والديمومة، عادت هذه الفكرة لتنمو عند مرثد أيضاً، الذي يحسد الأم على الاطمئنان والقناعة اللتين تعيش فيهما، تقول الأم مخاطبة مرثد:
" الأم: إنني أشهد البداية دائماً، وأعيش لأشهد النهاية... ودائماً ينتصر هبا، ودائماً تنهزمون.. (...)، إنكم تخسرون دائماً لأنكم تبدؤون، دائماً، من البداية.. أنكم تعطون هبا - بملء إرادتكم - حياته وقوته وسلطانه، وتحسبون أن ذلك جدير بإعطائكم فرصة بناء جناتكم على الأرض.. دون أن تعرفوا بأنكم إنما تحكمون على هذه الجنات بالدمار"([2]).

وبما أن الأم تؤمن بقوة وسطوة هبا وترى أن كل من يفكر بمجابهته، إنما يلقي نفسه في طريق الهلاك الأبدي، فإن سياستها تبقى قائمة على رفض مبدأ المقاومة لأنها لا تجدي، فكل من يقاوم هبا نهايته الموت، وتبقى خيارات الأجيال المتعاقبة المرتبطة بالموت بهدف الدفاع عن الكرامة والإنسانية، فموت يحفظ الكرامة أفضل من حياة بلا كرامة، لذلك نجد الأبطال في كل الحالات تبحث عن الكرامة التي لا يمكن الحصول عليها إلا من خلال الموت البعيد عن المجانية، فالموت بحسب رؤية الأبطال وجه للحياة، والحياة وجه للموت، يقول (شداد):
" شداد: الموت ! الموت ! إنه الاختيار الحقيقي الباقي لنا جميعاً، أنت لا تستطيع أن تختار الحياة لأنها معطاة لك أصلاً... والمعطى لا اختيار فيه.. اختيار الموت هو الاختيار الحقيقي، أن تختاره في الوقت المناسب قبل أن يفرض عليك في الوقت غير المناسب... قبل أن تدفع إليه لسبب من الأسباب التي لا تستطيع أن تختارها كالمرض أو الهزيمة، أو الخوف أو الفقر، إنه المكان الوحيد الباقي للحرية الوحيدة والأخيرة والحقيقية"([3]).

وكلما مات بطل ولد بطل مقاوم جديد، وليس هذا فقط، بل أن شدادا يولد ولادة أخرى في عالم الأموات، وهو عالم من صنع خيال الكاتب، ووفقا لذلك فإن هذه الشخصية تعبر عن إطار فلسفي وجودي، إذ أنه حينما يلتقي شداد برجلين يجلسان في عالم الاموات سرعان ما يجلس بتراخ على مقعد آخر، مرتدياً

[1]. كنفاني، غسان، المسرحيات – مسرحية الباب، ص (81-82) .
[2]. المصدر نفسه، ص (83-84) .
[3]. المصدر نفسه ، ص 71 .

ملابسه التي شوهد بها في بداية المسرحية، وقد ظهرت عتيقة ومهلهلة، كما أنه لا يحمل سيفه لكونه تركه في عالم الأحياء بعد صراعه مع هبا، ويبدأ (الرجل الأول) بمحاولة معرفة السبب الذي يقف وراء موت شداد، حيث يخبره بأن موته قد كان موتاً خاصاً وغريباً، فالموت لم يأته إنما هو الذي جاء به، ولا يتردد شداد هو الآخر عن محاولة معرفة السبب الذي أوصل هذين الرجلين إلى هذا المكان، حيث يجيبه (الرجل الثاني) عنه وعن صديقه بأن السبب يعود نتيجة صراعهما على حب فتاة، ومما يبدو في صدر الغرفة التي يجلسون بها أنه يوجد باب مغلق يدل شكله على مدى ثقله ومتانته، و" يشكل الباب في أدب غسان رمزاً للهزيمة، لكل العوائق التي تقف حائلاً بين الإنسان وبين الفعل. هذا الاستخدام الخاص يلقي مع دلالة الرمز العامة "([1])، فالباب هنا هو مشكلة البطل ومشكلة المسرحية في آن واحد معاً، لكونه يشكل سجناً لشداد في عالم الإله هبا، ورغم ذلك تبقى صفة المقاومة ملازمة لشخصية شداد في عالم الأموات، فهو لا يقاوم وهو حي فقط وإنما يقاوم أيضاً وهو ميت، وهذه الفكرة تتطابق مع معتقد في الفكر الصهيوني، يرى في أن روح الإنسان الفلسطيني المقاوم تبقى تقاوم حتى بعد موته، ومما يدلل على هذه الفكرة هو موقف شداد من هبا حينما يظهر إليه في عالم الأموات.

إن شدادا يتحرر من شخصيته الأسطورية ليقدم شخصية معاصرة ثائرة تطرح قضية تتعلق بالوجود، وهو يجدّ في طلب الموت لكنه لم يرد الوصول إليه تماما، ويشكل كل من عاد وشداد ضحيتين لإله تقليدي يمارس عليهما كل ممارسات الإذلال والتعسف، فكلاهما يعبر عن إرادة واعية لطبيعة الفعل المقاوم الذي يقومان به، ومأساتهما أقرب إلى مأساة البطل الإغريقي، إلا أن درجة مسير كل منهما نحو الموت تتفاوت تفاوتاً ملحوظاً نتيجة للاستعداد النفسي ولطبيعة التكوين الأيديولوجي عند كل منهما.

وإذا كان كل أمل شداد أن ينازل هبا فإنه لم يكن يتصور بأن هبا سيسلط عليه كل قواه، وينفرد به بكل الأسلحة التي لم يتوقعها، لينتهي الأمر به إلى أن يصبح رماداً نتيجة لتأثير عاصفة الصوت التي اقتحمها وهو يبحث عن هبا، وحينما يدخل هبا إلى عالم الأموات نجده يدخل بصورة مغايرة للصورة التي ظهر عليها شداد، إذ يبدو جذاباً قوي الملامح طويل القامة غزير الشعر، وهذا إن دل على شيء فإنما يوحي بالانتصار الذي لازم هبا، وبالهزيمة التي لازمت الشخصيات الأخرى التي تقاومه، لكننا نجد هبا يبرر النهاية المأساوية التي انتهت إليها مدينة ارم حينما يقر بأن المرء حينما يموت إنما تموت أيضاً كل الأشياء المقترنة به، ويرى أن في موت الآخرين وإلغاء وجودهم حياة له، لذلك فهو لم يكن رحيماً في نزاله مع كل من عاد وشداد:

"هبا: أنتم تبدأ حياتكم بالولادة وتنتهي بالموت.. أما أنا فتبدأ حياتي بالموت، وتنتهي بالولادة .

شداد: لقد خلقك الموت.

هبا: لقد خلقت نفسي قدراً حين كان الناس عاجزين عن صنع أقدارهم . .

شداد: ولكنني حاولت أن أصنع قدري بنفسي.. فلماذا لم تتركني ؟.

---

[1] . عبد الهادي ، فيحاء (1987م)، وعد الغد – دراسة في أدب غسان كنفاني ، ط1، عمان، دار الكرمل للنشر والتوزيع، ص 42.

هبا: كيف صنعت قدرك ؟ بأن حققت للناس الأسطورة التي تلهب حياتهم بالأمل والجدوى؟ إنهم يفضلون الاتكاء علي فذلك أدعى إلى راحتهم"([1]).

إن شخصية الإله هبا تأخذ هنا رمزية الاستعمار الذي يحمل الحياة للبشر لكن بشروطه غير الإنسانية، مما يدفع كل من الجد والأب والحفيد إلى خيار المقاومة، حيث تأخذ مقاومة سلطة هبا بعدها الزماني عبر تتابع الأجيال كما يحصل في الثورة والمقاومة، وهذه الاستمرارية تمنح الفعل المسرحي مكاناً أرحب ضمن الأحداث عبر الاستمرارية الواعية لطبيعة المواجهة بين الإله هبا والابن مرثد، ومن الملاحظ أن هبا قد حاول أن يجعل من وجود الشخصيات وجوداً عبثياً، فلا يمكن لها أن تستقل بقراراتها، بل تبقى محكومة للمسار الذي يحدده هو لها، وهذا الواقع يتضح في حديثه عن فكرة المقابل، إذ أنه يرى في أن شداد يريد عن كل شيء يقوم به أن يحصل على تعويض، لذلك فهو يقترح عليه أن يأخذ كرة كبيرة من المطّاط حيث يواظب على قذفها إلى الحائط كي ترتد إليه من جديد مثلها في ذلك مثل صخرة سيزيف، وهذا العمل من شأنه أن يلهي شداد عن محاولاته في اقتحام الباب الذي يظل حائلا دون عودته إلى الحياة، ويبقى خيار المقاومة المتمثل في مرثد قائما، حيث يعبر عنه شداد في مواجهة داخل الغرفة مع الإله هبا حين يؤكد وهو يشير إلى الباب قائلا:

" شداد: لسوف أنهد على الباب حتى أحطمه أو يحطمني.. ولسوف يهدون هم عليه من الخارج.. هم الأحياء، مرثد وابن مرثد وحفيد مرثد، ولسوف نجعله يشف بين أكتافنا حتى يذوب " ([2])، وهذا الموقف يشكل التعبير الثابت والواعي عن خيار المقاومة الأبدي وذلك للوصول إلى الحرية، بينما يبقى الإله هبا يراهن على خيار مقارعة الوعي.

لقد ظهرت على الأبطال الملامح الأسطورية من شجاعة وتحد وإمكانات عالية، فالبطل الأسطوري له صفات خارقة، ويتشابه مع البطل الثوري من حيث دفاعهما عن المبادئ النبيلة حتى الاستشهاد من أجلها، ويرى الباحثان أن كنفاني قد قدم لنا في مسرحية الباب أنموذجين من الأبطال الممثلين للشعب الفلسطيني، حيث فرض طبيعة التكوين الفني والفكري لكل منهما طبيعة المواقف التي اتخذتها الشخصيات من الواقع، وهذان النموذجان هما:

الأول: البطل الإيجابي: وهذا البطل يكون في النهاية هو الضحية، وتظهر إيجابياته من خلال شجاعته ودوره في المقاومة، ومن أمثلته: (عاد) و (شداد)، إذ يختار كل منهما طريق وشكل المواجهة مع الإله، حيث يسيران نحو الموت بخطوات باسلة، ويمكن القول " أن هذا البطل يتشابه في بعض جوانبه مع البطل المنفي الذي يعيش مرحلة انتقالية تاريخية تمتد من عدم الاستقرار الاجتماعي والأيديولوجي، إلى الاستقرار الاجتماعي الأيديولوجي كأول إشارة للفهم الأكثر عمقا للواقع" ([3]) ، لذلك فهو يعبر عن هذا الفهم من خلال اختياره الواعي للمقاومة رغم علمه بالقوة والإمكانات التي يتمتع بها عدوه، وهذا الموقف الذي يقفه البطل الإيجابي

---

[1]. كنفاني، غسان، المسرحيات – مسرحية الباب ، ص 110.

[2]. المصدر نفسه ، ص 119.

[3]. أنظر. القاسم ، أفنان، غسان كنفاني ..، ص 54 .

لا ينفصل عن موقف وفلسفة الكاتب، وإذا كان البطل الإيجابي في مسرحية الباب يرى أن الموت قدرا وليس حتميا، وهو يذهب إلى الموت بحثا عن الانعتاق، فإنه بذلك جاء ليظهر بصورة الذي لا ينعطف إلى الوراء ليموت يائساً مهزوماً، وإنما بصورة الذي ينعطف إلى الأمام ويجدّ في طلب الموت، رغم أنه لا يريده، ولكن يبقى مسيره باتجاه الموت مسير البطل المقاوم الذي يتسم بسمات التضحية والشجاعة.

الثاني : البطل الحيادي / السلبي: وهذا البطل بعيد إلى حد ما في توجهاته عن القضية رغم أنه يعيش حياته في قلب الأحداث، وكل ما يعنيه هو حياته الخاصة، لذلك فهو لا يميل إلى التضحية إنما يبحث عن هدوئه الاجتماعي حتى لو كلفه ذلك التنازل عن الوطن، ومن الأمثلة على هذا البطل : الأم التي تقف موقفا معارضا لزوجها وابنها وحفيدها حينما يقررون الخروج لملاقاة الإله هبا، بل ربما يكون هذا البطل في بعض الأحيان بطلا سلبيا، ومن مظاهر سلبيته إحساسه الدائم باليأس، فالأم مثلا لا تتردد عن التصريح بأنها تشهد البداية وتعيش لتشهد النهاية ولكنها ترى أن المنتصر الوحيد هو هبا وأن المغلوبين المهزومين هم عاد وذريته.

ويبقي كنفاني هذين الأنموذجين من شخصيات مسرحية الباب في تساؤل دائم، فهي شخصيات حائرة تكثر لديها التساؤلات المنطقية حول حقيقة وجودها وصراعها وماذا تفعل من أجل الخروج من المأزق الحرج التي هي فيه، وهذا الموقف جاء نتيجة للإحساس بالخطأ وبداية الشعور بالوعي بحقيقة الواقع المعاش، وإذا كانت الأم وأبناؤها قد مثلوا البطل بصورة إنسان، فإن هبا قد عبر عن البطل بصورة إله وهو قد شكل طرفا أساسيا من أطراف الصراع حيث لازمته صفات التسلط والهيمنة والاستبداد، ولم يتردد في القضاء على من يجابهه وذلك لإيمانه بأن حياته تبدأ بموت الآخرين وتنتهي بولادتهم.

ثانيا: صورة البطل المقاوم في مسرحية المتهم لجمال بنورة:

تشكل تجربة (جمال بنورة) إحدى التجارب الهامة في الأدب الفلسطيني، حيث كان ميلاده الأدبي الحقيقي بصدور مجموعته القصصية الأولى (العودة) عام 1976م التي تناول فيها جوانب متنوعة وصورا عديدة من صور المجتمع الفلسطيني تحت الاحتلال, وقد تنوعت فيما بعد نتاجاته الأدبية، فتوزعت بين القصة والرواية والدراسة الأدبية والمسرحية، حيث عبر من خلالها عن هموم شعبه وقضاياه الوطنية رافضا واقع الاحتلال رفضا مقيتا، ورأى أن الثورة تحقق واقعا بديلا للواقع اليومي المعاش يتمثل بالتحرر وطرد المحتل، وقد طغت تجربته الشخصية على كتاباته، فظهر من خلال أبطاله وشخوصه مرتديا رداء المناضل الثوري، وقد جاء مفهوم بنورة للالتزام من خلال الكتابة بصدق وأمانة للتعبير عن حياة الجماهير الشعبية، والوقوف إلى جانبها في الدفاع عن قضاياها الحياتية والوطنية والسياسية رغم الطابع الإيديولوجي الذي سيطر على مجمل أعماله، وحول ذلك يقول: " أنا لم أقصد أن أكتب أيديولوجيا في أيٍ من أعمالي الأدبية، أنا كنت أصوّر واقعاً نعيشه. وهذا ليس دفاعاً عن تهمة تُوجه لي.. فمن حق الكاتب أن يكتب ما يشاء، وإنما أريد ان أوضح موقفاً معيناً. فأنا لست معنياً بإضفاء هالة معينة على بطل القصة أو الرواية، وأن ألبسه زياً

قد لا يناسبه، وقد لا يروق للكثيرين. إنّ ما يعنيني أن أصوّر الشخصية على حقيقتها، كما تظهر في الحياة الواقعية "([1]).

إن المتتبع لأعمال بنورة سيخرج بأنها تشترك جميعها في التأكيد على المقاومة بوصفها حقا مشروعا تلجأ إليه الشعوب حينما تنتهك حقوقها من قبل المحتل، وحول ذلك يقول: " بخصوص الفكرة التي أنطلق منها عند الكتابة.. والحقيقة الحافز على الكتابة هو معايشتنا اليومية مع الاحتلال وصدامنا معه في كل حركة أو خطوة نخطوها فنحن دائما أمام جندي الاحتلال أينما تحركنا، ولم أقصد اكثر من التعبير عن الواقع الذي نعيشه "([2])، وهذه المنطلقات الفلسفية هي التي تجعل الكاتب يميل إلى الواقعية في أسلوبه لأنها تنقل الأحداث نقلا مباشرا من شأنه أن يسهل على القارئ فهم مضامينها.

إن بنورة لا ينجرف في تيار الكتابة التجريبية المبهمة حينا، والمسطحة حينا آخر، وإنما يستند إلى لغة سهلة مشبعة بالإيحاءات والدلالات، بحيث تصل أفكاره في نهاية المطاف إلى قطاع واسع من القراء على اختلاف مستوياتهم الثقافية والمعرفية، ونجده لا يدع لالتزامه الفكري أن يتدخل أكثر مما يجب في مادته الأدبية، فهو في الأغلب الأعم يدع للتجربة أن تقول غايتها الأخيرة دون افتعال، وحينما يعمد إلى إيراد بعض جوانب الواقع السياسي اليومي, سواء أكان ذلك متعلقا بالوطن المحتل أم بما يكتنف الواقع السياسي العربي من مهازل وسلبيات, فإنه يفعل ذلك عبر إشارات سريعة لا تفسد إيقاع كتاباته أو تحدث انقطاعا في تواتر هذا الإيقاع ([3])، وهذا يؤكد مدى التصاق الكاتب بواقعه الحياتي الذي يعيشه، لاسيما أنه قام بنقل ذلك الواقع حرفيا في كثير من كتاباته بهدف إشاعة الوعي بين الجماهير التي يكتب لها, والإسهام في التعبئة الثورية وصياغة الواقع الحقيقي بلغة يفهمها الجميع ضمن مبدأ يقوم على الالتزام الصريح والمباشر بوقائع الأحداث اليومية للمواطن الفلسطيني على أرضه.

وانطلاقا من فلسفته ومشاهداته اليومية، فقد صور بنورة نضال الشعب الفلسطيني بكافة طبقاته وفئاته الاجتماعية، مع ميله أحيانا إلى استخدام إيحاءات رمزية وتعبيرية واضحة، وقد ركز في أدبه على إبراز صورة البطل المقاوم الذي يعبر بنضاله عن الجماهير، ففي مسرحية (المتهم) عام 1986م شكّلت القضية الفلسطينية واقعاً حياً ومتطوراً، حيث حملت رؤيته الفنية موقفا فرضته طبيعة الأحداث السياسية والاجتماعية المرتبطة بالإنسان الفلسطيني، ليعبر بذلك عن نظرة شمولية واعية بجوهر القضية، وظروفها الموضوعية ضمن حركة التاريخ.

وقد قدم لنا شخصية تجابه الموت كي تعود من جديد لتقاوم مما شكل صدمة بالنسبة للعدو، وحينما يعرض الكاتب الفلسطيني لمقاومة الاحتلال والتصدي لأساليبه العنصرية الهمجية فإنه لا يقدم ذلك من خلال حذلقات فكرية معزولة عن سياقها الاجتماعي والإنساني, بل هو يغوص في أعماق شخوصه كاشفا

---

[1] . بنورة، جمال (2012م)، ماذا أكتب إذا كنت لا ألتزم بقضايا شعبنا وأدافع عنها، مقابلة شخصية أجراها معه وحيد تاجا، مؤسسة فلسطين للثقافة، فلسطين.

[2] . بنورة ، جمال (1997م)، رسالة شخصية مرسلة للباحث يحي عيسى من بيت ساحور – فلسطين المحتلة.

[3] . بنورة، جمال (1986م)، الموت الفلسطيني . مسرحية المتهم، ط1، تقديم . محمود شقير، عمان، دار الكرمل للنشر والتوزيع، ص (5. 7).

عن أدق نوازعهم الشخصية ذات السمة الإنسانية التي تلتقي في التحليل النهائي مع توجهه العام في الدفاع عن الوطن, وهنا تبرز المقولة الواضحة في النتاج الأدبي الفلسطيني المعاصر، والتي تؤكد على الذهاب إلى الموت ليس حبا في الموت وإنما رغبة في الحياة والدفاع عنها، ففكرة الموت بالنسبة للإنسان الفلسطيني ترتبط ارتباطا وثيقا بفكرة البقاء التي تجسدها قيم البطولة والشهادة التي يحققها في صراعه اليومي مع قوات الاحتلال.

وقد انطلق بنورة عند كتابته لهذه المسرحية من حادثة واقعية ستبقى حاضرة في الوجدان العربي والفلسطيني، وحول المناسبة التي تقف وراء كتابتها أكد قائلا: "نبعت فكرة هذه المسرحية من حادثة معينة - كما يحدث معي عادة - وهي محاولة اغتيال رؤساء البلديات من قبل التنظيمات الإرهابية اليهودية، وبالتحديد قصدت شخصية بسام الشكعة في هذه المسرحية وهذه الشخصية في نفس الوقت ترمز للشعب الفلسطيني في مقاومته للاحتلال" ([1]).

تبدأ المسرحية بثورة عارمة للمسئول الصهيوني حينما يتلقى اتصالا هاتفيا يؤكد فشل المهمة التي استهدفت القضاء على (المتهم) الذي هو أحد أبطال المقاومة الفلسطينية، رغم أن جميع الأفراد المكلفين بإنجاز المهمة يؤكدون نجاحها، ويزداد غضب (المسئول) حينما يعلم بأن المتهم لازال يستطيع استخدام يده، ويصاب بهول المفاجأة من جديد حينما يحضر إليه المتهم محذرا :

" المسئول : أنا آسف ، أرى ان ذراعك..

المتهم : (بسخرية) ذراعي..؟ (يلتفت نحو ذراعه اليمنى كأنما يتأكد من وجودها.. ثم يخرجها من جيبه ببطء.. وهي منقبضة بشدة) ما بها ؟! . .

المسئول : لقد قيل لي..! (منبهتاً) ما هذا ؟ هل نبتت لك ذراع ثانية ؟!

المتهم: لقد أخطأ رجالك.. إنهم يزيفون الحقائق.."([2]).

ويحاول (المسئول) أن يعطي تبريرات غير منطقية للأمور، فيوجه للمتهم اتهامات باطلة كإثارة الشغب والتحريض ضد الأمن وإطلاق التصريحات المعادية للدولة ، لهذا فهو يهدده بالسجن ويعترف بكل عنف بأنه سئم منه مما يدعو المتهم إلى ان يرد عليه قائلا :

" المتهم : أنا لا أحتمل هذا الهراء، لدي كلمة سأقولها وأذهب (...). أنا لا أستطيع التنفس.. متى تكفون عن مراقبتي؟, رجالك يطوقون بيتي ليل نهار, لقد احتلوا الحديقة وأجزاء كبيرة من المنزل, لم يبقوا لي إلا غرفة واحدة..

المسئول : ألا تكفيك ؟

المتهم : طبعا لا تكفيني.. أنا أريد منزلي كاملا والحديقة أيضا " ([3]).

---

[1] . بنورة ، رسالة شخصية مرسلة للباحث يحي عيسى من بيت ساحور..

[2] . بنورة، جمال، الموت الفلسطيني . مسرحية المتهم، ص15 .

[3] . المصدر نفسه، ص (17. 18).

ويحاول المسئول مرارا أن يقنع المتهم بالتراجع عن مواقفه لكنه يفشل, لأن الحق لا يمكن أن يتحول لأناس غير أصحابه الحقيقيين, وينتهي اللقاء بخروج المتهم وهو عازم على ألا يتراجع عن ثورته, مما يدفع المسئول إلى الطلب من مساعديه تنفيذ خطة أخرى ترمي إلى القضاء عليه, حيث يتم تكليف سائق سيارة بدهسه, فيكون الحادث أمام شهود عيان قضاء وقدرا, ويتم الحادث ويروي المساعدون للمسئول نجاح المهمة, وكيف داست عجلات السيارة رأس المتهم ومزقت جسده, وأثناء الحديث بينهم يفاجئهم المتهم بدخوله عليهم وقد ازداد صلابة كصلابة حجارة الوطن, فيخاطبه المسئول :

" المسئول: هل أنت ما أراه, أم شبحك هذا ؟ .

المتهم : هل فقدت حاسة التميز ؟؟ " ([1]) .

وهنا تتطاير الكلمات من المساعدين الذين صدموا من الموقف، ويبدو الرعب وقد أطبق عليهم من هول المفاجأة، فتصدر عنهم صرخات عنيفة وجلة ومترددة تدلل على حالة الانهيار التي بدأت تعتريهم:

" - هذا الرجل بسبعة أرواح !

- إنه لا يموت !

- الملائكة تحرسه !.

- إنه أقوى من الموت! (...).

المسئول : ولكن أنت ضيعتني ! لماذا لم تمت ؟ لا استطيع أن أعيش إذا لم تمت أنت؟! .

المتهم : ولكنك تعرف أن بإمكانك أن تعيش أنت, وأعيش أنا أيضا إذا ابتعدت عني, إذا أعدت لي حقي. (...)، كل من يحاول أن يميتني سوف يموت " ([2])، ولم يحتمل المسئول نظرات المتهم, ولم يحتمل صلابة صموده, وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة يقر أن الفلسطيني خطر على أمنه وحياته، حيث يسقط ميتا بسبب تأثير سم الحقد عليه, بينما يظل المتهم قويا شامخا معلنا استمرار مسيرته النضالية.

لقد امتاز أسلوب بنورة الأدبي بالالتزام بعرض الوقائع اليومية للشعب الفلسطيني تحت الاحتلال، بلغة مبسطة واضحة كوضوح الشخصيات التي تنطقها، كذلك فقد ظهر في كتاباته دقة الاختيار للأحداث والشخصيات، وميله إلى التصوير الحرفي كذلك فقد اتسم أسلوبه " بغنى التجربة الإنسانية ووضوح الرؤية وصلابة الموقف"([3])، ويمكن القول أن الكتابة عند بنورة هي التي تفرض نفسها عليه، وليس العكس، والفكرة أو المضمون الذي يريد أن يكتبه هو الذي يُحدد الشكل المناسب للكتابة التي تكون متميزة عندما تُعبّر عن قضية من القضايا الوطنية دون اهمال الجانب الاجتماعي والإنساني.

وإذا كان بنورة قد اختار بطلا معبرا عن شريحة اجتماعية واسعة، فإنه قد قدم من خلاله الوجه المشرق للإنسان الفلسطيني، حيث جاء المتهم أنموذجا إيجابيا معبرا عن البطل الفلسطيني المقاوم، وعلى النقيض من ذلك قدم الشخصيات الممثلة للجانب الصهيونية بصورتها السلبية المعبرة عن الظلم والإرهاب، وحول

---

[1] . المصدر نفسه، ص28.

[2] . المصدر نفسه، ص28.

[3] . زقوت ، صالح (1989م)، أيام لا تنسى – رواية تقول الحقيقة للأماني، مجلة الكاتب , العدد 113، فلسطين، ص64.

ذلك يؤكد أن الكاتب يستطيع " أن يُعبر عما يريده من خلال البطل السلبي، فيرسمه بطريقة تُنفّر القراء منه، أما البطل الإيجابي، فهو إيجابي في مواقفه وأفكاره، وهو أيضاً البطل الذي يُعبر عن هموم شعبه، ويدافع عن حقوقه، هو البطل الذي يستحوذ على اهتمام القراء، وفي نفس الوقت يعبر عن طموحات شعبه في الحرية والاستقلال، ولذلك فالكاتب يرسم شخصية البطل الإيجابي بطريقة تُقنع القراء بالالتفاف حوله، أو الاقتداء به"([1]).

إن مسرحية (المتهم) هي مسرحية أقرب إلى المسرحية التعبيرية، ففيها تبرز لنا شخصية واحدة لديها معاناة وطنية وإنسانية، وهذه المعاناة سببها الاحتلال الصهيوني، وهذه الشخصية هي شخصية المتهم التي ينصب الحقد عليها من باقي الشخصيات المعادية لها، ومن الملاحظ في نص (المتهم) أنه اشتمل على شخصيات نماذج لا أفراد عاديين فكانت شخصيات المسرحية هي: (المتهم، الزائر، المسئولون، المساعدون)، ومن هنا فقد أراد الكاتب الإشارة من خلال شخصية المتهم إلى وجود متهمين آخرين، ومن خلال شخصية المسئول الذي يمثل السلطة القمعية المحتلة إلى وجود مسئولين يمارسون قمعهم وإرهابهم وخداعهم، فالمتهم هنا لا يعني متهما واحدا وإنما يعني شعبا كاملا هو الشعب الفلسطيني:

" المسئول : سنأخذ منك بعض الأقوال.. قل لي.. هل لك أعداء؟

المتهم : باستثنائكم ليس لي أعداء .

المسئول : أنت تتهمنا بالعداء لك.. بينما نحاول أن نكون أصدقاء لك، ونطلب أن نتعايش معا في سلام "([2]).

ويخلص الباحثان إلى أنه ورغم أن المقاومة قد أخذت طابعها الفكري والثقافي من قبل المتهم، إلا أن المجابهة والتحدي قد بقيت حاضرة لديه بحثا عن الحرية، فحينما نراجع المسارات الخاصة بالأحداث والشخصيات القصصية والمسرحية عند بنورة، نجد أن الشخصيات الفلسطينية تتوق للخلاص والتحرر من ذلك الاحتلال البغيض، من هنا نجد المؤلف في مسرحية المتهم يوظف أحداث الموت لتعرية وجه الاحتلال البشع، وللكشف عن عمق المأساة التي يعانيها الفلسطينيون في أرضهم المحتلة، كما يحرض الناس في الوقت نفسه على المقاومة وعدم الرضوخ لهمجية المحتل الذي يحاول أن يصل بالناس إلى اليأس والانهيار وبالتالي التخلي عن وجودهم الوطني.

. نتائج البحث:

أسفر البحث عن مجموعة من النتائج هي:

1ـ ارتبط البطل المقاوم في النص المسرحي الفلسطيني بمراحل متعددة جاءت موازية للمسار الاجتماعي للشعب الفلسطيني، فقد جاء البطل المقاوم في مسرحيات غسان كنفاني ليمثل مسيرة الإنسان الفلسطيني منذ النكبة وحتى مرحلة ما بعد التشرد، وقد بحث غسان في خياراته المسرحية عن دلالة الإنسان السوي

[1]. بنورة، ماذا أكتب إذا كنت لا ألتزم بقضايا شعبنا وأدافع عنها؟.

[2]. بنورة، جمال، الموت الفلسطيني . مسرحية المتهم، ص (18. 19) .

الذي رفض أن يسيطر عليه الإحساس بالتشاؤم والسأم من الواقع الذي يعيشه، فعكس بذلك أيديولوجية خاصة بلور من خلالها أسئلته الفكرية العارمة المرتبطة بحركية وجود الإنسان الفلسطيني.

2ـ ظهرت على الأبطال في مسرحية الباب لغسان كنفاني الملامح الأسطورية من شجاعة وتحد وإمكانات وصفات خارقة، وقد تشابه مع البطل الثوري من حيث دفاعهما عن المبادئ النبيلة حتى الاستشهاد من أجلها، وقد قدم كنفاني في مسرحيته أنموذجين من الأبطال الممثلين للشعب الفلسطيني هما:

الأول: البطل الإيجابي: وهذا البطل يكون في النهاية هو الضحية، وتظهر إيجابيته من خلال شجاعته ودوره في المقاومة، ومن أمثلته: (عاد) و (شداد)، إذ يختار كل منهما طريق وشكل المواجهة مع الإله، حيث يسيران نحو الموت بخطوات باسلة.

الثاني : البطل الحيادي / السلبي: وهذا البطل لا يميل على الأغلب نحو التضحية إنما يبحث عن هدوئه الاجتماعي، ومن الأمثلة على هذا البطل : الأم التي تقف موقفا معارضا لزوجها وابنها وحفيدها حينما يقررون الخروج لملاقاة الإله هبا، وهي لا تتردد في التصريح بأنها تشهد البداية وتعيش لتشهد النهاية ولكنها ترى أن المنتصر الوحيد هو هبا وأن المغلوبين المهزومين هم عاد وذريته.

3. أخذت مقاومة الأبطال في النص المسرحي الفلسطيني طابعا فكريا وثقافيا، وبرزت لديهم ملامح البطل الرومانسي والوجودي في آن معا، حيث بقيت المجابهة والتحدي حاضرة لديهم لتعزيز وجودهم وللبحث عن الحرية، وإذا كان البناء الفني للبطل في مسرحية الباب قد وقع تحت تأثير الأسطورة، فإنه في مسرحية المتهم قد جاء بناءا تعبيريا رغم الواقعية الاشتراكية التي سيطرت على الكاتب في مسيرته الأدبية.

4. تجلى واضحا في النص المسرحي الفلسطيني أن الأبطال تتوق للخلاص والتحرر من الاحتلال البغيض، من هنا نجد كلا من (كنفاني) و(بنورة) يوظفان أحداث الموت لتعرية وجه الاحتلال، حيث يذهب الأبطال نحو الموت بمستويات متعددة، لكن ذهابهم يأتي لمجابهة السلطة التي تجثم على صدورهم، كما نجدهم في الوقت نفسه يحرضون الناس على المقاومة وعدم الرضوخ لهمجية المحتل الذي يحاول أن يصل بهم إلى اليأس والانهيار.

5. تم في النص المسرحي الفلسطيني توظيف الأسطورة للتعبير عن الفعل المقاوم من خلال تعاقب فعل المجابهة عند شخصيات الملوك في مسرحية الباب لكنفاني، كذلك نجد بنورة قد ذهب إلى بناء شخصية البطل ضمن سياق تعبيري، حيث ظهر أنموذجا لا فردا عادي ليعبر عن طبقته التي تقف خلفه في الفعل المقاوم، ولم تغب تلك النماذج أيضا عن الشخصيات الممثلة للعدو الصهيوني والتي تعزز من خلالها الجوانب القمعية والدموية المعبرة عن ممارسات الاحتلال.

6. أفاد النص المسرحي الفلسطيني من المذاهب المسرحية في تشكيل البناء الفني لشخصية البطل في النص، حيث ظهر تأثير الكلاسيكية في بناء شخصية البطل الأسطوري في مسرحية الباب لغسان كنفاني، بينما ظهرت تأثيرات الواقعية والتعبيرية في بناء شخصية البطل في مسرحية المتهم لجمال بنورة.

. المصادر والمراجع:

. أبو الغزلان، هيثم محمد (2016م)، غسان كنفاني والرواية الفلسطينية، مجلة الدعوة الإسلامية، السنة الخامسة عشر. العدد 172، لبنان، تجمع العلماء المسلمين في لبنان.
. أبو السعود، عطيات (2001م)، الوعي التاريخي بين الماضي والمستقبل، مجلة عالم الفكر، المجلد 29، العدد 4، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (1997م)، لسان العرب، مج1، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر.
. أبو هيف، عبد الله، وآخرون (2004م)، الابداع والرؤى في تجربة زياد ذيبان الفلسفية والشعرية، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.
. الأعرجي، سلام مهدي (1989م)، كيفية فهم منهج بريخت من قبل المؤلف والمخرج في المسرح العراقي؟، (رسالة ماجستير غير منشورة)، بغداد، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد.
. بريخت، برتولد (د. ت)، نظرية المسرح الملحمي، ترجمة. جميل نصيف التكريتي، بيروت، عالم المعرفة.
. بنورة، جمال (2012م)، ماذا أكتب إذا كنت لا ألتزم بقضايا شعبنا وأدافع عنها، مقابلة شخصية أجراها معه وحيد تاجا، مؤسسة فلسطين للثقافة، فلسطين.
. بنورة ، جمال (1997م)، رسالة شخصية مرسلة للباحث يحي عيسى من بيت ساحور – فلسطين المحتلة.
. بنورة، جمال (1986م)، الموت الفلسطيني . مسرحية المتهم، ط1، تقديم . محمود شقير، عمان، دار الكرمل للنشر والتوزيع.
. حاتم، عماد (1979م)، مدخل إلى تاريخ الاداب الأوروبية، ليبيا . تونس، الدار العربية للكتاب.
. خشبة، دريني (1961م)، أشهر المذاهب المسرحية، القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي.
. زقوت ، صالح (1989م)، أيام لا تنسى – رواية تقول الحقيقة للأماني، مجلة الكاتب , العدد 113، فلسطين.
. الزيود، مخلد نصير بركة (2004م)، البطل التراجيدي في القصص والموروث الشعبي العربي، بحث علمي مقدم للمؤتمر الرابع للفن العربي المعاصر، جامعة اليرموك، اربد، من 23- 25 تشرين الثاني 2004م.
. سرحان، نمر (1988م)، الحكاية الشعبية الفلسطينية، ط2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
. السعافين، إبراهيم (1992م)، الصراع العربي الصهيوني في المسرح في: الأدباء العرب في مواجهة التحديات ، بحث مقدم إلى المؤتمر الثامن عشر للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، عمان، منشورات الإتحاد العام للأدباء والكتاب العرب.
. السعدي، يوسف رشيد (1997م)، التكوين الفني والفكري للبطل في المسرحية العراقية، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، بغداد.

. شعث، أحمد (2010م)، الأسطورة والخطاب الأيديولوجي في مسرحية الباب لغسان كنفاني، مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد 5 ، العدد 1 ، الخليل.
. ضيف، شوقي، (1970م)، البطولة في الشعر العربي، مصر، دار المعارف.
. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (1998م)، تاريخ الأمم والملوك والرسل، ج1، تحقيق عبد الأمير مهنا، ط1، بيروت، منشورات الأعلمي للمطبوعات.
- عباس، إحسان، وآخرون (1974م)، غسان كنفاني إنساناً وأديبا ومناضلاً ، بيروت، منشورات الإتحاد.
. عبد الهادي ، فيحاء (1987م)، وعد الغد – دراسة في أدب غسان كنفاني ، ط1، عمان، دار الكرمل للنشر والتوزيع.
عبد الهادي، فيحاء (1997م)، نماذج المرأة / البطل في الرواية الفلسطينية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
. عبد الوهاب، فاروق، (1964م)، المذهب التعبيري في المسرح، مجلة المسرح، العدد 8، القاهرة، مسرح الحكيم.
. عجينة، محمد (1994م)، موسوعة أساطير العرب . عن الجاهلية ودلالاتها، ج2، تونس، العربية محمد علي للنشر والتوزيع، بيروت، دار الفارابي.
. العشري، احمد (1983م)، المسرحية السياسية في الوطن العربي، القاهرة، دار المعارف.
. عطية، أحمد محمد (1977م)، البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة، ط1 ، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق.
. عمر، أحمد مختار(2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، القاهرة.
. عياد، شكري (1959م)، البطل في الأدب والأساطير، ط1، القاهرة، دار المعرفة.
. العيسى، شملان، وآخرون (2002م)، ندوة العدد حول المقاومة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 79، الكويت، جامعة الكويت.
. القاسم، أفنان (1984م)، عبد المجيد الربيعي و البطل السلبي، ط 1، بيروت،عالم الكتب.
. القاسم، أفنان (1978م)، غسان كنفاني – البنية الروائية لمسار الشعب الفلسطيني من البطل المنفي إلى البطل الثوري، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية للطباعة.
. كحال، بو علي (2002)، معجم مصطلحات السرد، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002م.
. كنفاني، غسان (1977م)، الآثار الكاملة . الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948. 1968م، ط1، المجلد الرابع، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر.
. كنفاني ، غسان (1978م)، المسرحيات – مسرحية الباب ،المجلد 3 ، بيروت، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية ، دار الطليعة للطباعة والنشر.

. لوليدي، يونس (2001م)، الأسطورة الإغريقية والمسرح، مجلة عالم الفكر، المجلد29، العدد4، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
. مجموعة من المؤلفين (2013م)، تاريخ الآداب الأوروبية، ج3، دمشق، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب.
. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (1988م)، مروج الذهب ومعادن الجواهر، ج2، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية.
. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (1987م)، مجمع الأمثال، ج 1، تحقيق. محمد أبو الفضل ابراهيم، ط2، بيروت، دار الجيل.
. الهواري، أحمد إبراهيم (1979م)، البطل المعاصر في الرواية المصرية، مصر، دار المعارف.

Université Amar Telidji-Laghouat-Algérie





DIRASSAT

REVUE INTERNATIONALE

ISSN 1112-4652